حنفى المحلاوى

حكايتى مع السجن



سياسيون و قضبان



- فؤاد سراج الدين
- إبراهيم شكرى
- ضياء الدين داود
- أحمد طه
- الدكتور حلمى مراد
- إبراهيم فرج
- محمد فايق
- على سلامة
- على صبرى
- أنور السادات



الدار المصرية اللبنانية

سياسيون
و
قضبان

فى كتاب سابق بعنوان « حكايتى مع السجن ـ مفكرون وقضبان » اختار لنا الكاتب الصحفى الأستاذ حنفى المحلاوى أحد عشر مفكراً من المفكرين المصريين الذين اصطدموا بفكرهم وبأقلامهم مع الحاكم ، الأمر الذى أدى بهم فى النهاية إلى الدخول خلف القضبان . . وقد ضمت هذه المجموعة من المفكرين الأساتذة : مصطفى أمين . . ولطفى الخولى . . ومحمود السعدنى . . ومحمد حسنين هيكل . . والدكتور عبد الصبور شاهين . . والدكتور ميلاد حنا . . والأديب الروائى جمال الغيطانى . . والكاتب الصحفى صلاح عيسى . . والأديبة الدكتورة نوال السعداوى . . والكاتب المؤرخ مختار السويفى . . والكاتب الصحفى المؤرخ جمال بدوى .

وفى هذا الكتاب يواصل الأستاذ حنفى المحلاوى حواراته الشيقة مع مجموعة من السياسيين المصريين المشهورين ، تتضمن الأساتذة : فؤاد سراج الدين . . إبراهيم فرج . . إبراهيم شكرى . . ضياء الدين داود . . أحمد طه . . الدكتور حلمى مراد . . محمد فايق . . على سلامة . . على صبرى . . والرئيس أنور السادات .

لقد دخل هؤلاء السياسيون خلف القضبان فى أزمان مختلفة ولأسباب مختلفة . . وكانت لهم فى السجن حكايات وذكريات . .

ترى . . ماذا يقولون فى تلك الحوارات الذكية التى أجراها معهم المؤلف ؟! . وما هى أسرار تلك القضايا التى دخلوا بسببها خلف القضبان . . ؟!

« الناشر »



الدار المصرية اللبنانية

طباعة • نشر • توزيع

١٦ شارع عبدالخالق ثروت - تليفون ٣٩٢٣٥٢٥ - ٣٩٣٦٧٤٣ - فاكس: ٣٩٠٩٦١٨ - برقياً: دار شادو - ص.ب: ٢٠٢٢ - القاهرة

AL·DAR AL·MASRIAH AL·LUBNANIAH

PRINTING — PUBLI SHING — DISTRIBUTION

16 ABD EL KHALEK SARWAT St. P.O.Box 2022-Cairo-Egypt PHONE: 3936743-3923525 FAX: 3909618 CABLE DARSHADO

سياسيون
و
قضبان

حكايتى مع السجن

سياسيون و قضبان

حنفى المحلاوى

- فؤاد سراج الدين
- إبراهيم شكرى
- ضياء الدين داود
- أحمد طه
- الدكتور حلمى مراد
- إبراهيم فرج
- محمد فايق
- على سلامة
- على صبرى
- أنور السادات

الناشر
الدار المصرية اللبنانية

الناشــر : الــدار المصريــة اللبنانيــة

١٦ ش عبد الخالق ثروت ـ القاهرة

تليفون : ٣٩٢٣٥٢٥ ـ ٣٩٣٦٧٤٣

فاكس : ٣٩٠٩٦١٨ ـ برقياً : دار شادو

ص . ب : ٢٠٢٢ ـ القاهرة

رقم الإيداع : ٨١٤٨ / ٩٣

الترقيم الدولى : 0 - 098 - 271 - 977

طبع : عربية للطباعة والنشر

العنوان : ٧ ـ ١٠ شارع السلام ـ أرض اللواء ـ المهندسين

تليفون : ٣٠٣١٠٤٣ ـ ٣٠٣٦٠٩٨

الطبعة الأولى : ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤ م

تصميم الغلاف : عمرو فهمى

الرسوم الداخلية : الفنان زهدى

قبل صدور
قرار العفو !

كان من المفروض أن يكون العنوان كالتالى : « قبل صدور قرار الإفراج » . . ولكننا وجدنا أن كلمة العفو تؤدى المعنى المطلوب بدقة أكثر . . لما لها من دلالات تقرب إلى الذهن طبيعة الموضوع الذى سوف يكون حديث هذه الأوراق .

فمن المتعارف عليه وفقاً لقواعد القانون العام . . أن قرار الإفراج لا بد وأن يصدر مصاحباً لقرار الحبس أو السجن . . إذ أن أى متهم فى أى نوع من أنواع القضايا . . ودخل القفص أمام القاضى الطبيعى . . لا بد له من سماع منطوق الحكم بالإفراج أو بالإدانة . وحتى حين الإدانة . . لا بد وأن يكون قرار القاضى مرتبطاً بمدة السجن التى سوف يقضيها المتهم . . وبعد قضاء هذه العقوبة يصدر قرار الإفراج عنه . . وفى هذه الحالة يكون قرار الإفراج قراراً ضمنياً ومعروفاً مسبقاً . . لأنه حين تنتهى مدة العقوبة . . لا بد من وقوع الإفراج . . وهذه مسألة فقهية وقانونية بحتة . . ولا قبل لنا بها . . كما أن هذه الأوراق لم نخصها لمثل هذا البحث الفقهى الطويل . . وكل ما هنالك أننا قد حرصنا على أن نشير إلى مثل هذا الأمر لارتباطه بموضوع هذا الكتاب . .

أما حين نعود للحديث عن السبب الذى جعلنا نختار كلمة « العفو » . . بدلاً من كلمة « الإفراج » على الرغم من أن الكلمة الأخيرة كثيراً ما نسمعها فى مثل حالات الحبس أو السجن . . نقول : إن صيغة العفو أساساً ترتبط بحالة من حالات السجن التى يساق فيها المتهم بدون توقيت مسبق . . أو جريمة محددة المعالم ـ كما يقول رجال القانون ـ وهو ما اصطلح على تسميته « بالاعتقال » . . الذى يتم فى أى وقت وفى أى مناسبة يراها من يملك القرار . . وكما يتم الاعتقال فى أى وقت وفى أية مناسبة وبدون سابق إنذار . . يتم كذلك العفو عن الإنسان المعتقل بنفس الطريقة ! .

وفى غالب الأمور يرتبط الاعتقال ببعض الشخصيات التى تعمل فى حقل العمل العام . . والتى أمكن حصر نشاطها فى مجالى الفكر والسياسة . . بعيداً عن شبح قوانين الطوارىء التى تستخدم فى أحوال كثيرة لتطبيق مثل هذه العقوبة ـ إن جاز التعبير ـ على الأفراد الذين يمثلون خطراً على الأمن العام . . وعلى سلامة المجتمع .

ولسنا فى حاجة مرة أخرى إلى أن نسوق الفرق بين السجن وبين الاعتقال . . إلا على سبيل التذكر . . فقد تناولنا هذا الأمر بالتفصيل فى كتابنا الأول « حكايتى مع السجن ـ مفكرون وقضبان » . . ولكن كل ما يمكن أن نقوله هنا : إن السجن أو الحبس محدد المدة . . ومرتبط بنوع الجريمة التى تكون المعيار الحقيقى أمام القاضى الطبيعى لتحديد مدة العقوبة المناسبة للفعل المجرّم . . هذا الأمر غير موجود على الإطلاق بالنسبة لحالات الاعتقال . . لأنه فى غالب الأمر يتم الإقدام على مثل هذا الفعل بدون مقدمات وبدون إبداء الأسباب . . وبالتالى بدون تحديد مدة العقوبة . .

لذلك تجد الاعتقال يتم فى ظروف مغايرة تماماً لظروف الحبس أو السجن . . ولا يشترك معه إلا فى النتيجة التى مؤداها أن يكون المحبوس والمسجون والمعتقل فى مكان واحد . . خلف القضبان .

من جانب آخر يظل المعتقل رهين الحبس مدداً غير محدودة أو معروفة . . فقد تستمر أياماً . . وقد تستمر سنوات قليلة . . وربما سنوات العمر كله ! . وحتى حينما يقرر من يملك سلطة إصدار قرار الإفراج ، فلا يمكن معرفة توقيت هذا القرار إلا قبل ساعات قليلة من وصوله إلى القائمين على شئون الحبس . . وإدارة السجن ! . وحينما يصدر ويصل إلى أولى الأمر خلف الأسوار العالية . . لا يمكننا أن نطلق عليه قرار « بالإفراج » . . بل إنه « قرار بالعفو » ! .

ومثل هذه الاعتقالات وإن كانت تتم بشكل عشوائى وتصيب فى الغالب العاملين فى حقل الحريات والأفكار . . إلا أن بعض من يملكون القرار فى هذا الشأن يحاولون فى بعض الحالات إضفاء الصفة القانونية على مثل هذا الإجراء . . فيلفقون للمعتقلين بعض التهم . . التى غالباً ما لا تثبت أمام التحقيقات ! . ثم يلجأون إلى المحاكم العسكرية التى

تسارع بالإدانة . . وفيها بعد يظهر خطأ القرار حين يعرض على القاضى الطبيعى .

لذلك فقد أصبح من المتعارف عليه فى جميع حالات الاعتقال . . أن قرار الاعتقال وقرار العفو عادة ما يصدرا من جهة واحدة . . كما أن مثل هذا الإجراء لا يتم الإقدام عليه إلا حين يأخذ صاحب القرار الضوء الأخضر من القيادة السياسية . . إن لم يكن هو نفسه رأس هذه القيادة ! وهنا يكمن الفرق الكبير بين « المعتقل » وبين « المسجون » . .

وقد سبق وذكرنا أن مثل هذا الإجراء عادة ما يرتبط بالشخصيات التى تعمل فى حقل الفكر والسياسة . وإن كنا قد اكتشفنا أن مثل ذلك الأمر لا يكون بالشكل الذى نراه ونسمع عنه الآن إلا فى المجتمعات المتخلفة . أو المجتمعات التى يطلق عليها « بلاد العالم الثالث » . والأسباب عديدة ومعروفة . . وإن كان أوضحها . . خوف الحاكم من أصحاب الرأى وأصحاب المواقف السياسية المعارضة . حينذاك لا يجد أمامه سوى وسيلة واحدة سريعة . . وفعالة . . وتتبلور أمامه فوق أوراقه . . فيصدر أمراً بالاعتقال . .

* * *

وهناك بخلاف ذلك وكما سبق وأوضحنا ارتباط عضوى بين قرار الاعتقال وقرار العفو! . لأنه فى الغالب كما يصدر القرار الأول بشكل مفاجىء . . يعقبه أيضاً القرار الثانى بشكل مفاجىء مثله . . وليس بالضرورة أن يكون الشخص الذى أصدر أمر الاعتقال . . هو نفسه الذى أصدر قرار العفو . . وإنما يجب أن يكون بمعرفته . . إلا فى حالات نادرة لا نجدها إلا أيام الثورات العسكرية والانقلابات التى تطيح بصاحب القرار الأول ! .

والحديث عن قرار العفو . . يجرنا حتماً إلى بيان أنواع هذا العفو ومستوياته . .

فهناك نوعان من « العفو » فيما يتعلق بالمستوى العام له . . « العفو الإلهى » . . و « العفو الإنسانى » . . وبالنسبة للنوع الأول من العفو . . فقد تحدثت عنه بالتفصيل كل الكتب السماوية . . وتناوله بالشرح آلاف من المفسرين والشراح والفقهاء . . وتتجلى أسمى صور هذا العفو فى دعاء المذنبين فى صلواتهم وفى عباداتهم . . أن يتجاوز الإله عن سيئاتهم . . وأن يعفو عما اقترفته أيديهم من أعمال يحاسبون عليها .

أما المستوى الثانى من العفو . . هو « العفو الإنسانى » . . الذى أمكننا حصره فى نوعين أيضاً أو فى مستويين . . الأول . . هو العفو الفردى . . والثانى العفو العام . . أو العفو الجماعى . .

ونستطيع كذلك أن نقسم العفو الفردى . . إلى عفو شخصى يرتبط بإمكانات كل شخص ويتحدد وفقاً لمقدرته على قبول الضرر أو العفو عمن أساء إليه . ويمكن كذلك ألا يعفو . . وفى هذه الحالة يتمسك بحقه فى النيل ممن أساء إليه سواء بالطريق القانونى أو بطريق الأعراف .

وهناك نوع آخر من أنواع العفو الفردى . . وهو « العفو المعنوى العام » . . وهو يختلف اختلافاً كبيراً فى المعنى والوظيفة عن « العفو الشخصى » . وعادة ما يتعلق هذا النوع من العفو بالأداء الوظيفى . فهو يتصف بصفة الفردية رغم انتمائه إلى الصفة العامة لأن القائم على إصداره بالسلب أو بالإيجاب فرد يمثل جماعة ما . . وعلى سبيل المثال . . فإنك فرد فى أسرتك . . ولكنك قد تكون رب هذه الأسرة . . أو ربما تكون صاحب الرأى والمشورة داخل أفرادها . . ويكون لك الحق وحدك فى إصدار هذا العفو فيما لحق بهذه الأسرة أو بهذه الجماعة من إساءة تستحق المساءلة . . وهذا النوع من العفو يقترب كثيراً من العفو الجماعى أو « العفو العام » خاصة إذا ما كان الفرد المنوط به اتخاذ القرار شخصية تمثل المجتمع كله . .

وما نعنيه هنا فيما يخص موضوع كتابنا هذا هو « العفو العام الجمعى » الذى يترتب عليه قرار سيادى بشأن المعتقل السياسى أو المعتقل المفكر . . وطبعاً الذى يملك هذا القرار فى أغلب الحالات هو رئيس الدولة أو الحاكم الفعلى للدولة مع اختلاف التسميات .

وإن كان فى أغلب الأحوال يصطبغ هذا القرار بصبغة شخصية . . لذلك يحلو للبعض أن يحيله إلى المستوى الأول من مستويات العفو الإنسانى . . ونقصد به « العفو الفردى » . لأن الحاكم فى معظم الحالات التى عرفناها كثيراً ما يلجأ إلى قرار الاعتقال من تلقاء نفسه كوسيلة سهلة ومضمونة لإسكات المعارضين له سواء من السياسيين أو المفكرين . .وهو

فى نفس الوقت الذى يملك قرار العفو ، والذى بمقتضاه يعود هؤلاء إلى حياتهم الطبيعية من خلف القبضان .

والدليل على ذلك أنه لو كانت هناك حياة سياسية ديمقراطية بالمعنى الحقيقى . . لما لجأ الحاكم لمثل هذا الإجراء . . سواء بالاعتقال أو بالعفو ! . وكان سيحل محل هذا الإجراء تصدى المؤسسات المعنية بتطبيق القانون العام لكل من يثبت إدانته من السياسيين أو المفكرين . . بعيداً عن شبح الاعتقال العشوائى لمجرد إسكات الأصوات و إبعاد المعارضين من الطريق .

* * *

بهذه المقدمة الطويلة أرجو ألا نكون قد بعدنا كثيراً عن موضوع هذه الأوراق . . وهى خاصة بالحديث عن ذكريات أشهر السياسيين المصريين خلف القضبان . هؤلاء الذين ذاقوا مرار الاعتقال . . وعاشوا وراء الأسوار العالية على أمل صدور العفو من صاحب القرار الأول . . وقد يطول هذا الانتظار . . وقد يقصر . . وليس هناك فى مثل ذلك الأمر أى قياسات . . بل إنه متروك لمزاج الحاكم ولمن حوله من الذين يستشعرون أن خطر هؤلاء قد زال بوضعهم خلف القضبان . . وحتى عندما يتم إصدار قرار العفو . . يظل هؤلاء تحت بصر وسماع رجال الحاكم . . ومن الممكن جداً أن يعودوا من حيث خرجوا أول مرة . . بل من الجائز أن يتكرر هذا المشهد كثيراً . . وهذا ما حدث بالفعل لأغلب ضيوف هذه الأوراق من السياسيين المصريين المعاصرين وغير المعاصرين .

والكتاب الذى يضم هذه الأوراق . . حاولنا من خلاله أن يكون سجلا حيوياً لتجارب هؤلاء السياسيين خلف القضبان . . بالإضافة إلى أسئلة كثيرة تدور كلها حول هذا المعنى . . رأينا ألا نفصح عنها . . ونترك الحديث الخاص بها حتى نقترب من عالم كل شخصية من هذه الشخصيات . وقد راعينا كما فى الجزء الأول . . أن يكون هناك نوع من التنوع والتناغم فى الفكر السياسى الذى يمثل صاحبه . . والذى بسببه أصبح بين يوم وليلة خلف القضبان .

وقبل أن نتعرض لهذه الشخصيات ونقترب من عالمها أكثر . . نود أن ، نتوقف إلى حين

. . من أجل أن نعود إلى الوراء شهوراً طويلة حين انتهينا من إنجاز الجزء الأول من هذا الكتاب والذى صدر تحت عنوان « حكايتى مع السجن ـ مفكرون وقضبان » .

لقد كانت الفكرة المحورية للكتاب الأول أو الجزء الأول تدور حول تأثير تجربة السجن والاعتقال على الفكر المصرى بشكل عام والمفكر بشكل خاص . . وكان لنا من أجل الوصول إلى مدى هذا التأثير أن نغوص فى أعماق أحد عشر مفكراً . . نتحاور ونتشاور ونتناوش فى أحايين كثيرة . . وكان ضيوف هذه الأوراق من مختلف المدارس الفكرية ، والصحفية . . فقد ضمت الأساتذة مصطفى أمين ولطفى الخولى ومحمود السعدنى ومحمد حسنين هيكل والدكتور عبد الصبور شاهين والدكتور ميلاد حنا والروائى جمال الغيطانى . . والكاتب الصحفى صلاح عيسى والأديبة الدكتورة نوال السعداوى . . والكاتب والمؤرخ الأستاذ مختار السويفى . . بالإضافة إلى الكاتب الصحفى الأستاذ جمال بدوى رئيس جريدة الوفد .

وهؤلاء المفكرون كانوا هم أغلب العناصر الفكرية المصرية المعاصرة التى اصطدمت بفكرها وبأقلامها مع الحاكم . . الأمر الذى أدى بها فى النهاية إلى العيش لسنوات طويلة خلف القضبان .

ولقد حاولنا فى حواراتنا التى ضمت الجزء الأول أن تكون أغلب الأسئلة إنسانية وفكرية . . فى آن واحد . . لإيماننا بأن الفكر هو أعظم ما أنتجته الحياة الإنسانية على الأرض . وكان إحساسنا بالذنب كبيراً . . لأننا نعتقد أن مجرد ذكر السجن وأهواله كعقوبة لمثل هؤلاء المفكرين كان من وجهة نظر كاتب هذه السطور جريمة إنسانية بشعة . . ما دام الفكر لم يخرج عن نطاق الأوراق والأقلام . . ولم يأخذ جانب العنف أو الإرهاب . . ولكن هذا ما حدث . . ولقد شاركنى مرارة هذا الإحساس كلمات هؤلاء المفكرين وتعبيرات وجوههم التى كنت أسجل بعضها وأفشل فى تسجيل البعض الآخر . .

ونفس هذا الأسلوب قد آثرنا اتباعه مع الجزء الثانى ـ الذى هو حديث هذه الأوراق ـ لما وجدته من استحسان لدى القراء الذين استقبلوا الجزء الأول بحفاوة . . ولما فيه من وسيلة وجدوا أنها خير أداة للغوص فى أعماق السياسيين . . فما أعظم أن نتحاور بالكلمة الطيبة

بعيداً عن أى عوامل تأثير خارجية حتى ولو كان الخوف الذى من الممكن أن نراه ونلمسه ربما فى لون الأوراق التى نكتب عليها ! .

* * *

إن الجزء الثانى من كتاب « حكايتى مع السجن » والذى يضم تجارب كبار السياسيين المصريين . . هو نتاج حوارات حيوية أجراها معهم كاتب هذه السطور . . وقد لمس خلالها مدى الترحيب الشديد من جانب هؤلاء . . لاقتناعهم بوجهة النظر القائلة . . «بأن الحاضر يصنع المستقبل » . . وأن ما سوف يحكونه من واقع ممارسة حيوية من الممكن أن يكون سبيلاً نحو تغيير شامل لنظرة الناس والمجتمع والحاكم فيما يتعلق بالسياسى المعارض . . هذه النظرة التى تسود للأسف مجتمعات كثيرة غيرنا وتنتمى لنفس مجموعة دولنا المتخلفة . . والتى من النادر أن تراها أو أن تسمع عنها فى بلاد تسود فيها الديمقراطية الحقيقية . . هؤلاء الذين رسخت فى أذهانهم فكرة أنه « ليس لأنك معارض فإنك عدو للمجتمع » . . بل فى كثير من الأحيان تجد أن المعارضة تقدم الحلول المعقولة . . الصادرة عن رغبة مؤكدة لإقناع رجل الشارع بأنهم الأحق بكرسى الحكم الذى هو الهدف الأساسى لنشاطهم !

* * *

وبقيت لنا نقطة واحدة لا بد من إلقاء الضوء عليها . . قبل أن نترك هذا الحيز ونفرغ للحديث . . الذى هو صلب موضوع هذه الأوراق .

وهذه النقطة تتعلق بأمرين : الأول خاص بنقل الإحساس العام لتلك الحوارات . . من حيث الفرق بين الجو الذى ساد إجراء ما قبلها من حوارات كانت تخص المفكرين ونشرناها فى الجزء الأول . . وبين أجواء هذه الحوارات التى خصت السياسيين وحدهم .

لقد اكتشفنا بالفعل أن هناك فارقاً شاسعاً بين المفكرين وبين السياسيين فيما يتعلق بهذا الأمر . . وهذا الفرق ربما نابع من اختلاف طبيعة عمل كل منهم رغم أن النتيجة التى يسعون لتحقيقها تكاد تكون واحدة . وتلتقى فى طريق تحقيق الأفضل . . سواء بالكلمة أو بالممارسة السياسية !

ولسوف تشعرون خلال الصفحات القادمة بصدق هذا الإحساس وهذه الرؤية التى اتسم بها الحوار مع أغلب هؤلاء السياسيين . .

لقد واجهنا العديد من الصعاب أثناء إجراء هذه الحوارات . . ليس فقط فيما يخص الرغبة فى الحصول على كل ما نريده من وراء كل سؤال . . ولكن أيضاً فى نظرة السياسى المتحاور معنا للسؤال ولكلماته ولمعانيه . . للدرجة التى كنا فيها كثيراً ما نعيد السؤال بأكثر من صيغة وبأكثر من طريقة ! . وكثيراً ما كنا نفشل أيضاً فى ذلك . . الأمر الذى كان يجعلنا نستسلم لما يقوله السياسى المتحاور معنا حتى ولو كان خروجاً عن نص السؤال . .

والسؤال الذى بقى أكثر أسئلة الحوار فتحاً لشهية المتحاور معنا . . هو « كم مرة دخل فيها السجن ـ ولماذا ؟! » . وكأنما قد خاب ظننا فيما كنا نخشاه من إلقاء مثل هذا السؤال على شخصية سياسية مرموقة . . عاشت طويلاً وحققت العديد من الانتصارات فى عالم السياسة للدرجة التى جعلتها تتقلد أرفع المناصب الوزارية واليوم تعيش هذه الشخصية فوق قمة الهرم السياسى فى محيط الحزب أو الدائرة الانتخابية .

لقد كان المتحاور معنا يتكلم عن هذه التجربة بمتعة غريبة . . وكثيراً ما كان يمزج بينها وبين المكاسب السياسية التى حققها . . الأمر الذى جعلنا نعتقد أن عقوبة الاعتقال والسجن . . هى عقوبة مرادفة للعمل السياسى . سواء المعارض أو المؤيد . . وكل ذلك وأكثر سوف نلاحظه مع كل كلمة من كلمات وإجابات المتحاورين داخل هذه الأوراق .

وأيضاً من الفروق الواضحة التى لمسناها جيداً فى حواراتنا السابقة مع المفكرين . . أنهم كانوا أكثر عنفاً وحدة حين تتعلق إجاباتهم بالحديث عن عقوبة السجن كمقابل لعقوبة الفكر والاشتغال بالعمل العام المرتبط بالكلمة والصورة والفكرة . . وكانوا يرون أن مثل هذه العقوبة لا يجب أن تتكرر فى حياتهم مهما كان الثمن . بعكس رجال السياسة الذين عبرت إجاباتهم عن مدى ما يدور بداخلهم من هدوء النفس . . والحنكة حتى فى انتقاء الكلمات التى تعبر عن ذلك الهدوء الغريب . . وأيضاً ربما يكون السبب فى ذلك . . هو الممارسة السياسية الطويلة خلف الكواليس وأمامها . . واقتناع هؤلاء بأن رجل السياسة

الذى يعمل فى وسط مجتمع ينتمى أفراده إلى العالم الثالث . . حتما عليه أن يتوقع مثل هذه العقوبة . . ليس مرة واحدة . . بل العديد من المرات ! .

ولا أكتم سراً حين أقول . . إننى وجدت صعوبات متعددة فى إتمام العديد من هذه الحوارات . . ولكنى مع الإصرار نجحت فيما أردت أن يكون . . فقد كنت كثيراً ما أفاجأ وسط الحديث باعتذار رقيق للقاء آخر ! . ومع تمسك رقيق أيضاً من جانبى كان يتم اللقاء إلى نهايته . . ولكن بشرط يفرضه المتحاور السياسى . . وهو أن أخفف من الأسئلة أو أختصرها ! . .

وكنت أحياناً أنجح فى الإفلات من هذا الشرط . . ولكننى كثيراً ما كنت أستسلم لإرادته وإلا . . الاعتذار للقاء آخر . . الذى ربما لن يتم ! .

* * *

أما الأمر الثانى الذى يتعلق بهذه النقطة الأخيرة . . نقصد به تلاوة أسماء ضيوف هذه الأوراق . . وقبل أن يتم ذلك . . أريد أن أؤكد على أننى قد اخترت هؤلاء الضيوف بعناية وتركيز من حيث اختلاف المذاهب السياسية وكذلك المناصب والأحزاب . حتى يتحقق الغرض المرجو من وراء هذه الحوارات كما أكدنا على ذلك من قبل .

كما أننى ومثلما فعلت من قبل فى الجزء الأول . . قد اخترت هؤلاء الضيوف من السياسيين المصريين المعاصرين . . الذين لا يزالون يمشون بيننا تاريخاً حيوياً . . والفرق كبير ، بين أن تكتب عن تجربة سياسى قد رحل عن عالمنا وبين أن تكتب عن سياسى لا يزال يثرى حياتنا السياسية حتى الآن . . هذا الفرق يكمن فى الإحساس والأهمية والقيمة . وهذا ما حرصنا عليه منذ بداية اللقاء فوق أوراق « حكايتى مع السجن » .

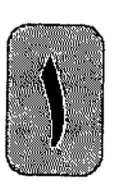
والتاريخ كما نعرف يحوى آلافاً من قصص رجال السياسة الذين عاشوا هذه التجربة . . والقليل منهم من عبر عنها بقلمه قبل الرحيل . لذلك كان هدفنا الأساسى فى هذه الحوارات أن تكون مع السياسى المحترف الذى لا يزال يعيش داخل حياتنا السياسية وحياتنا العامة . . وقد كان . .

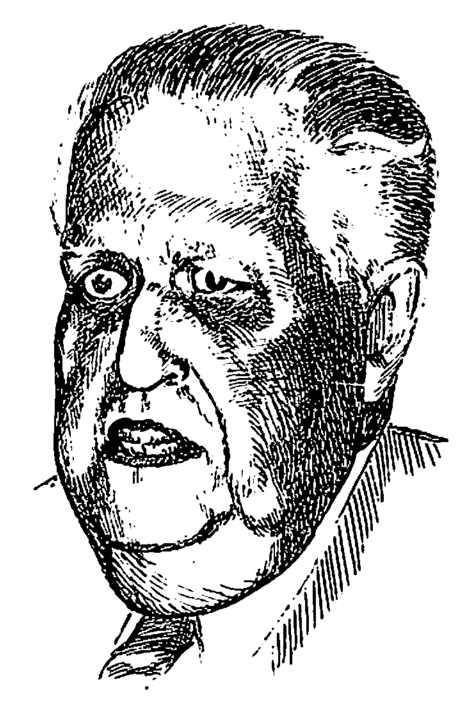
إلا أننا قد اضطررنا فى بعض هذه الحوارات ـ وقد يكون حواراً أو أكثر ـ أن نجريها مع اثنين من السياسيين المصريين الذين رحلوا عن عالمنا ، وتركوا وراءهم بعض ما كتبوه عن هذه التجربة . . لأننا رأينا أنه بدونها لن تكتمل الصورة . . ومن الممكن أن يصيبها بعض الظلال التى يفسد بهاؤها ومنظرها . وهؤلاء هم السادات وعلى صبرى . . وكل منهما غنى عن التعريف . . أما دورهما وحياتهما السياسية وتجربتهما مع السجن والاعتقال فسوف يكون لنا معها وقفات متنوعة من خلال أسئلة الحوار التى صنعناها خصيصاً لهم ! .

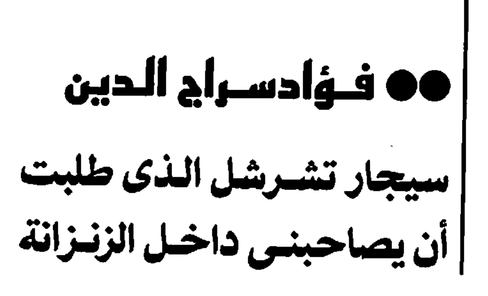
أما بقية الصحبة السياسية داخل هذه الأوراق فهم بدون ترتيب مسبق . . فؤاد سراج الدين رئيس حزب الوفد الجديد وإبراهيم شكرى رئيس حزب العمل وضياء الدين داود رئيس الحزب الناصرى . . بجانب ذلك هناك سياسيون آخرون ينتمون إلى هذه الأحزاب منهم إبراهيم فرج سكرتير عام حزب الوفد وعلى سلامة عضو اللجنة العليا للوفد وعضو مجلس الشعب الذى تم إسقاط عضويته بسبب الخناقة المشهورة بينه وبين اللواء زكى بدر وزير الداخلية السابق . والدكتور محمد حلمى مراد نائب رئيس حزب العمل وأحمد طه السياسى اليسارى المعروف وعضو مجلس الشعب عن دائرة شبرا والوزير محمد فايق . . آخر وزراء الاعلام فى العهد الناصرى .

وعلينا منذ اللحظة التى نتتهى فيها من قراءة آخر كلمات حديث العفو . . أن نهيىء النفس والذهن لاستقبال حديث شرائط التسجيل التى حملت إلينا تفاصيل هذه الحوارات . وطبعاً أنا معكم . .









●● فؤاد سراج الدين

سيجار تشرشل الذى طلبت أن يصاحبنى داخل الزنزانة

حين جلست منفردًا بينى وبين نفسى . . من أجل تحديد أسماء ضيوف هذا الحوار . . رأيت من باب الإنصاف أن يكون على قائمة هؤلاء الضيوف فؤاد سراج الدين السياسى المصرى المعاصر . . الذى حمل فوق أكتافه تاريخًا وطنيًا مشرفًا منذ ارتباطه بالعمل السياسى لأول مرة حين اختار حزب الوفد تحت رئاسة مصطفى باشا النحاس من أجل أن يكون طريقه نحو عالم السياسة الواسع . . دون غيره من الأحزاب التى كانت تثرى حياتنا السياسية منذ أن عرفت مصر الطريق الصحيح للأخذ بالنظام الديمقراطى وهى تحت سيطرة الاستعمار البريطانى .

وأقول تاريخاً وطنياً مشرفاً لأننى حين اخترت طريق القراءة والتثقف بعيداً عن كتب وزارة التربية والتعليم التى كثيراً ما شوهت تاريخ العديد من السياسيين المصريين لصالح التغيير السياسى والعسكرى الذى وقع بفعل ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ . . قد اكتشفت أهمية هذا الدور الوطنى فى حياة مصر المعاصرة والذى خرج من عباءة فؤاد سراج الدين . . وقت أن

كان يقود الفدائيين فى قتالهم بمنطقة قناة السويس حتى يرحل الإنجليز . وللأسف وبعد مرور أكثر من عشرات السنين على هذا الدور الوطنى البارز بدأت تظهر كتابات هنا وهناك أنصفت هذا الرجل وبينت لنا الدور الكبير الذى لعبه آنذاك .

ولقد عرفت فيما بعد أيضاً أن خير جزاء نال هذا الرجل على هذا الدور الوطنى وغيره من الأدوار البارزة التى أداها من خلال موقعه داخل حزب الوفد هو وضعه فى السجون معتقلاً بعد شهور من قيام حركة ٢٣ يوليو ، وحتى غروب شمس نظام عبد الناصر . . وما كاد يلتقط أنفاسه خارج القضبان بعد سنوات الهوان التى عاشها سجيناً خلف الأسوار العالية . . حتى عاد إلى هذه القضبان من جديد . . وكانت التهمة الرئيسية هى رغبته كسياسى مخضرم فى استعادة موقعه داخل الشارع السياسى المصرى بالطرق القانونية المشروعة فى ظل الحياة الحزبية التى أعادها الرئيس السادات منذ بدأ التفكير فى تكوين المنابر حتى حركها إلى أن صارت أحزاباً .

وحين وقع اختيارى على فؤاد سراج الدين كضيف فى هذه الحوارات . . كان يحركنا فى هذا الاختيار ما بين السلب والإيجاب ما قرأته عن ماضى هذا الرجل الذى ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالحركة الوطنية المصرية التى كان رائدها الأول سعد زغلول ومن بعده مصطفى النحاس وآخرين بصرف النظر عن الانتهاء الحزبى . .

هذا عن الجانب الإيجابى . . أما الجانب السلبى الذى طغى على هذا الاهتمام وساعد على بناء حاجز من الصخر معجون بالحديد الصلب بين جيلنا الذى ارتبط بثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ وبين جيل هؤلاء الرواد من السياسيين الأوائل ـ هو ذلك الكم الهائل من المعلومات التى اكتشفنا أنها مزيفة . . والتى كانوا يحشون بها أدمغة التلاميذ منذ نعومة أظافرهم حتى باتوا إلى وقت غير بعيد ـ ينظرون إلى بقايا هؤلاء السياسيين على أنهم من أصحاب سوابق الحياة الحزبية المتعفنة كما كان يحلو لرجال الثورة أن يصفوهم فى مناهج الدراسة التى وضعت خصيصاً من أجل هز صورة هؤلاء فى عقول الجيل الجديد . وبالطبع كان كاتب هذه السطور من بين هؤلاء الذين ظلت هذه الصور المشوشة عالقة فى الذهن إلى وقت غير بعيد . .

وكثيراً ما سعيت للتعرف على حقيقة الدور الذى كان يؤديه حزب الوفد ورجاله من خلال رؤية ورواية تاريخية حقيقية . هذه الرؤية للأسف لم تظهر إلا خلال السنوات الأخيرة. ولم يكن دافعى نحو ذلك شخص فؤاد سراج الدين أو غيره . وإنما كان دافعى الحقيقى هو الوصول إلى أصدق روايات التاريخ المصرى المعاصر بعيداً عن تحيز أو غرض غير قومى .

ولقد ظللت لسنوات طويلة قريباً من حزب الوفد . . ومع ذلك لم أسع ولو مرة واحدة للقاء فؤاد سراج الدين . . وكنت كثيراً ما أرى الرجل متماسكاً بقوة وهو يعبر المسافة القليلة فى الطريق المؤدى إلى سيارته . . رغم سنوات العمر التى تعدت الثمانين . . والهموم التى عاصرها . حتى جاء موعد هذا الحوار . .

وحين طلبت موعداً للقائه . . لم يمانع . . بل رحب بفكرة مثل هذه النوعية من اللقاءات التى تخرجه من هموم الحاضر . . وتعيده إلى أمجاد الماضى حتى ولو كانت خلف القضبان . ولسوف نعرف جميعاً الفرق الشاسع بين ما كان عليه السياسيون المصريون فى الماضى حتى وهم خلف القضبان وبين ما أصبحوا عليه وهم خارجها . . وذلك من خلال ما رواه لنا الرجل بصدق وتلقائية وشفافية الإنسان المصرى . وحنكة رجل السياسة الذى تقلد المنصب الوزارى ثلاث مرات كان آخرها قبل الثورة بأشهر معدودة .

ولن أطيل عليكم أكثر من ذلك فأنا على يقين أنكم قد أصبحتم مثلى فى شوق كى نبدأ رحلتنا مع شريط التسجيل لتفريغه ونقل تفاصيل ما جاء به على لسان فؤاد سراج الدين وحكايته مع السجن كسياسى مصرى . . والحوار طويل . . والأسئلة مشوقة ومرهقة وتتسم أحياناً بسخونة الحدث وذكريات الماضى القريب . وهى رغم اقترابها كثيراً من تجربة السجن فى حياة السياسى إلا أنها لم تبتعد كثيراً عن واقع ما نلمسه الآن من قضايا معاصرة يصعب التعرف على أبعادها بدون الرجوع إلى الماضى القريب والبعيد .

ولعلها دعوة موجهة إليكم للمشاركة فى الاستماع حين يدور شريط التسجيل وقراءة ما بين هذه السطور حين يتوقف الدوران . . فهيا بنا نبدأ سوياً . . فور الانتهاء من قراءة آخر حرف فى هذه المقدمة التى تنتهى بمجرد أن نضع نقطة فى آخر الفقرة .

وقد كان . . وبدأ الشريط فى الدوران . . وخرج صوت فؤاد سراج الدين معلناً بداية تلقى الأسئلة . . واستعداده للإجابة .

❊ ❊ ❊

ملحوظة : وقبل أن يدور الشريط فى هذا اللقاء . . تذكرت ذلك الموقف الصعب الذى تعرضت له . . فى المرة الأولى . . فقد نسيت أن أقول لكم أن الموعد الذى سجلنا فيه هذا الحوار كان الموعد رقم اثنين . . ومن قبله كان موعد آخر . اتفقنا خلاله على أن يبدأ الحوار بعدما ألغى فؤاد سراج الدين كل ارتباطاته داخل الحزب وداخل جريدة الوفد . وبعد مرور أكثر من ربع ساعة من دوران شريط التسجيل . . وبعد التقاط صور اللقاء . . اكتشفت أن الشريط لم يتمكن من التسجيل . . وكان موقفاً حرجاً !! فنظرت إلى الرجل . . فعرف ما بداخلى من كلمات أريد أن أخرجها للاعتذار . . ولم يكن أمامى سوى طريقين . . الأول إما أن أكتب ما يحكيه . . وإما أن أعتذر عن هذا اللقاء . . وأطلب مقابلة أخرى . .

وتوقفت نظرات هذ السياسى المجرب فوق وجهى . . حيث عرف بالمطلب الثانى . . وبهدوئه السياسى الكبير . . رفض قبول أى اعتذار من جانبى لما بدر من التسجيل فى هذا الموقف . وأخرج « نوتة » المواعيد الشخصية . . وسجل بها موعداً جديداً لهذا اللقاء وكان بعد عدة أيام . . وفى الميعاد الجديد حضرت ومعى أكثر من جهاز تسجيل اتقاء لشر هذا الموقف المحرج . . وكان هذا الحوار .

❊ ❊ ❊

● ليسمح لنا فؤاد باشا سراج الدين أن نذكره بنهاية الكلام فى الحديث السابق الذى لم نتمكن من استكماله . . ونسأله عن حكايته مع السجن . . وكم مرة دخل فيها المعتقل؟!

●● المرة الأولى كانت عام ١٩٤٥ . . ولم تكن سجناً بالمعنى المتعارف عليه لقد كانت مجرد تحديد إقامة فى بيتى وفى قريتى بكفر الجرايدة مركز بيلا . . واستمر ذلك نحو ثلاثة أشهر . . وتحديد الإقامة كان معناه مفيش زيارات . . وفيه حراسة شديدة .

● أشبه بالاعتقال نقدر نقول ؟ !

●● هو بالفعل اعتقال . . أما ثانى مرة كانت قبل الثورة فى عام ١٩٥٢ . . وبعد إقالة حكومة الوفد . . وكانت فى مارس من نفس العام حيث حُددت إقامتى فى بيتى أيضاً . . واستمر تحديد الإقامة هذه المرة من مارس حتى منتصف يوليو . يعنى تم الافراج عنا . . قبل الثورة بأيام . . وقد تمت أيضاً تحت الحراسة فمنعوا الزيارات ومنعوا عنا الاتصال بالخارج .

أما بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو فقد تم اعتقالى من ٤ إلى ٥ مرات . . ولكن الاعتقال فى هذا التاريخ كان يتم داخل السجون وخلف القضبان . لذلك أقول لك : إن حكايتى مع السجن قد انقسمت إلى مرحلتين . . الأولى كانت قبل تاريخ ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ . . وفيها كان الاعتقال يتم فى المنازل بما يعنى تحديد الإقامة . . أما المرحلة الثانية كانت بعد هذا التاريخ . . وفيها كان يتم الاعتقال خلف الأسوار العالية . يعنى داخل السجون . وهذه المعتقلات كانت على ما أذكر سجن القناطر وسجن مصر وليمان طرة والسجن الحربى . . وكانت المعاملة بالنسبة لنا كسياسيين تتم بشكل يتجاوز معاملة المسجونين العاديين من القتلة والحرامية . . لقد كان المسجون العادى يتمتع بمزايا لم نكن نتمتع بها نحن السياسيون . . ويحضرنى هنا قول كنت كثيراً ما أضحك منه ، فحينما كنت أعترض على سوء هذه المعاملة . . كانوا يقولون لى : « يا أفندم إنت مش مسجون لا سمح الله . . أنت معتقل !! » .

● ومتى كانت هذه الواقعة يا فؤاد باشا ؟!

●● كانت فى عام ١٩٦١ . . والمهم . وتعليقاً على القول الساخر السابق « بأننا لا سمح الله لسنا من المساجين . . بل من المعتقلين » !! ألبسونا أنا وإبراهيم باشا فرج بدلة المساجين . . وأخذوا لنا فيش وتشبيه . . ووضع لنا صحيفة سوابق . . وطبعاً لا فرق فى هذه الإجراءات بيننا بين المساجين أصحاب السوابق والمجرمين .

وكانت من أشد مرات سوء المعاملة . . ما حدث لنا فى عام ١٩٨١ . . وهى الفترة التى تمت فيها الاعتقالات التى أطلقوا عليها اعتقالات سبتمبر . . أيام الرئيس السادات

. . وقد قضيتها فى ليمان طرة . . واستمرت عدة أشهر . . وأنا أعتبرها من المرات القاسية التى مرت بى داخل السجن من حيث المعاملة وكما هو معروف فقد ظللت بالسجن حتى أفرج عنا الرئيس مبارك .

● وهل كانت هناك أسباب واضحة للاعتقال فى كل مرة سواء قبل الثورة أو بعدها ؟!

●● المرة الأولى . . كانت بعد إقالة حكومة الوفد فى أكتوبر عام ٤٤ ـ ١٩٤٥ وبعد تولى حكومة المرحوم أحمد ماهر . . وكان السبب الظاهرى للاعتقال هو الحد من نشاطى السياسى . . ولم يكن هناك اتهام معين . وبطبيعة الحال . . كان كل نشاطى السياسى فى تلك الفترة مرتبط بحزب الوفد . أما المرة الثانية فكانت بعد تولى المرحوم على ماهر الحكم عام١٩٥٢ . . والاعتقال فى هذه المرة كان بناء على تعليمات من الإنجليز ـ الذين طلبوا اعتقالى أنا وعبد الفتاح باشا حسن لموقفنا من معارك القناة ومساعدتنا للفدائيين ـ وللتاريخ أقول إن على ماهر باشا قد رفض هذا الطلب . ولكن حين تولى نجيب الهلالى باشا الحكم من بعده . . وافق على هذا الطلب . . فحدد إقامتى بمنزلى . . وعبدالفتاح باشا حسن فى منزله بمدينة بسيون . . واستمر تحديد إقامتنا حتى جاء سرى عامر إلى الحكم فى يوليو عام ١٩٥٢ . . فأفرج عنا .

هذا بخصوص الحديث عن أسباب اعتقالى فى المرحلة الأولى . . أما فى المرحلة الثانية والتى بدأت كما قلت لك بعد تاريخ ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ . . فكان القصد منها والهدف أيضاً هو الحد من نشاطى السياسى . . حيث كنت وقتها سكرتير عام الوفد . والثورة فى هذه الفترة كانت تريد تأمين نفسها ضد أى نشاط سياسى . . ومرة واحدة من مرات الاعتقال العديدة كانت تنفيذاً لحكم صدر من محكمة الثورة فى عام ١٩٥٤ . لقد حكموا علينا فى هذه القضية بالأشغال الشاقة مدة خمسة عشر عاماً . والسبب الرئيسى فى هذا الاعتقال وهذه المحاكمة . . كان فى الأصل إجراءً وقائياً لتأمين الثورة .

لكن الغريب هنا أننى فى الفترة التى كنت أقضى فيها هذه العقوبة خلف القضبان . . كنت أعامل معاملة راقية ومتقدمة كثيراً عما لاقيته فى المرات السابقة وأنا معتقل سياسى بعد ٢٣ يوليو . لقد كان ذلك منتهى التناقض . . وربما يكون السبب فى ذلك أنهم كانوا

يشعرون أننى سجنت بلا اتهام . . لقد كانت بالفعل المعاملة حسنة إلى حد كبير . . فقد سمحوا لنا بالطعام من الخارج . . وبالاستعانة بعامل « المساج » الخاص بى . . يعنى تقدر تقول إنها كانت فترة أشبه بتحديد إقامة رغم صدور حكم محكمة ضدى !! .

وفيما عدا ذلك كانت كل المرات المتلاحقة سجناً بالمعنى المعروف ، خاصة بعد فترة عام ١٩٥٤ . لقد دخلت السجن الحربى عام ١٩٦١ رغم أنه كان سجناً مخصصاً للعسكريين . لقد كانت فيه المعاملة فى منتهى السوء والقسوة . وإليك الأمثلة : النوم على «البرش» والحبس الانفرادى والالتزام بوجبات طعام السجون . لقد كانت بحق فترة قاسية وبكل المعانى . وكانت أشد هذه المرات ما وقع لنا خلف القضبان عام ١٩٨١ . . تلك المرة التى لم يكن لها سبب ظاهر على الإطلاق . . لقد كانت حركة اعتقالات شاملة نفذها السادات ضد العديد من عناصر المجتمع من السياسيين والصحفيين ورجال الدين . . لقد كانت عملية اعتقال واسعة وغير موفقة . . وطبعاً انتهت كما نعرف إلى اغتياله . .

● وهل تتذكرون بعض الصور التى ما زالت حية فى داخلكم بخصوص الحياة خلف القضبان ؟! .

●● من أهم هذه الصور . . ما حدث لنا فى عام ١٩٦١ حين تم اعتقالى فى هذه الفترة للمرة الثالثة أو الرابعة لا أتذكر . . المهم لقد اعتقلوننى أنا وإبراهيم باشا فرج بعد منتصف الليل وجاءوا بنا إلى سجن القناطر . . وقد لاحظت أن ضباط البوليس الذين يحملون لى تقديراً خاصاً لما قدمته لهم من إنجازات فى مجال الشرطة منذ عام ١٩٤٢ وخاصة قانون تنظيم هيئات البوليس ، لاحظت أنهم مضطربين للغاية . يتحدثون فى تليفونات هنا وهناك . . وبصفتى وزير داخلية سابق . . عرفت ما يحدث . . لذلك ناديت على أحد هؤلاء الضباط . . كى أتأكد بنفسى من أسباب هذا الاضطراب . ولما رفض تأدباً منه أن يخبرنى قلت له : أنا أقول لك السبب . . هم طلبوا منكم أن نرتدى ملابس السجن وأنتم تعرفون أننا سياسيون . . ولسنا مسجونين أو مجرمين . . وتريدون أن تعفونا من هذه الملابس . . لكن لوائح السجن لا تسمح بذلك ! . فقال بصدق : فعلاً يا افندم . . ده سبب الاضطراب ! . فقلت له : لا عليك نفذ اللوائح . . لكن لنا طلب واحد . . هو أن

تساعدونا فى انتقاء ملابس للسجن تكون نظيفة . . وكذلك على المقاس . فرد على الفور بأنه سوف يحضر خياط السجن لتفصيل بدلتين جديدتين لى ولإبراهيم باشا فرج . ولتسمح لنا بإحضار الخياط الساعة الرابعة صباحاً . . قبل حضور مأمور السجن . أو أى مسئول آخر من أمن الدولة . . وبالفعل حضر الخياط فى الرابعة صباحاً وأخذ المقاس طولاً وعرضاً فقط !! . والحقيقة كان القماش جديداً من « البالة » . . وكانت دى أسرع بدلة فصلتها فى حياتى ! . لقد انتهى الخياط من التفصيل وتسلمناها بالفعل بعد نصف ساعة فقط !! .

وأيضاً من الصور التى لا أنساها فى هذه المرة . . تمسكى بأن آخذ سيجاراً كى أدخنه داخل الزنزانة !! . ولهذا السيجار قصة . . فقد طلبت من الضابط المسئول أن يسمح لى بأخذ سيجار واحد فقط من بين متعلقاتى التى أخذوها بعد دخولنا السجن . والحقيقة أنه وافق . . بشرط أن يرسل أحد العساكر فى الصباح الباكر من أجل أن يمحو أثر « طفى السيجار » من فوق أرضية الزنزانة !! . ليس هذا فقط بل صحبنى إلى الزنزانة وأضاء لى عود الكبريت . . وأشعل لى السيجار . . ثم تركنى وأغلق وراءه باب الزنزانة . . فوجدت فى المكان « بورش » . . أو بطانية قديمة ينام عليها المسجون . .

● **وهل كانت زنزانة انفرادية يا فؤاد باشا !!**

●● أيوة . . كانت انفرادية . . ولم يكن بها أحد من قبل . .

المهم . . وجدت هذه البطانية القديمة . . فكيف أنام وأنا لا أعرف ما بها ؟! . . لذلك أخذتها وقمت بثنيها عدة لفات صغيرة حتى صارت أشبه بالوسادة عندئذ جلست فوقها وأسندت ظهرى للحائط . . ثم أخذت فى شرب السيجار ـ وكان سيجاراً كبيراً ـ ولم أنته منه إلا فى الصبح ! .

وفى هذه الأثناء كان إبراهيم باشا فرج . . الله يستره . . فى غاية القلق علىّ . . فقد كان يعرف أننى مريض بالسكر . . فأراد أن يطمئنَّ على حالتى . . فأخذ يدق على باب زنزانته صارخاً فى الحارس من أجل أن يفتح له للذهاب إلى دورة المياه ! . وبالفعل فتح له وأخذه لقضاء حاجته . . وهو فى الطريق طلب من الحارس أن يتوقف به للحظات أمام زنزانتى

من أجل الاطمئنان على فؤاد باشا . . هكذا قال إبراهيم باشا فرج للحارس ولمدة ثانية واحدة . . وبالفعل تأثر الحارس بحالة إبراهيم باشا وحقق له ما أراد . . ففتح له زنزانتى فى ساعة متأخرة من الليل وبعد عدة خطوات فوجىء إبراهيم باشا بى أجلس القرفصاء وأنفث فى دخان السيجار فى متعة غريبة . لقد كان المشهد بحق مثيراً للغاية . . فقد رأى مسجوناً يجلس على الأرض بملابس السجن ويدخن سيجار تشرشل ! . ولقد شكرت صنيع هذا الضابط ، لأنه سمح لى بهذه الهدية الغالية . . وبهذه المتعة وسط أهوال السجن .

● **وهل ما زلتم تتذكرون هذا الضابط ؟!**

●● لا والله . . لا أتذكره . . ولم ألتق به بعد ما خرجت من السجن .

● **وما هى نوع العلاقة التى كانت بينكم وبين بعض ضباط السجن الآخرين ؟! .**

●● كانت هناك فعلاً علاقات طيبة داخل السجن الحربى الذى كان يتسم بالصرامة والقسوة . . فقد دخلته معتقلاً عام ١٩٦١ . والدليل على علاقتى الطيبة مع الضباط داخل هذا المعتقل . . أننى حين وصلت إلى أبواب السجن لما قبضوا علينا فى هذه المرة ساعة المغربية ، فوجئت بضابط شاب يتقدم طالباً منى فى غاية الأدب أن أتخلى عن ذلك السيجار الذى كان فى يدى لحظة وصولى . . والذى كنت قد اصطحبته معى منذ خروجى من بيتى . لقد أصر ذلك الضابط فى حياء أن أترك هذا السيجار . . فنزلت على رغبته . . ولقد عرفت فيما بعد أن سبب إصراره هذا كان نابعاً من خوفه علينا . . وحتى لا يصيبنا التعذيب الذى كان يراه ليلاً ونهاراً ضد المساجين داخل هذا السجن اللعين . . لما كان يراه بنفسه من ألوان مختلفة من العذاب الذى كان يصيب السياسيين المعتقلين وغيرهم فى ذلك الوقت . وبالفعل تخلصت من السيجار على الأبواب .

● **وماهى الشخصيات التى عاملتكم بعنف داخل السجن ؟**

●● من هذه الشخصيات . . شاويش جاءنى بمجرد النزول من سيارة السجن وطلب منى أن أحمل شنطة سفر كبيرة كنت قد أتيت بها من منزلى . . وكنا وقتها فى فصل الشتاء . . وأمام إصراره على ذلك أخذت أجرها فوق أرضية السجن المغطاة من الرمال . .

فقد رأيت أن ذلك هو الحل فى مثل هذه الأمور ! . وحدث ذلك فى فناء السجن عندما وقفنا فى طابور طويل . . المهم أخذنى هذا الشاويش ومعى الشنطة المجرورة على الأرض . . ووقفت أمام أحد المكاتب التى خرج منها شاويش آخر يحمل فى يده كرباج يضرب به كل من يقابله من المسجونين . .

وحين اتجه ناحيتى أمرنى بالجلوس على الأرض فاعتذرت . . ويبدو أن حالتى الصحية أقنعته بهذا الرفض وإلا لكان العقاب من الكرباج . . وبعد أن وقفت بمفردى ساعة كاملة فى هذا الجو القارس فى ليل الشتاء الطويل . . أخذوننى إلى مكتب يجلس أمامه شاويش ثالث ، كانت مهمته هذه المرة تفتيش الشنطة والاستيلاء على كل محتوياتها . وقد دار بينى وبينه حوار . . ما زالت كلماته تدوى فى أذنى إلى الآن . . ودعنى أذكره لك . . فى البداية سألنى : اسمك إيه ؟! . . قلت له : فلان . . قال بعنف وبقسوة . . بتشتغل إيه؟! . قلت له : لا أعمل !! . قال يعنى إيه لا تعمل ! . كنت قبل ما تيجى السجن بتشتغل إيه ؟! . . قلت له : كنت بشتغل وزير ! . . قال : يعنى إيه وزير؟! . [ضحكات بصوت مرتفعة] . . والحق أنه قد وضعنى فى مأزق . . فأخذت أبحث عن كلمة قريبة إلى فهمه وخشيت أن أقول له على سبيل المثال زى عبد الحكيم عامر . . فيتصور أننى أهزأ به . . فانتظرت كى أبحث عن كلمة تقرب هذا المعنى إليه . . إلا أنه قد أخرجنى من هذه الورطة . . حين انطلق قائلاً : آه . . آه . . يعنى قاضى واللا محامى!! . . وكأننا وجدت ضالتى . . فقلت له : أيوه هو كده بالضبط !! .

وتصورت أن الأمور قد مرت على خير إلى هذا الحد . . إلا أننى فوجئت به يضع أمام الترابيزة التى يجلس أمامها علبة السيجار التى كانت معى . . وسألنى . . إيه ده ؟! . فقلت له « سيجار » ؟! . . قال يعنى إيه سيجار !! . . وهذه ورطة أخرى . . ومن أجل الخروج منها سألته إن كان يدخن السجائر فقال : أيوه . فقلت له . . دى سيجارة بس طويلة شوية !! . ومن أجل أن أؤكد له هذا المعنى . . قلت : : خد سيجار . . فقال مداعباً : يا بوى . . دا يحتاج إلى علبة كبريت كبيرة علشان يولع !! . وانتهى هذا الموقف على خير أيضاً . . ويبدو أنه قد استراح لسرعة إجابتى له . . فأمر أحد العساكر الواقفين بجواره أن يدخلنى زنزانة بالدور الأول . . وكان السجن وقتها من أربعة أدوار . .

فانطلقت أشكره على هذا الصنيع لأننى كنت أشكو من آلام فى ركبتى . . وربما تعوق حركتى فى الصعود . . إلا أننى فوجئت به ينادى على نفس العسكرى ويأمره بتعديل مكان الزنزانة . بحيث تكون فى الدور الرابع بدلاً من الدور الأول ! ! فندمت بشدة لأننى شكرته . . فربما فهم كلمات الشكر على أنها سخرية ! . ومن يومها . . عرفت قيمة الحكمة التى تقول : « إن كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب » ! .

● **معنى ذلك أنه كان جاداً فى تعديل هذا القرار ؟ ! .**

●● طبعاً . . لقد نفذ العسكرى الأمر الأخير . . وأخذنى وأنا وراءه إلى زنزانة بالدور الرابع . . وبعد رحلة عذاب استغرقت صعود السلالم . . أدخلنى فى زنزانة مظلمة . . كل ما بها « بُرش » أنام عليه . . وقدرتين . . واحدة بها ماء أشرب منه . . والأخرى أقضى فيها حاجتى ! ! . ولأننى أحب الماء جداً . . كان لا بد لى من الاطمئنان على مصدر هذا الماء . . لذلك فعلاً لم أستطع أن أتبين أيهما « القدرة » التى بها الماء ! ! أو أيهما « القدرة » التى كان المسجون السابق يستخدمها فى قضاء حاجته . . لذلك رفضت أن أشرب حتى الصباح . .

ولقد ظللت على هذه الحالة حتى الصباح . . حين فتحوا الزنزانة وجاءوا لنا بطبيب . . وبكل فظاظة وقسوة سألنى عن حاجتى . . فلم أرد عليه نظراً لهذه المعاملة حتى فى الألفاظ . . ونظراً لإلحاحه على توجيه السؤال لى بأن أطلب ما أحتاجه . . طلبت منه أن أشرب ! ! . فأشار إلى « القدرتين » . . إلا أننى أبلغته بأنهم « قالوا لى ذلك بالأمس . . وأنت كما ترى الآن لا تستطيع أن تفرق بين أيهما التى بها ماء من غيرها » ! . ولما تمادى فى السخرية . . طلبت منه أن يشرب من « القدرة » التى يرى أن بها الماء وسوف أتبعه ! . فرد بغلظة أشد . . أنه ليس لدى السجن غير ذلك . . وتركنى وخرج . . ثم أغلق الزنزانة من ورائه ! ! . وظللت طوال اليوم بدون ماء . حتى حين كان يأتينا الأكل كنت أرفض استلامه . . ولك أن تتصور شكل هذا الطعام . . وكيف كان يتم تقديمه . . ؟ لقد كان بالفعل شيئاً لا إنسانى بالمرة . .

وفى اليوم التالى تم فتح الزنزانة . . ولكننى قبل أن أكمل لك الحكاية . . أود أن أقول

إنهم يتحكمون حتى فى وقت فتح الزنزانة لقضاء الحاجة والتريض . . بل ويجعلونه فى مواعيد غير ثابتة . وعند استكمال الحكاية أقول لك إنه فى اليوم التالى . . زارنى اللواء حمزة البسيونى فى الزنزانة وده يمكن يكون من الشخصيات التى التقينا بها خلف الأسوار العالية . . وكان بيننا حوار طويل . . والحقيقة أننى قد فوجئت به فى صباح اليوم الذى أحكى لك عنه . . يدخل الزنزانة وحوله مجموعة من الضباط حيث بادرنى قائلاً بكل أدب : أى خدمة؟! فطلبت منه أن أشرب !! . . وحكيت له قصة « القدرتين » . . وإن كان هل من المسموح لى بشراء إناء خاص للشرب ؟! . . فأجابنى بأن لوائح السجن لا تسمح بذلك . . ثم تركنى وخرج . . وبعدها بدقائق تم فتح الزنزانة من جديد وإذا بأحد العساكر يحمل « زمزامية » بها ماء . . وأبلغنى أنه كان متواجداً مع قائد السجن . . وسمع بحكاية حاجتى إلى إناء أشرب منه . . بشرط ألا أبلغ أحداً بوجودها فى الزنزانة . . وأن علىّ أن أخفيها كلما فتحوا الزنزانة فى أى وقت ! . فتعجبت لقوله . . وتساءلت عن مكان إخفائها . . لقد كنت أنام فوق الأسفلت . . ؟! . وخوفاً عليه من المساءلة طلبت أن أشرب هذه المرة فقط . . ثم أعيدها إليه . . إلا أنه قد صمم على أن أحتفظ بها . . وتركنى لأفكارى وخرج . . فقد كنت بالفعل خائفاً على هذا العسكرى وتصورت أنه من مجموعتنا السياسية أو أنه أحد منهم قد أرسله . . إلينا . . وأراد أن يفدينى بهذا العمل . . والحق أقول لك . . لقد كانت أعظم خدمة فى هذا الجو القاسى . . خاصة وأنها جاءت فى وقت كنت فيه فى حاجة شديدة إلى نقطة ماء نظيفة . ومع ذلك ظلت الهواجس والأسئلة طوال اليوم تتزاحم فوق رأسى خوفاً على مصير هذا الشاب . . لذلك قررت فى الصباح التالى أن أضع حداً لهذا اللغز . . ومعرفة هل العسكرى قد قام بهذا العمل من تلقاء نفسه ؟! أم ماذا؟!

وبالفعل نزلت فى الصباح ومعى « الزمزامية » علناً . . وقلت فى نفسى . . لو أن حمزة البسيونى هو الذى أمر بإدخالها زنزانتى . . فلن أجد أحداً يعترضنى . . وأما إذا كانت تخص العسكرى . . فسوف يكون هناك تصرف آخر . . وما حدث أن أحداً لم يعترضنى داخل الأسوار العالية . . لذلك صدق ما فكرت فيه من أن هذا العمل كان بناء على أوامر من حمزة البسيونى شخصياً .

ويا ليت الأمر قد توقف عند هذا الحد فيما يتعلق بهذه « الزمزامية » . . والعثور عليها وكأنها لؤلؤة وسط كومة من الطين . . ! !

● وهل حدث ما هو أخطر من ذلك ؟! . .

●● ما سوف أحكيه لك حالاً . . يدل دلالة قاطعة على شيء لا يمكنك تصوره على أي حال من الأحوال . . إنه يمس حياة الإنسان داخل هذه القضبان .

لقد اكتشفت بعد عدة أيام أن مصدر الماء الذى تملأ منه القدور والتى نشرب بها يأتى من مجرى يغتسل فيه المساجين . . ويستخدمونه كحوض لغسيل الملابس !! . هذا من ناحية الماء . . وأما بخصوص الطعام . . فلأننى كنت مريضاً ولم أتعود بعد على طعام السجن فقد كنت أكتفى ببلحة كوجبة يومية . . وكانت من الفاكهة التى توزع علينا مرة كل أسبوع . . لقد كانوا يوزعون علينا خمس بلحات . . فطلبت من العسكرى أن يأخذ وجبة غذائى كل يوم فى مقابل أن يزيد لى هذه البلحات إلى سبعة بعدد أيام الأسبوع . . وبالفعل تمكنت من التأقلم على أن آكل كل يوم بلحة واحدة . . أما من الشخصيات الأخرى التى قابلتها خلف القضبان فكانت شخصية مهمة فعلاً إنه الضابط شمس بدران وزير الحربية فى ذلك الوقت .

● وكيف تم هذا اللقاء خلف القضبان ؟! . وما هى الظروف التى جمعتكم به ؟! .

●● بعد حوالى أسبوع واحد . . فوجئت فى الساعة الثالثة صباحاً بباب الزنزانة ينفتح . . وأمرنى العسكرى أن أسرع حيث أخذنى إلى المكتب الذى توقفنا عنده حين دخلنا السجن الحربى لأول مرة . . ولم يمهلنى أن أرتدى « الشبشب » فى قدمى . . وفى أثناء سيرى فى حوش السجن فى هذه الساعة المتأخرة من الليل كان يتلقفنى الشاويش إياه والذى حكيت لك عنه وكان يحمل الكرباج . . من أجل المزيد من الإسراع إلى مكتب التحقيقات وبدون سبب .

وحين دخلت المكتب وجدت شمس بدران الذى كان فى ذلك الوقت وزيراً للحربية ، يجلس على كرسى وسط الحجرة ويضع قدميه على الكرسى الذى أمامه . وكان يقف بالحجرة أحد المساجين وكان ينزف بغزارة . . لقد جاءوا به تواً من حجرة التعذيب . .

ولعلنى أذكر أنه قد دار حوار بينى وبينه . . وما زلت أذكر تفاصيله حيث سألنى فى البداية : تعرف سيف الغزالى ؟! . . قلت له أيوه . . لقد كان من الشبان الوفديين . . ثم بادرنى بسؤال آخر: تعرف زينب الغزالى . . ؟! فقلت له : أعرفها . . ولم آرها منذ خرجت من وزارة الشئون الاجتماعية . فبادرنى بقوله : على أية حال سوف نبحث حقيقة كلامك . . وإذا ثبت عدم صدقه سوف ينالك جزء كبير من هذا العذاب . . وأشار على السجين الواقف أمامه والذى كنت أعرفه . فأكدت له صدق حديثى بلا خوف من التعذيب .

وبعد هذه المقابلة التى لم تستمر سوى دقائق معدودة أعادونى إلى الزنزانة . . وفى الليلة التالية . . جاءوا بنا مرة أخرى لمقابلة شمس بدران . . وداخل نفس المكتب كان يجلس على مقعد وأمامه أحد الكراسى . . فجلست بدون استئذانه . . فقال لى : « إحنا بحثنا عن مدى صدق كلامك امبارح . . وعرفنا أنه مضبوط ! . علشان كده احنا قررنا العفو عنك والإفراج عنك من المعتقل الليلة دىّ» ! . لكنه طلب منى ألا أقول لأحد بأننى كنت هنا فى المعتقل ! . فلم أوافق . . بل قلت له حتى لو سألوننى عن السبب فسوف أعلن . . بأن السبب هو أننى شاركت فى جنازة النحاس باشا . . الذى اشترك فيها معى أكثر من ٧٠٠ ألف مواطن مصرى .

فتعجب لما قلته . . إذ تصور أننى سوف أخاف منه . . بل لم أتوقف عند هذا الحد من الكلام . . بل اخترت المزيد من الكلمات التى رأيت أنها سوف تحرقه وتغيظه . . فقلت له : ده هو الوفاء . . إن الأمة كلها لو لم تشارك فى تشييع جنازة زعيم الأمة وفاء منها لجهاده وجهوده ؟! . تفتكر يكون وفاء هذا الشعب لكم إنتم ؟! . على أية حال . . لو قمتم بأعمال طيبة لهؤلاء الناس مثلما فعل النحاس باشا . . فإن الناس سوف يكونون أوفياء لكم .

ولم يمهلنى كى أكمل عبارتى . . فرد فى ضيق : احنا لا يهمنا ذلك . . وعلى فكرة . . الناس فى الجنازة كانت بتردد شعارات معادية للثورة ولعبد الناصر . . وما ذكره شمس بدران عن هذه الهتافات لم يكن صحيحاً .

المهم فى نهاية هـذا الحـوار طلب منى أن أحلـق ذقنى استعداداً لمغادرتى السجن

الحربـى خلال ساعات . وأن السيارة سوف توصلنى لمنزلى وهى تابعة للسجن .

● وهل انتهت رحلة السجن عند هذا الحد . . ؟! . أم كانت هناك مفاجآت غير متوقعة؟! .

●● فى البداية تصورت أن شمس بدران يخفى عنى مفاجأة التخلص منى . . هذا الإحساس قد جاءنى لأننى فوجئت فعلاً بالسيارة على باب السجن . . والساعة كانت قد تجاوزت الثانية صباحاً . . وكان يجلس بها سائق وبجواره شنطة ملابسى التى جئت بها إلى السجن من قبل ! .

● وما هى تفاصيل حكاية هذه السيارة . . ؟! وهل ما زلتم تتذكرونها ؟! .

●● أيوه . . وسر تذكرى لها . . أنها قد ارتبطت بشهامة شاب مصرى . . كان هو ذلك السائق الذى خصصوه لتوصيلى إلى منزلى فى هذه الساعة المتأخرة من الليل . لأننى حين خرجت من باب السجن وركبت السيارة إياها . . فوجئت بالسائق ينحرف بها إلى طريق المقابر بعيداً عن الناس والمبانى . . بدلاً من أن يسلك طريق رمسيس وهو الطريق الطبيعى للوصول إلى منزلى بجاردن سيتى . وطريق المقابر هذا وكما هو معروف يلتصق بطريق صلاح سالم الذى لا تجد فيه أى نوع من الحياة . . المهم بمجرد أن دخل السائق فى هذا الطريق تصورت أن شمس بدران قد أعد لى كميناً للتخلص منى . . وأوصى سائق السيارة بتنفيذ هذا الكمين . ولو طلبت من السائق أن يغير هذا الطريق . . ربما تصور أننى خائف منه لذلك تماسكت وانتظرت ما سوف تسفر عنه المفاجآت . .

وما هى إلا لحظات حتى خرجت السيارة من طريق المقابر بدون مشاكل . . بل أكثر من ذلك فوجئت بالعسكرى سائق السيارة يحدثنى ويواسينى عما لاقيته داخل السجن الحربى . . وأبلغنى أنهم كانوا يعرفون قيمتى كسياسى ، وأن ما تعرضت له شى لا يجب أن يكون .

وأخذنا الحديث فى تواصل حتى وصلنا منزلى فى الساعة الرابعة صباحاً ومن بعدها انصرف هذا الشاب بعد ما أكرمت وفادته . .

وهذه هى حكاية السيارة وحكاية شمس بدران . . لكن اسمح لى قبل أن ننتقل

للإجابة على سؤال جديد . . أقول لك إنه من الغريب أن شمس بدران بعد خروجه من الوزارة . . أذاع فى تصريح له نشر فى إحدى صحف لندن . . يقول فيه اسألوا فؤاد سراج الدين . . لقد عاملته معاملة حسنة وطيبة وهو مسجون داخل الأسوار العالية وخلف القضبان ! . ولقد أثار كلامه فى نفسى الدهشة وتساءلت : هل ما فعله معى شمس بدران هو أحسن معاملة !! . إذن ما هى أسوأ المعاملة فى تصوره ؟!

● معنى ذلك نستطيع القول بأن هذه المرة . . كانت أقصر المرات التى دخلتم فيها السجن ؟!

●● هى مش أقصر . . ولكن تقدر تقول إنها من أقصر الفترات . لأنها استغرقت سبعة أيام فقط . وفى مرة مكثت بالسجن ١٢ ساعة . . ومرة ثالثة ٣ أشهر ومرة رابعة سنتين . . وهكذا . لكن صدقنى لم أعرف فى أى مرة من هذه المرات . . لماذا تم اعتقالى؟! . وهذا هو الغريب فى الأمر . ودعنى أذكر لك أنه فى إحدى المرات عام ٦٣ أو ١٩٦٤ تم اعتقالى لمدة ٣ أشهر بلا أى سبب . . رغم أنه لم يكن لى نشاط تحت أى مسمى . . وحتى عندما أفرجوا عنا أيضاً لم أعرف لماذا صدر قرار العفو أو الافراج !! . ونظراً لتكرار اعتقالى فقد وصل بى الحال إلى أننى قد أعددت شنطتين . . واحدة كانت بها ملابسى الشتوية . . والأخرى كانت بها ملابسى الصيفية . . بحيث تكون جاهزة فى أى وقت انتظاراً لأوامر الاعتقال ! .

لأنهم لم يكونوا يمهلوننى ولو للحظات حتى آخذ حاجياتى . . لقد كنت بمجرد أن أسمع طرقاتهم على الباب . . على الفور أختار الشنطة المناسبة للتوقيت سواء الصيفى أو الشتوى ؟! .

● وبخلاف ذلك . . هل هناك قصص أخرى قد ارتبطت بدخولكم السجن أو الاعتقال . . ؟! .

●● هناك قصة أخرى . . حين أحكيها لك سوف تعرف كيف كانت الأمور تسير بلا أدنى ضوابط . . لقد كنت فى زيارة لأحد أصدقائى وكان مريضاً بالمستشفى . . هذه الزيارة جرت بعد خروجى من السجن مباشرة فى إحدى المرات . . المهم وفى أثناء الزيارة

شاهدت شاباً صغير السن يجلس بجوار صديقى المريض . . فعرفنى عليه . . وقال لى إنه يعمل فى المخابرات الخاصة بعبد الناصر . . ولما تعرف هذا الشاب على شخصيتى . . قال لى بالحرف الواحد : تعرف يا باشا إنت اعتقلت آخر مرة ليه ؟! . قلت : والله لم أعرف لا هذه المرة ولا المرات السابقة . . قال لقد وصل تقرير سرى للرئيس عبد الناصر جاء فيه أنك كنت بتضحك فى نادى الجزيرة !! . مما جعل عبد الناصر يثور ويتساءل : هو لسه بيضحك !!؟ . بعد كل اللى عملناه فيه ؟! . . وكانت النتيجة إنه رفع سماعة التليفون وطلب من وزير الداخلية استضافتى داخل إحدى المعتقلات لأننى ما زلت متماسكاً . ولا زلت أضحك!! . لقد كانت هذه هى المرة الوحيدة التى تم فيها اعتقالى فى الساعة الثامنة مساء . . لأننى فى كل مرة كنت أُعتقل بعد منتصف الليل !! . . وأغرب ما فى هذه الحكاية أننى لم أكن قد ذهبت إلى نادى الجزيرة منذ سنوات طويلة . . والقصة كانت للأسف تلفيق فى تلفيق . إننى بالفعل لم أدخل نادى الجزيرة منذ عام ١٩٥٠ بعدما خرجت من الوزارة .

● ليسمح لنا فؤاد باشا بالخروج عن مسار الأسئلة الشخصية حول تجربة السجن ونتساءل : هل هناك علاقة بين العمل السياسى وبين عقوبة السجن ؟!

●● هذه العلاقة لا توجد إلا فى الدول المتخلفة فقط والدول غير الديمقراطية التى يحكمها الفرد حكماً شمولياً . إنهم فى مثل هذه الدول كثيراً ما يحاولون تقييد نشاط السياسى المعارض بوضعه فى السجن وتعذيبه . وليس هناك فى أى دولة متحضرة . . مثل هذه العقوبة التى تنتظر السياسى لمجرد أنه سياسى معارض . وفى العادة فإن الخلاف فى الرأى السياسى ليس بالضرورة خلافاً شخصياً .

● وهل هذه العقوبة تنتظر السياسى المعارض فقط ؟! .

●● ما هو مش معقول . . عقوبة السجن تنتظر السياسى المؤيد الذى يقف فى صف الحاكم . . وربما تكون الحالة الوحيدة التى يتعرض فيها السياسى المؤيد لعقوبة السجن مثله مثل السياسى المعارض . . حين يخرج عن خط تأييده للحاكم . .

● هل السجن بالنسبة للسياسى فؤاد سراج الدين يختلف من حيث الأهمية والقيمة والنظرة . . عن غيره ؟!

●● طبعاً . . السجن للسياسى شىء . . والسجن للرجل العادى المجرم شىء مختلف تماماً . . لأنه لا يشعر بظلم وقع عليه . . فقد ارتكب جريمة . . ودخل السجن كى ينال عقاباً على هذه الجريمة . فهو جزاء طبيعى . . لذلك لا تجده يشعر بمرارة السجن . . أما السياسى البرىء فهو يشعر بهذه المرارة . . وليست مرارة العقوبة فقط . . بل يشعر بالأثر المعنوى الذى يترتب على هذه العقوبة . وتلك هى أخطر الصعوبات التى تواجه الرجل السياسى خلف القضبان . إنها بالفعل تفوق أية صعوبات أخرى تتعلق بالمأكل والمعيشة . . إنه الشعور بالظلم . .

● ومتى يسجن رجل السياسة ؟

●● الحالة الوحيدة التى من الملائم أن يدخل فيها السياسى السجن بلا ظلم . . هى حين يرتكب فى حق بلده ووطنه جريمة يعاقب عليها القانون الجنائى . وهذا يختلف بالطبع عن ذلك السياسى الذى يتم اعتقاله ظلماً أو لمجرد معارضته للحاكم . . والمقياس هنا لا بد وأن يكون البحث عن سبب الاعتقال . . فإذا كان هذا السياسى قد ارتكب فى حق بلده شئياً يدينه وفقاً للقانون العام . . فهنا يختفى الظلم . . والعكس صحيح .

● وهل وفقاً لتصوركم . . تكون عقوبة السجن فى هذه الحالات رادعاً للسياسى من أجل أن يكف عن نشاطه داخل الشارع السياسى ؟! .

●● بالعكس . . إنها تزيده رغبة فى مواجهة الظلم الذى وقع عليه . . ومقاومة هذا الظلم لا يتم إلا داخل الشارع السياسى ووفقاً لمبادئه التى سُجن بسببها . إن هذه عقوبة تؤدى إلى أثر عكسى بالنسبة لرجل السياسة . . على غير ما يذهب إليه هؤلاء الذين يتصورونها عقوبة لتحجيم نشاطه أو الحد من هذا النشاط .

● فؤاد باشا سراج الدين . . لقد كنتم فى فترة من الفترات وزيراً للداخلية ووزيراً للشئون الاجتماعية . . فماذا فعلتم من أجل إصلاح السجون فى مصر ؟! .

●● وأنا وزير للشئون الاجتماعية . . كانت السجون تابعة للوزارة . . وليست تابعة للداخلية . . ويحضرنى فى هذا المقام قصة دعنى أحكيها لك . . ولسوف تعرف من تفاصيلها ما تريد . . ! .

● تفضل يا فنـدم . .

●● وأنا وزير للشئون الإجتماعية فى وزارة عام ١٩٥٠ طلبت من حيدر باشا أن أقوم بزيارة لسجن ليمان طرة . . وده كان فى ذلك الوقت سجن عتاة المجرمين . . فرحب بزيارتى وحددنا موعداً مسبقاً لهذه الزيارة . . وفى الموعد الذى حددناه ذهبت إلى هناك ، فوجدت السجن مفروشاً بالرمل الأحمر والورود على جانبى الطريق . . ثم أخذونى لمشاهدة تفاصيل أجزاء السجن فوجدت ورشاً على أحدث طراز . . بجانب ذلك النشاط الرياضى الهائل . . إننى بالفعل شاهدت مجموعة من المساجين يمارسون رياضة التنس !! ويرتدون الزى الرياضى ! . وأيضاً المطابخ كانت نظيفة للغاية . . مما جعلنى أتناول طعام الغداء مع المساجين من مطبخ السجن ! . وأخيراً أقاموا لنا حفلة مسرحية ثم حفلة رياضية . . وأيضاً قمت بزيارة للمكتبة . . لقد كان كل ما شاهدته فعلاً نشاطاً غير عادى وكان المساجين يمارسونه فى حرية وفى اختيار . وعلى ما أذكر أن زيارتى للسجن فى هذا اليوم قد بدأت من الساعة التاسعة صباحاً وحتى التاسعة مساء . . وكان السجن كله نشاط وحيوية .

وفى نهاية الزيارة كتبت فى دفتر الزيارات كلمات أبديت فيها إعجابى بهذا السجن وما فيه من نشاط بوصفى وزيراً للشئون الاجتماعية . . فقد رأيت سجناً يضارع أعظم سجون أوروبا . . ولكننى بوصفى وزيراً للداخلية فإننى حزين للغاية . . لأن المجرم داخل هذا السجن والذى يعيش فى هذا النعيم حين يتم الإفراج عنه بعد مدة العقوبة من المؤكد سوف يرتكب جريمة أخرى لكى يعود إلى هذا السجن الراقى جداً ! . هذه القصة حدثت فى الفترة من عام ١٩٥٠ إلى ١٩٥١ . . وقد دارت الأيام ولفت . . ودخلت هذا السجن كزبون . . مسجون . . وليس كوزير للشئون الاجتماعية أو للداخلية . . ورأيت هذا السجن على طبيعته ! . ويا هول ما رأيت ! . لقد كانت صورة غير التى رأيتها . . عندئذ

عرفت أننى قد أخطأت حين أبلغت المسئولين عن السجن بزيارتى المسبقة حين كنت وزيراً مسئولاً . .

لقد كان من المفروض أن أزور السجن بلا مواعيد مسبقة ! . وهذه الصور المهينة قد رأيتها وعايشتها بنفسى داخل كل السجون وبلا استثناء .

ودعنى أذكر لك قصة أخرى تتعلق بسؤالك السابق . . هذه القصة قد عايشتها وأنا معتقل فى سجن القناطر . . ويمكن تؤكد لك تلك الصور الوحشية التى تتصف بها سجون مصر . .

لقد كنت أنا وإبراهيم باشا مسجونين بسجن القناطر . . وفى أحد الأيام وجدنا السجن يقف على قدم واحدة . نظافة هنا وهناك وأشياء غريبة تحدث أمام عينى وأنا غير مصدق ولقد أعادتنى هذه الصورة إلى ما كنت قد رأيته عام ١٩٥٠ وأنا فى الوزارة . . فناديت على أحد الضباط أسأله عن السبب . . فأبلغنى أن هناك بعثة إعلامية سوف تزور السجن وتجرى أحاديث مع المساجين ! .

وبالفعل جاءت البعثة الإعلامية وصورت الحفلة التى تم اختيار ٥٠ مسجوناً لها من أجل إحيائها والترحيب بالضيوف . وبعد مرور أكثر من ساعة على رحيل هذه البعثة . . فوجئنا بصراخ وعويل ينطلق من أحد العنابر . . فناديت على نفس الضابط كى أسأله عن السبب فأبلغنى بأن المساجين أكلوا الموز !! رغم أننا نبهنا عليهم أن يأكلوا من البرتقال فقط . . لأن الموز كان عهدة لأحد التجار !! . ولكن . . «ولاد الكلب أكلوا كمان الموز» !!

● هل من الملائم أن يكون منصب وزير الداخلية من ضباط الشرطة . . أم أنه منصب سياسى ؟!

●● ليس بالضرورة أن يكون الوزير ضابطاً . . ولقد أثبتت التجربة خاصة فيما يتعلق بمبادىء حزب الوفد . . أن الوزير المتخصص يكون أقل نجاحاً من الوزير غير المتخصص . . فمثلاً حين تأتى بطبيب وتعينه وزيراً للصحة . . ربما لا يكون كفئاً مثل الوزير من غير الأطباء . وهكذا . . والسبب يكمن فى إحساس الوزير المتخصص بأنه قد

أصبح وهو على رأس الوزارة المسئول الوحيد الذى بات يفهم دون غيره . . أو أنه قد أصبح إله هذا العمل فى وزارته . . لذلك كثيراً ما يرفض نصيحة أى مسئول آخر غيره من العاملين معه فى نفس وزارته . . أما الوزير غير الفنى وغير المتخصص فكثيراً ما يسأل ويستعين بالخبراء فى وزارته . . ثم بعد التداول مع هؤلاء الفنيين يأخذ القرار . . لذلك تجد أن نسبة الخطأ تكون معدومة ، لأنه فى الغالب لا يخطىء . .

والتاريخ يقول لنا إن أنجح وزير للأشغال شهدته مصر كان هو الوزير « مرقص حنا » عضو حزب الوفد رغم أنه كان نقيباً للمحامين !! . لقد استعان بكل خبرات وزارته فى تنفيذ المشروعات . . وكان دوره قاصراً على أن يناقش الفنيين وإذا ما اقتنع يصدر القرار . .

من هنا نجد أن الوزير تتضح قدرته فى اتخاذ القرار سياسياً فقط . . وأقول سياسياً وليس فنياً . . وهذا هو الفرق . وبالنسبة لوزارة الداخلية بالذات . . طول عمرها ومنذ إنشائها . . يتولاها رئيس الوزراء كوزير للداخلية بجانب عمله . . وربما كنت أنا أول وزير للداخلية يشرف على الوزارة ولم أكن رئيساً للوزارة .

●● وهل لجوء أية حكومة للاستعانة بضابط بوليس كوزير للداخلية من الممكن أن ينبىء بوقوع حالات عنف ؟!

● مش شرط . . بل يمكن الاستعانة بهذا الضابط لفترة قد تحتاج الحزم والضبط والربط . .

● ومتى يكون من الملائم أن يخرج السياسى من السجن ثم يقبل منصباً وزارياً ؟! .

●● ممكن فى حالة واحدة . . وهى أن الحزب التابع له ذلك السياسى قد وصل إلى الحكمة أو أن هذا السياسى قد رأى أن كرسى الوزارة أصبح يتلاءم مع مبادئه . . وبغير ذلك فإن كان سياسياً يحترم نفسه ومبادئه يرفض مثل هذا المنصب ولا يقبل .

● . . وهل من الملائم أيضاً أن يتم سجن السياسى حين اعتقاله مع المجرمين والقتلة . . أم من الممكن أن يكون له سجناً خاصاً به ؟!

●● فى حالة التسليم بوجود مثل هذا الاعتقال لرجل السياسة . . لا بد وأن يتم وضعه

فى مكان يليق به . . وتتوفر فيه كل متطلبات الحياة . . يعنى تقدر تقول يتم فقط تحديد إقامته للحد من نشاطه وفصله عن الشارع السياسى . . لأن الهدف من هذا الاعتقال بالنسبة لرجل السياسة هو الحد من نشاطه وليس سجنه وتعذيبه والانتقام منه . ولقد ذكرت لك من قبل أننا كنا كمعتقلين سياسيين نعامل أشد قسوة من معاملة المجرم العادى! . وحين كنا نشكوا يقولون لنا : « لا سمح الله . . إنتم معتقلين ولستم مجرمين » . . منتهى التناقض . لذلك أستطيع أن أقول لك وأنا مستريح الضمير : إن اعتقال السياسى عندنا . . هو بالضبط انتقام . .

● وأخيراً . . ليسمح لنا الأستاذ فؤاد سراج الدين . . أن نختتم هذه الجولة المرهقة والتى امتدت لأكثر من ساعة وربع الساعة . . بسؤال عن أهم الشخصيات السياسية وغير السياسية التى التقى بها خلف القضبان .

●● الحقيقة أن كل المعتقلين السياسيين الذين التقيت بهم خلف الأسوار العالية كنت أجد منهم كل مودة واحترام . . خاصة فى الفترات التى كان مصرح لنا فيها بالاتصال ولهؤلاء جميعاً أنا أيضاً كنت أحمل لهم كل الاحترام . . ولا يزال بينى وبين العديد منهم حتى الآن صلات طيبة حتى بعد أن خرجنا من السجن .

● هل تذكر لنا بعض هذه الأسماء ؟!

●● منهم سياسيون مثل إبراهيم باشا فرج . . ومنهم محامون مثل حامد الأزهرى وعبد العزيز محمد . . ومن الصحفيين محمد حسنين هيكل وصلاح عيسى وآخرون ، وأيضاً عبد السلام الزيات . . إن كل هؤلاء قد تركوا بداخلى أثراً طيباً . . وحتى حينما قرروا نقلى إلى عنبر المعتقلين بالقصر العينى . . كانوا يودعوننى بالدموع . . وتلك كانت مشاعر لن أنساها أبداً .

❊ ❊ ❊





●● إبراهيم شكرى

.. وكنت مسجوناً بتهمة العيب فى الذات الملكية !!

حين توجهت إلى منزل السياسى المخضرم المهندس إبراهيم شكرى بعد أكثر من موعد لإجراء هذا الحوار . . وأثناء حديث الاستقبال الذى عادة ما يسبق مثل هذه المقابلات . . وجدت على ترابيزة الصالون الكبير الذى جلسنا عليه كتابا يتحدث عن تاريخ وحياة رئيس حزب العمل فى مختلف المجالات منذ مولده وحتى يومنا هذا . .

وفى الوقت الفاصل بين إجراءات الاستقبال وتقديم واجب الضيافة الذى حرص المهندس إبراهيم شكرى أن يقدمه إلينا بنفسه . . وبين الاستعداد لبداية تشغيل شريط التسجيل إيذانا ببداية هذا الحوار . . جرت عيناى خلسة وأخذت تتصفح بعض ما جاء بصفحاته عسى أن نجد موضوعاً لم تتطرق إليه الأسئلة التى كنت قد أحضرتها مسبقاً لحوارى مع المهندس إبراهيم شكرى .

ودون أن أتعمد ذلك . . أخذت الكتاب بين يدى واستأذنت الضيف الكبير أن ألقى على موضوعاته المزيد من الاهتمام ليس بالبصر فقط . . ولكننى قد سمحت لكل حواسى

أن تشترك فى هذه الجولة السريعة التى لم تستغرق سوى دقائق فى قلب أوراق الكتاب ، وكان السبيل إلى ذلك هو فهرس المحتويات . . إذ عرفت من خلال عناوين هذا الفهرس بقصة «الشهيد الحىّ» .

وبعد لحظات صمت ارتشفنا خلالها الشاى واللبن . . انطلق لسانى دون سابق إنذار يسأل المهندس إبراهيم شكرى عن السبب فى اختياره هذا الموقع الذى يطل على كوبرى الجيزة [كوبرى عباس سابقاً] . وعلى بعد خطوات من مكان إصابته لأول مرة حين اشترك فى المظاهرة الوطنية التى راح ضحيتها فوق أرضية الكوبرى العديد من شباب مصر الذين نالوا قسطاً وافراً من طلقات الرصاص من بنادق قوات الاحتلال الإنجليزى فى ذلك الوقت . أقول لقد تسمر ذهنى عند كلمة « لماذا » ؟ . . وأردت بالفعل أن أعرف هل هناك علاقة بين اختيار المهندس إبراهيم شكرى لهذه العمارة التى يملكها ابن عم الدكتور بطرس غالى السكرتير العام للأمم المتحدة . . والتى لا تبعد سوى خطوات معدودة عن مكان إصابته فى المظاهرات ونقله إلى المستشفى بين الحياة والموت . . كى تكون مسكناً له ولأسرته؟! . أم أن هذا الاختيار ليست له علاقة بهذا الحدث ؟!

ويخطىء من يظن أن هذا الاختيار قد جاء بشكل عفوى . . وهذا ما أكده لى رئيس حزب العمل . . وإن كنت أزيد على إجابته بالقول : بأنه يبدو أن زعيم حزب العمل . . الذى كان فى مثل هذا التاريخ ومنذ أكثر من خمسة وخمسين عاماً ـ منقولاً على عربة «كارو» إلى مستشفى القصر العينى بين الحياة والموت ـ قد أراد بالعيش بالقرب من مكان هذا الحدث . . والذى يطل عليه من شرفة شقته التى تقع بالدور الخامس . . أن يتذكره من آن لآخر . . وأن يتخذ منه سبيلاً نحو المضى قدماً إلى عالم ملىء بالأشواك والسجون والمعتقلات . . ولكن لا مفر منه .

ولك أن تتخيل نفسك مكانه . . حين تساعدك الظروف لكى تسكن على مقربة من أول حدث كبير قد شاركت فى صنعه تاريخياً . . كما لك أن تتخيل مدى السعادة التى سوف تعيشها بين لحظة وأخرى حين تفتح نافذة شقتك لتطل على ذلك الحدث . . وكأنه قد وقع لك منذ لحظات . وليس منذ سنوات .

وبطبيعة الحال . . لم يكن هذا هو السؤال الأول الذى أردت به أن يكون مدخلاً مثيراً لحوارنا مع المهندس إبراهيم شكرى . . إذ أننى حين تراجعت إلى مكانى فى الصالون بعدما ألقيت نظرة فى هذا الوقت المتأخر من الليل على ذلك الكوبرى الذى شهد أعنف أحداث الطلبة عام ١٩٣٥ . . بدأت الاستعداد لتشغيل شريط التسجيل بعدما فردت أوراقى أمامى . . وكانت حصيلته كل الأسئلة القادمة وأيضاً الردود عليها . .

* * *

● من المعروف تاريخياً . . ذلك الدور الوطنى الذى كان يلعبه السياسى المخضرم المهندس إبراهيم شكرى إبن أحد باشوات زمان وأحد وزراء العهد الملكى . . ولكن من المؤكد أن هناك أحداثاً تاريخية بعينها قد ارتبطت بشخصكم عبر هذا التاريخ . . فهل لنا أن نعرف أهم هذه الأحداث ؟! .

●● بداية أقول لك إننى إبن محمود باشا شكرى القاضى بمحكمة مصر . . ورئيس قسم قضايا الخاصة الملكية ووكيلها وناظرها . . ثم الوزير فى الوزارة الانتقالية التى شكلها يحيى باشا إبراهيم عام ١٩٢٤ . وهى الوزارة التى أجرت أول انتخابات برلمانية نزيهة فى مصر آنذاك . هذا الكلام يجرنا للحديث عن بدايتى فى العمل السياسى . . ثم نتطرق للإجابة عما سألت عنه . . هذه البداية كانت مبكرة للغاية سواء تأثرا بوالدى رحمة الله عليه أو بالجو العام الذى كانت عليه مصر فى ذلك الوقت . ولكن النضج الوطنى والإحساس بقضايا مصر قد اكتمل وأنا فى المرحلة الثانوية . . فتأثرت كثيراً بمبادىء حزب مصر الفتاة برياسة المجاهد السياسى أحمد حسين . . لذلك سارعت بالانضمام لهذا الحزب . طبعاً ذلك بخلاف المشاركة فى المظاهرات . . وكان أشهرها تلك المظاهرة التى كنت قد أصبت فيها على كوبرى الجيزة . . والتى وقتها وبسببها أطلقوا علىَّ لقب « الشهيد الحى » .

● وما هى تفاصيل هذه الحادثة ؟! .

●● فى عام ١٩٣٥ . . صرح وزير المستعمرات البريطانى وهو يهودى صهيونى : بأن بريطانيا لا توافق على رجوع دستور عام ١٩٢٣ للعمل به الآن . . مما أدى إلى إشعال ثورة الطلبة بالجامعة و كان من بينهم عبد المجيد مرسى وعبد الحكيم الجراحى وآخرون . الذين

خرجوا من حرم جامعة القاهرة وكنت وقتها طالباً بكلية الزراعة . . ومن ورائنا تدفقت جموع غفيرة من الطلاب قاصدين قلب القاهرة . وقد تسلح هؤلاء بفروع الأشجار وقطع البازلت . . وكان معى قطع من الحديد كى أدافع بها عن نفسى ، ودارت معركة بيننا وبين رجال البوليس حتى وصلنا بهذا الجمع الغفير من الطلاب إلى كوبرى الجيزة . . كوبرى عباس سابقاً .

لقد تراجع البوليس أمام حجم المظاهرة وتركها تمر ، إلا أن الحكمدار الإنجليزى أصدر أوامره بضرورة التصدى لها . . وحتى لا تصل إلى قلب القاهرة . وبمجرد أن وصلنا فوق كوبرى عباس أطلق الإنجليز الرصاص على الطلاب . . عندئذ سقط العديد منا بين جرحى وقتلى . ومنهم كان عبد المجيد مرسى وعبد الحكيم الجراحى مع الطلقات الأولى . . وعندما رأيت رجل البوليس الإنجليزى الذى قتل زملائى بالرصاص اندفعت إليه بكل قوة وبقطعة الحديد التى كنت أحملها فى يدى فى ذلك الوقت . وتمكنت من إصابته فى يده التى كانت تحمل المسدس . . إلا أن زميله شاهدنى فأطلق علىّ الرصاص من مسدسه . . فأصابنى فى فخذى . ورحت فى غيبوبة بعدما تركنا الإنجليز ننزف الدم . وعلى حسب ما سمعت فيما بعد أنهم قد نقلونى مع الشهيد عبد المجيد مرسى فوق عربة كارو إلى القصر العينى . أما الشهيد الجراحى فقد نقلوه فى سيارة خاصة إلى نفس المستشفى . فقد كنت بين الموت والحياة ويمكن ده اللى خلى الناس تطلق على لقب « الشهيد الحى » . .

● نريد أن نعود بكم مرة أخرى كى تذكروا لنا أبرز الملامح الوطنية التى حققتموها فى هذه الفترة المبكرة داخل الشارع السياسى ؟! . . فما هى أهم هذه الملامح ؟! .

●● لا شك أن كل ما حققناه داخل الشارع السياسى فى سلك الوطنية وداخل البرلمان . . قد ارتبط بعدة مراحل . . كان أولها مرحلة الاشتراك فى المظاهرات كما حكيت . . ثم مرحلة العمل السياسى من خلال حزب مصر الفتاة ، والتى امتدت من عام ١٩٣٥ حتى قبيل قيام ثورة يوليو . .

وخلال هذه الفترة شمل اهتمامى العمل العام حتى خارج مصر . ففى عام ١٩٤٨ قرر الحزب الاشتراكى (حزب مصر الفتاة) بناء على اقتراح منا بتمويل إحدى كتائب الجيش

المصرى وهى كتيبة « مصطفى الوكيل » المشاركة فى حرب فلسطين . . ولقد تحملت وحدى فى هذه الآونة عبء تجهيز هذه الكتيبة العسكرية بدءاً بملابس الجنود وسلاح التطوع وتكاليف السفر التى كانت بالطائرات . . أما أهم ملامح ما حققته فى الشارع السياسى لأبناء وطنى داخلياً بخلاف ما ذكرته لك . . فقد تبلور فى عدة أمور أولها عندما كنت عضواً بمجلس النواب عام ١٩٥٠ تقدمت بقانون تحديد الملكية الزراعية بحيث لا يجب أن تزيد على خمسين فداناً للفرد الواحد . . هذا القانون الذى طبقته الثورة فيما بعد تحت اسم قانون الإصلاح الزراعى . . والغريب أنهم قد أغفلوا اسمى كصاحب هذا القانون عند تطبيقه . . ولم يتذكروا ذلك إلا بعد مرور ٢٥ عاماً من تطبيقه ! . وتحت قبة البرلمان أيضاً تقدمت فى عام ١٩٥١ باقتراح لتعديل الدستور لإمكان إلغاء الرتب والألقاب . ولكن للأسف رفض هذا الاقتراح . . ولاحظ أن ثورة يوليو قد أخذت باقتراحى هذا أيضاً . . وألغت الألقاب فى أغسطس عام ١٩٥٢ . وكان هذا أول قرار لمجلس قيادة الثورة بعد طرد الملك .

وفى نفس الفترة التى كنت فيها عضواً بالبرلمان قبل الثورة . . وفى جلسة مجلس النواب بتاريخ ٢٠ فبراير على ١٩٥٠ وقفت أدافع عن حق أعضاء الإخوان المسلمين فى إعادة تكوين جماعتهم ، وطالبت بإلغاء المادة الخاصة باستمرار قرار الحل . . أيضاً من المشروعات بقوانين التى كان لى شرف المطالبة بها مشروع العفو عن المسجونين السياسيين بمناسبة إلغاء معاهدة على ١٩٣٦ . بحيث يشمل الفترة من ٢٦ أغسطس عام ١٩٣٦ إلى ١٨ أكتوبر عام ١٩٥١ . . هذا القانون الذى تم تنفيذه وأقره مجلس الشيوخ ومجلس النواب من أجل تحقيق وحدة الأمة لإخراج المحتل الإنجليزى من الوطن .

وبجانب ذلك هناك إنجاز سياسى كبير . . كان السبب الرئيسى وراء دخولى السجن فى المرة الثانية . . وهذا الموضوع سوف نتطرق إليه فيما بعد . . المهم . . أثناء وجودى تحت قبة البرلمان ابتداء من عام ١٩٤٩ . . تقدمت بمشروع قانون يحارب الفساد داخل أى سلطة من سلطات الدولة . . وكنت أقصد به ممارسة الفساد الملكى . . حيث طالبت فى المشروع بوضع قواعد محددة لمحاربة الفساد بالتحقيق الفورى فى كل ما ينشر عن هذه الانحرافات . ونص المشروع كذلك على ضرورة التحقيق فيما يكتب فى الصحف سواء

كانت حكومية أو معارضة . وإبلاغ هذه الصحف نتائج التحقيق . . كما طالبت أيضاً فى ذات المشروع بأن تكون الرقابة علنية . . ومطالبتى بهذا القانون نبعت فى الأصل من معارضتى اعتماد نصف مليون جنيه لترميم يخت « المحروسة » . . ولقد اعتبرت الموافقة على هذا الاعتماد هو خيانة للشعب وتبذير لأمواله . ولعل موقفى هذا من يخت « المحروسة » كان السبب الرئيسى وراء اتهامى بالعيب فى الذات الملكية وإسقاط عضوية البرلمان عنى . وهذا موضوع طويل سوف أحكى لك منه بعض جوانبه .

● وهل هذه المواقف وهذه الانتصارات السياسية قد اختفت بعد قيام ثورة يوليو ؟! .

●● يمكن استمرت هذه الإنجازات السياسية لفترة غير طويلة بعد قيام الثورة . وعلى سبيل المثال تقدمت لمجلس قيادة الثورة بعد شهر واحد من نجاحها وبالضبط فى أغسطس عام ١٩٥٢ بمشروع قانون بشأن نقابات العمال والذى سبق لى أن تقدمت به إلى مجلس النواب . وكان هذا المشروع مقدماً من خلال الحزب الإشتراكى الذى كنت أنتمى إليه .

ورغبة منى فى الاستمرار ومواصلة العمل السياسى بكل جدية حتى بعد تاريخ ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ حين طالب مجلس الثورة من الأحزاب تطهير نفسها وإشهارها من جديد . . تقدمت فى ١٥ يناير عام ١٩٥٣ بطلب إعادة إشهار الحزب الإشتراكى . . إلا أن مجلس الثورة قد أصدر قراراً بعدها بيوم واحد بإلغاء كل الأحزاب وحظر نشاطها ، بحجة إفسادها للحياة السياسية ! . ولعل مما أدخل الطمأنينة فى نفسى هو إفراج الثورة عنى بعد قيامها بعدة أيام وكذلك الإفراج عن الزعيم أحمد حسين . . ثم قيام رجال الثورة آنذاك بالعمل على تنفيذ معظم ما جاء فى برنامج حزبنا . سواء فيما يتعلق بقانون الإصلاح الزراعى أو قانون إلغاء الرتب والألقاب .

وحين كونت الثورة هيئة التحرير رفضت الانضمام إليها . . لأننى لاحظت أن الثورة فى خطواتها الإصلاحية التى تلت ذلك كانت تتجاوز أموراً كثيرة تتعلق بالحريات وقضية الديمقراطية عموماً . وكان رد الفعل سريعاً لدى رجال الثورة حيث عملوا على منعى من دخول انتخابات مجلس الأمة عام ١٩٥٦ ، وذلك خوفاً من أن أعود من جديد لما كنت عليه تحت قبة البرلمان . للعمل على صيانة مصالح الشعب فى الحرية والديمقراطية .

إلا أنه بعد صدور القرارات الاشتراكية عام ١٩٦٠ . . وبعد أن تحول الاتحاد القومى إلى الاتحاد الاشتراكى تقدمت للانضمام إليه . حيث شعرت أن مبادىء هذا الاتحاد هى نفس مبادىء حزبنا الاشتراكى قبل الثورة .

وبعد فترة أصدر عبد الناصر قراراً بتعيينى أميناً عاماً للاتحاد الاشتراكى عن محافظة الدقهلية . . تلك المحافظة التى كنت نائباً لها فى برلمان ما قبل الثورة . . فقد نجحت فى شربين حين رشحت نفسى لأول مرة عضواً فى البرلمان .

وبعد رحيل عبد الناصر وتولى السادات رئاسة مصر . . وفى عام ١٩٧١ تم اختيارى أميناً للمهنيين باللجنة المركزية . وقد مارست العمل العام من خلال هذا المنصب خاصة أثناء حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ . فقد اخترت مدينة بورسعيد التى ذهبت إليها فى ليلة ١٧ أكتوبر عام ١٩٧٣ ضمن كتيبة صواريخ منتصف الليل التى تحركت من القاهرة لحماية هذه المدينة .

وتبلور عملى السياسى أكثر داخل العمل العام حين تم اختيارى محافظاً للوادى الجديد . . فقد كان هدفى الرئيسى من اختيار هذه المحافظة النائية هو تحويلها من مجتمع الصحراء إلى مجتمع الحضارة والتقدم . وفى سبتمبر عام ١٩٧٦ عاودنى الحنين للعمل السياسى . . فتقدمت لانتخابات مجلس الشعب بعد أن قدمت استقالتى من عملى كمحافظ . . وتعيد جماهير مدينة شربين ما قامت به منذ أكثر من عشرين عاماً . . حيث اختارونى عضواً عنهم تحت قبة مجلس الشعب . . ومن ثم تم اختيارى كذلك رئيساً للجنة الزراعية فى المجلس .

وفى الاحتفال بمناسبة مرور ٢٥ عاماً على صدور قانون الإصلاح الزراعى تم اختيارى وزيراً للزراعة ! . وبعد سنة واحدة قضيتها فى الوزارة استقلت مرة أخرى كى أتفرغ لإنشاء وتكوين « حزب العمل الاشتراكى » .

ومن خلال هذا الحزب الذى شرفت برئاسته حتى اليوم كان لنا العديد من الإنجازات السياسية سواء داخل مجلس الشعب أو داخل الشارع السياسى .

● **فى بداية حديثكم معنا . . ذكرتم بعض المعلومات عن والدكم . . فهل تسمح لنا أن**

نسأل . . وهل أنتم من أسرة سياسية ؟! أو أن محمود باشا شكرى والدكم العزيز قد ارتبط سياسياً بالحركة الوطنية مثل نجله إبراهيم ؟! .

●● يمكننى أن أقول إن والدى لم يكن له أى اتصال بالحركة الوطنية فى ذلك الوقت أو كان له أى نشاط سياسى . . لقد بدأ حياته كما ذكرت لك فى سلك القضاء . . ولكن الظروف قد وضعته داخل الشارع السياسى بحكم عمله كقاض . . حيث انتدب للتحقيق فى قضية هامة أثناء الحرب العظمى الأولى . وهى تعرف فى تاريخ القضاء بقضية «فيلبيدس » . . الذى كان مفتشاً فى محافظة القاهرة فى ذلك الوقت . . وكانت قد نسبت إليه بعض الاتهامات .

وكانت هذه أول مرة يتم اختيار قاضٍ ليتولى التحقيق بدلاً من وكيل النيابة . . وجاء اختيار والدى لعدة أسباب كان أهمها رفضه لأى مؤثرات يمكن أن تعطل سير عمله كقاضٍ . وانتهى التحقيق إلى إدانة المفتش الإنجليزى حيث أثبتت التحقيقات تورطه فيما نسب إليه . .

والواقع أن هذه القضية كانت تهم الإنجليز جداً كما كانت تهم الجالية الأرمنية وأيضاً كانت تهم الحركة الوطنية فى ذلك الوقت . يعنى تقدر تقول إن الوالد رحمة الله عليه كان يقف ضد الإنجليز من خلال هذه القضية . وانتهى دوره إلى هذا الحد . . حيث أخذ طريقاً آخر فى حياته العملية . . انتهى باختياره وزيراً للمواصلات فى وزارة عام ١٩٢٤ .

● **إذن ما هو المصدر الحقيقى لاهتماماتكم السياسية المبكرة ؟! .**

●● كانت القراءة التى عن طريقها وجدت الإجابة على أسئلة كثيرة كانت تحيرنى . . خاصة فيما يتعلق بالحركة الوطنية . . وعلى ما أذكر كانت مركزة على صحيفة تسمى «الصرخة» .

بجانب ما كان يدور فى أذهان الشباب مثلى فى ذلك الوقت من أفكار تعلقت بضرورة نهضة مصر وتطورها . . وضرورة البحث عن أيسر الطرق لتحقيق ذلك . خاصة وأن الأحزاب القديمة التى كانت قائمة فى ذلك الوقت لم تقدم لنا إجابات واضحة لكل ما كان يدور فى أذهاننا .

تلك الأحزاب التى كان شاغلها الأول والأخير تداول السلطة . . وأن القضية المصرية لم تكن تحتل داخل هذه الأحزاب أى اهتمام !! . لذلك كانت الهتافات التى كنا نصرخ بها فى المظاهرات . . « مصر فوق الجميع » . . « مصر فوق الأحزاب » . وقد تبلورت مطالبى السياسة فى ذلك الوقت مثل كل الوطنيين فى ضرورة تعديل الدستور وجلاء الإنجليز . . والبحث عن السبيل الصحيح لنهوض مصر .

وأحب أن أؤكد لك أننى لم أكن فى هذه الفترة مشاركاً فقط فى المظاهرات . . بل كنت فى قلب معركة الطلبة . والدليل هو ما حكيت لك عنه من قبل عن حادث مظاهرات كوبرى عباس وإصابتى فى هذه المظاهرات . . لأننى قد تقدمت من تلقاء نفسى للمشاركة فى مثل هذا العمل الكبير ولعلى أقول لك إننى قد بدأت حياتى العملية داخل الشارع السياسى من هذا الموقف . بجانب قراءتى للصحف والكتب ومتابعة ما كان يكتبه العديد من الوطنيين من أمثال « أحمد حسين وفتحى رضوان وآخرين » . . كل ذلك كان له ذلك التأثير المبكر لاهتماماتى السياسية .

● لقد ذكرتم لنا من قبل دخولكم البرلمان لأول مرة عضواً منتخباً عن دائرة شربين . . ولا شك أنه كان لهذا الاختيار قصة . . هل نطمع فى سماع المزيد عنها ؟! .

●● فى واقع الأمر أنه قد بدأت تظهر فى سنوات ١٩٤٨ و ١٩٤٩ انحرافات كثيرة للملك فاروق . وكان لا بد من مواجهتها بالشكل القانونى . . تحت قبة البرلمان . .

● عفواً . . اسمح لى يا إبراهيم بك . . أن أقطع عليك هذا السرد متسائلاً . . وما هى قصة اختياركم عضواً بالبرلمان لأول مرة . . قبل الدخول فى تفاصيل حكاية انحرافات الملك فاروق ؟! .

●● أولاً . . أرجوك لا تقل إبراهيم بك . . فإننا قد نادينا بإلغاء الألقاب . . وثانياً . . فعلاً كان لدخولى البرلمان لأول مرة قصة . . تقول تفاصيلها :

فى عام ١٩٣٩ حين تخرجت من الجامعة مهندساً زراعياً . . وبدلاً من اختيار المدينة سكناً لنا . . تركت المدينة متجهاً إلى شربين . . أنا وأسرتى . . فقد تزوجت مبكراً فى عام ١٩٣٧ . وهناك عشت وسط الفلاحين كى أتعرف على مشاكلهم ومعاناتهم على الطبيعة

. . وكان ذلك التصرف من الأمور الغريبة . . فلم يحدث لشاب عصرى وغنى مثلى يهجر المدينة ويقيم هو وأولاده فى الريف . وينقطع إليه ليعمل فى أرض أبيه . وفى هذه السنوات المبكرة وكنت عضواً نشطاً بحزب مصر الفتاة . . أخذت أرسل للزعيم أحمد حسين عما كان يلاقيه أهل الريف من معاناة . وكان أول اهتمام لنا ذلك الوقت نشر التعليم بإنشاء المدارس والوحدات الصحية . . وكذلك إنشاء المسجد وتكوين جمعية تعاونية ثم العمل على إدخال الكهرباء .

● يعنى نقدر نقول إن هذه الخدمات هى التى كانت الدافع الحقيقى نحو اختياركم لهذا الترشيح !! .

●● الحقيقة أنه كان هناك دافعان . . الأول ما أثير حول تصرفات الملك فاروق . . والثانى كان رغبة الأهالى فى مدينة شربين الذين عشت معهم طوال عشر سنوات من عام ١٩٣٩ حتى عام ١٩٤٩ . هذه الرغبة التى تفجرت أثناء الحرب حيث اتسمت الحياة بالصعوبة البالغة . . الأمر الذى جعلنا نقدم كل ما نستطيع تقديمه من أجل أهالى المدينة فى ظل هذه الظروف .

والغريب أن مصدر هذه الرغبة كان شباب المدينة . . الذين كانوا يعرفون أننى أحد أعضاء حزب مصر الفتاة الذى تحول فيما بعد إلى حزب مصر الاشتراكى عام ١٩٤٩ . . ولعلى أذكرك مرة أخرى أننى كنت عضواً لأول مرة بحزب مصر الفتاة منذ ١٩٣٥ . . حيث تقدمت وكتبت استمارة عضوية لهذا الحزب .

هناك نقطة أخرى دعنى أقولها . . هى أنه لم يكن أحد من أسرتى من قبل تم ترشيحه لمجلس النواب . . كما أن أحداً من أعضاء هذه الأسرة لم يقف بجانبى فى ذلك . . لقد كان اختيارى شعبياً وجماهيرياً ١٠٠٪ . فوالدى كان عضواً معيناً فى مجلس الشيوخ . . ثم بعد ذلك قد أخذ طريقاً آخر بعيداً عن السياسة بعد اختياره كما قلت لك من قبل وزيراً للمواصلات حيث تفرغ بعد ذلك للزراعة وللعمل الاقتصادى .

أيضاً كانت المعركة التى خضناها أنا وبعض أعضاء حزبنا فى هذه الدائرة . . معركة صعبة والنجاح فيها كان يعنى الكثير . ولقد عايشت حماس شباب مدينة شربين لترشيحى

فى هذا المنصب ووقوفهم بجانبى حتى خضت هذه المعركة ونجحت بتفوق عضواً تحت قبة البرلمان لأول مرة عام ١٩٤٩ .

وكانت مدينة شربين وقتها تتبع مديرية الغربية وليس مديرية الدقهلية كما هو حاصل الآن . . ولقد بلغ حماس هؤلاء الشباب حداً لا مثيل له . . إذ تقدموا بطلب ترشيحى فى هذه الانتخابات منذ اليوم الأول لفتح باب الترشيح ، وكان ذلك على ما أذكر فى شهر ديسمبر من عام ١٩٤٩ . وعند الفقرة التى لا بد أن توضح فيها هويتك الحزبية كتبت وقتها « اشتراكى » . وعندما أرسلوا استمارة الترشيح لمديرية الأمن رفضت هذه التسمية ، وطُلِبَ منى تعديلُها . . وعلل ذلك بأننا فى مصر ومصر الآن دولة ملكية . .

وتحت إصرارنا وتمسكنا بهذه الهوية قبلوا ذلك تحت التهديد بالكتابة فى الصحف . . وقد وافقت وزارة الداخلية على هذه التسمية على أمل أننى لن أنجح فى تلك الانتخابات . من منطلق أنه لا يساندنى أحد من الأسر العريقة ، وأن الحزب الذى أنتمى إليه كان حزب شباب . ورغم كل هذه الصعوبات فقد نجحت . . وكان شباب المدينة وراء هذا النجاح الكبير .

● وبعد هذه المرة . . هل من الممكن أن يذكر لنا المهندس إبراهيم شكرى . . كم مرة دخل فيها البرلمان أو مجلس الشعب ؟! .

●● أقول لك عدة مرات . . ولكن أول مجلس نيابى بعد الثورة . . لم أتمكن من دخوله . . وكان عام ١٩٥٦ . . والسبب كما حكيت لك من قبل لموقفى من هيئة التحرير . رغم أننى من الناحية العملية قد تقدمت بأوراق ترشيحى وكان ذلك منطقياً . . وكان منافسى فى هذه الانتخابات الدكتور عبد الغفار متولى سكرتير عام هيئة التحرير الذى كان ينتسب لعائلة الصعيدى بمدينة شربين . ورغم لقائى به قبل الإنتخابات وتأكيده لى بأنه لن يرشح نفسه عن دائرة شربين . إلا أننى فوجئت به يرشح نفسه عن نفس الدائرة . . وينجح فى هذه الدورة .

● المهندس إبراهيم شكرى رئيس حزب العمل . . هل لنا أن نتحدث إليكم بأسئلتنا

عن صلب موضوع هذا الحوار . . وهى الخاصة بعدد المرات التى دخلتم فيها السجن بسبب العمل السياسى ؟!

●● على فكرة أنا لم أدخل السجن كسياسى بعد الثورة . . وكل المرات التى تم اعتقالى خلالها كانت قبل ٢٣ يوليو . . وكان عدد هذه المرات ثلاث . .

المرة الأولى . . كانت أثناء دراستى بالجامعة عام ١٩٣٦ . . والمرة الثانية كانت بعدها بعام واحد وكانت أيضاً وأنا طالب بالجامعة . . وكان الاعتقال فى هاتين المرتين بسبب الاشتراك فى المظاهرات وكنا خلالهما رهن التحقيق . .

وعلى ما أتذكر سجنت فى المرة الثانية حوالى شهر وأيام معدودة . . وكانت فى عام ١٩٣٧ حين وقع حادث الاعتداء على النحاس باشا . . ولقد قبضوا على فى أيام الزفاف الأولى . . وفى سجن الاستئناف قضيت شهر العسل .

أما المرة الثالثة فقد حدثت عام ١٩٥٠ . . ووقتها كنت عضواً فى البرلمان واستغرق الاعتقال ستة أشهر بعدما نجحوا فى رفع الحصانة عنى . . ومحاكمتى بتهمة العيب فى الذات الملكية . لقد حققوا معى بعد رفع الحصانة عنى ثم خرجت من الاعتقال بعد أسبوعين . . ولكن عندما خرجت ألقوا القبض على مرة أخرى بعد نشوب حريق القاهرة حيث ضاق الملك فاروق بمواقفى المتعددة ضده سواء تحت قبة البرلمان أو من المقالات التى كنت أنشرها بجريدة « الشعب الجديدة » .

وقد صمم الملك التخلص منى آنذاك باعتقالى . وتبدأ قصة هذا الاعتقال ببلاغ تقدم به الوزير الوفدى عبد الفتاح حسن إلى النيابة يطلب فيه التحقيق معى فى مقال نشرته فى جريدة « الشعب الجديدة » فى٢٦ يونيه عام ١٩٥١ . ولم يكتف الوزير بهذا القدر من التبليغ ، بل ذهب إلى حد إعطاء التكييف القانونى للتهمة . فذكر للنيابة أن هذا المقال يتضمن عيباً فى الذات الملكية . . معتقداً أنه يقيد النيابة بهذا الوصف الخطير ويلزمها باتخاذ الإجراءات التى يتطلع إليها . . وتحقق له ما أراد . . فما أن تلقت نيابة الصحافة هذا البلاغ حتى سارعت بطلب رفع الحصانة ، الذى تمت الموافقة عليه فى لجنة القيم بمجلس النواب . .

● **وما هى قصة ذلك المقال الذى كان سبب رفع الحصانة عنكم ؟!** .

●● صدر المقال المذكور بعنوان « أحمد حسين » . . وكنت قد صورت فيه مدى المعاناة القاسية التى كان يواجهها الزعيم أحمد حسين وهو مسجون خلف القضبان . . وكانت الفقرة التى استندوا إليها فى إدانتى بتهمة العيب فى الذات الملكية هى التى قلت فيها بالحرف : « إننا نعتبر قضاء الشهور فى السجن لذة تفوق شهر العسل . وأن الحبس عندنا يساوى التنقل فى أفخر يخت مع مغانى الدنيا كلها . . وأننا أعددنا أنفسنا لا للنزهة والترفيه فحسب إنما لشىء آخر يهون على الصابرين المجاهدين ويزلزل أركان الفساد والمفسدين » .

والواقع أن السبب الحقيقى لاعتقالى لم يكن هذا المقال بعينه . . وإنما كان رغبة الملك التخلص منى كسياسى معارض له تحت قبة البرلمان .

● **وهل توقف صراعكم مع الملك فاروق عند هذا الحد . . أم كانت هناك إجراءات أخرى قد أصابتكم ؟!** .

●● أقول رغم رفع الحصانة عنى وتقديمى لمحكمة الجنايات ثم إطلاق سراحى بكفالة خمسون جنيهاً بعد إحالة القضية للمحكمة . . فإن ذلك لم يشف غليل الملك فى ذلك الوقت . . إنه كان بحق يريد أن يخرس ذلك الصوت العالى الذى اختار جانب البسطاء والمحرومين . لذلك عندما حدث حريق القاهرة فى يناير عام ١٩٥٢ وجدها الملك فرصة للإطاحة بى وبأحمد حسين . . فتم القبض على الأخير . ولكننى قد قررت الانتظار وعدم تسليم نفسى . . فاختفيت عن الأنظار وأقمت عند إبن أختى الدكتور « محمود فهمى » . . إلا أن الملك لم يهدأ له بال حتى أمر وزير داخليته « مرتضى المراغى » بضرورة البحث عن إبراهيم شكرى وإلقاء القبض عليه .

وبالفعل تمكنوا من اعتقالى . وبهذه المناسبة أنعم الملك فاروق على قائمة طويلة من ضباط البوليس بالأوسمة لضبطهم النائب الاشتراكى إبراهيم شكرى . وفى هذه الفترة ظللت مسجوناً حتى تم عرض قضيتى على محكمة الجنايات بتهمة العيب فى الذات الملكية التى حكمت علينا بالسجن لمدة ٦ أشهر . . فانتقلت من قاعة المحكمة إلى سجن مصر . . ثم إلى سجن القلعة . وعلى فكرة لم أقض كل هذه المدة خلف القضبان . . وإنما

قضيت فقط منها حوالى ثلاثة شهور إذ تم الإفراج عنا بعد قيام ثورة يوليو بأيام قليلة ويمكن بالضبط بعد رحيل الملك بيوم واحد ! .

● وكيف تم الإفراج عنكم فى المرة الأخيرة . . إنها لا شك قصة تستحق الاستماع إليها خاصة وأنها قد ارتبطت بحدث تاريخى كبير مثل قيام ثورة ٢٣ يوليو ؟!

●● فى هذه المرة . . كانت الأمنية الوحيدة التى تمنيت تحقيقها بعد الإفراج عنى . . أن أذهب كى أحج بيت الله الحرام . . ولكن الظروف لم تحقق لى هذه الأمنية . . فقد انفجرت ثورة يوليو عام ١٩٥٢ وأنا معتقل خلف القضبان . ولم يمر على هذا الاعتقال سوى شهور قليلة . فأنا دخلت السجن فى مارس من عام ١٩٥٢ . والثورة قامت فى يوليو من نفس العام . ولعلى أتذكر جيداً أنه فى يوم الأربعاء الموافق يوم ٢٣ يوليو . . ترامت إلى ذهنى أخبار لم أصدقها حين سمعتها وهى أن الجيش قد ثار واحتل مدينة القاهرة . . وأن اللواء محمد نجيب هو الذى أذاع بيان تطهير الجيش بوصفه قائداً عاماً للقوات المسلحة فى ذلك الوقت .

وفى يوم الخميس ٢٤ يوليو . . تتوالى الأحداث بسرعة . . فالجيش يفرض على الملك وزارة جديدة برئاسة على ماهر . . واللواء محمد نجيب يعلن أنه سيكون فى خدمة الدستور . . وفى يوم الجمعة سمعت وأنا داخل المعتقل بالقبض على أحمد طلعت وإبراهيم إمام الجزار ، رجال البوليس السياسى الذين لفقوا لنا العديد من القضايا . وجاء يوم السبت بنبأ جديد . . حيث تم اعتقال حاشية الملك . . أما أخطر الأخبار التى سمعتها وليلتها نمت وكأنها لم أنم منذ سنوات . . حين سمعت عن تنازل الملك فاروق عن العرش لابنه الطفل أحمد فؤاد . وكان ذلك فى منتصف ليلة ٢٦ يوليو . وفى يوم الخميس ٣١ يوليو . . تتذكر الثورة رجال مصر السجناء . . وكنت أنا منهم . . لذلك قرروا الإفراج عنى . .

وحين خرجت من السجن توجهت إلى مجلس قيادة الثورة لمقابلة اللواء محمد نجيب . . لأنهم قد أفرجوا عنى ولم يفرجوا عن أحمد حسين . وفى مجلس قيادة الثورة لم أقابل اللواء محمد نجيب . . بل قابلت يومها جمال عبد الناصر . الذى عرفنى بنفسه حيث قال لى : «أنا جمال عبد الناصر وقد كنت معكم عضواً فى حزب مصر الفتاة » ! .

ولعلى أذكر جيداً آخر لحظات كنت أقضيها خلف القضبان . . عندما تقرر هذا الإفراج . إننى فى صباح ذلك اليوم فوجئت بالسجان يفتح الباب فوجدنى نائماً على غير عادتى كل يوم . . حيث كنت أنتظر الصباح الجديد واقفاً خلف باب الزنزانة . فدخل وأيقظنى وأبلغنى بخبر الإفراج عنى الذى أذاعته الإذاعة عدة مرات . فقد قرر رجال الثورة إذاعة خبر الإفراج عن كل المتهمين بالعيب فى الذات الملكية وخاصة إذاعة اسمى . . لذلك وجدت هذا السجان يقول لى بالحرف الواحد : أنت لسه نايم والإذاعة طول الليل بتنادى على اسمك . .

وكما قلت لك سابقاً . . إن أحمد حسين لم يفرجوا عنه معنا . . فقد اعتقلوه بتهمة أخرى وهى الإشتراك فى حريق القاهرة . وهى قضية أخرى تماماً .

وكوسيلة من وسائل رد الاعتبار لشخصى . . فقد صدر فى اليوم التالى قرار ملكى موقع من الملك أحمد فؤاد بالإفراج عنى من المعتقل و إيقاف مدة العقوبة الباقية .

● ماذا استفاد السياسى إبراهيم شكرى من تجربة السجن؟ .

●● كانت أعظم فرصة كى أقرأ . . وكى أمارس هوايتى المفضلة وهى الرسم . . بجانب أنها كانت فترة صفاء روحانى عجيب .

● وهل هناك علاقة بين العمل السياسى وبين عقوبة السجن ؟! .

●● فى الواقع أنه بالنسبة لهذا الموضوع . . كنا كسياسيين فى حزب مصر الفتاة محصنين ضده . . لأن السيد أحمد حسين رئيس الحزب رحمة الله عليه كان دائماً يقول لنا : « إن السجن هو المكان الطبيعى لكل مجاهد فى وطن محتل ومضطهد » .

● وبعد مرحلة حزب مصر الفتاة . . هل ترون أن هذه العلاقة التى بين العمل السياسى وبين عقوبة السجن ما زالت قائمة ؟!

●● عندما نقول إن العمل السياسى . . هو فى الأساس عمل مرتبط بالرأى وبتقديم الخدمة للمواطن فلا أتصور أن الذى يمثل الرأى الآخر . . مهما كان فيه خلاف . . لا يمكن أن يدخل السجن . . معنى ذلك أنه ليس هناك علاقة من هذا النوع على الإطلاق .

وأنا أعتبر أن تلك إحدى ظواهر التخلف التى ترتبط بالمجتمعات التى لا تؤمن بالديمقراطية .

● وهل مثل هذه العقوبة . . يمكن القول بأنها تنتظر كل من يشتغل بالعمل السياسى؟!.

●● ليس بالضرورة هذا . . ولكن عليه فى نفس الوقت أن يختار إذا ما كان تمسكه برأيه وموقفه السياسى سوف يؤدى به إلى السجن فما المانع ؟! . . فى مقابل أنه لن يتنازل عن هذه الآراء . .

● وهل نستطيع أن نقول فى الوقت نفسه . . إن عقوبة السجن قاصرة على السياسى المعارض . . أم من الممكن أن ينالها أيضاً السياسى المؤيد ؟!

●● لا أعتقد أن مثل ذلك يمكن أن يحدث فى دول العالم الثالث . . فكيف يدخل السياسى المؤيد السجن ؟! . إنه لا يدخل السجن فى مثل هذه الحالات إلا السياسى المعارض . . أما السياسى المؤيد فسوف يستطيع أن يجد لنفسه ألف طريق وطريق كى ينجو بنفسه من هذه العقوبة . ويجد لها المبرر . . حتى ولو كان قد ارتكب بعض الأخطاء مثل الانتفاع الخاص أو الإهمال أو أى شىء من هذا القبيل .

● وهل يمكن القول بأن هذا الرأى ليس فيه استثناء ؟! . بمعنى أنه من الممكن أن تصيب هذه العقوبة بعض السياسيين المؤيدين ؟!

●● مثل هذا الشىء إذا حدث فهو نادر بالفعل . . لأنه عندما تختلف العهود من الممكن أن تنقلب الموازين . . وإليك خير مثال على ذلك أنه بعد رحيل السادات تمت محاكمة أخوه وإدخاله السجن .

ومثال آخر عبد العظيم أبو العطا . . حين انتقل إلى صفوف المعارضة ووقف فى وجه السادات . . لقد كان عبد العظيم أبو العطا بالفعل معارضاً وليس مؤيداً . وإلا لماذا دخل السجن ؟! . لقد جمع السادات كل خصومه وكل من وقف فى صفوف المعارضة ووضعهم فى السجن فى اعتقالات سبتمبر . وخاصة فيما يتعلق بالموقف المعارض من اتفاقية « كامب

ديفيد » . لأن المرحوم أبو العطا قد كتب لدينا فى جريدة « الشعب » . . عدة مقالات معارضاً اتفاقية « كامب ديفيد » فيما يخص جزئية توصيل مياه النيل إلى إسرائيل عبر شبه جزيرة سيناء . إذن هنا تجده قد انقلب من مؤيد إلى معارض .

وهذا نموذج فريد يدل على أن السياسى لا يعرف التقدير أبداً فرغم أننى لم أكن متفقاً معه فى الرأى حتى داخل العمل العام . وعلى ما أذكر أننى قد عُينت وزيراً للزراعة وللرى فى نفس الوقت أثناء فترة حكم الرئيس السادات . ولعل هذه كانت أول سابقة تحدث حين يتولى وزير واحد . . وزارة الزراعة والرى فى نفس الوقت .

● ما هو التعريف القانونى لعقوبة السجن بالنسبة للسياسى أولاً ؟! ثم بالنسبة للمجرم العادى ثانياً ؟!

●● ليس بالضرورة أن يكون هناك ارتباط بين العمل السياسى وبين عقوبة السجن . إلا أنه يمكن أن أقول إنه فى العالم الثالث ونظراً لتداخل الأمور وسيطرة الحزب الحاكم أو الفرد الديكتاتور . . هنا تظهر عقوبة السجن كرادع للسياسى المعارض . . للحد من هذا النشاط .

ونستطيع أن نقول فى ذلك أيضاً : إنه وسيلة من وسائل عقاب السياسى على مواقفه المعارضة للحاكم ، على اعتبار أن السجن بالنسبة لرجل السياسة من الممكن أن يراه الحاكم على أنه شىء فظيع للغاية . . ولكن رجل السياسة المؤمن بأفكاره والمؤمن بالوطنية لا يهتم بمثل هذه العقوبة التى يجب ألا تقترن بشبهة تعذيب أو إهدار كرامة هذا السياسى . والسجن هنا يكون بشكل طبيعى ونتيجة طبيعية للعمل العام بشرط أن يقترن هذا السجن بحقوق الإنسان .

أما فيما يخص المجرم العادى . . فالسجن بالنسبة له هو المكان الطبيعى إذا ما دخله بعد حكم محكمة استند إلى وقائع ارتكبها ويعاقب عليها وفقاً للقانون العام . . ولا بد أيضاً أن يتوافر لهذا المسجون حقوقه الإنسانية كاملة .

● المهندس إبراهيم شكرى رئيس حزب العمل دعنا نسأل سيادتكم . . متى يسجن السياسى بشكل عام ؟! .

●● لا أعتقد أنه من اللائق أن يتم سجن السياسى إلا فى حالة واحدة . . هى مخالفته للقانون العام . وحكمت عليه المحكمة بناء على هذه المخالفة . لذلك تجدنا فى حزب العمل ضد كل القوانين الاستثنائية . . مثل حالات الطوارىء وخلافه ، حتى محاكم أمن الدولة وإجراءات المدعى الاشتراكى . . إن مثل هذه القوانين هى فى الأصل قوانين استثنائية .

● وما رأيكم فى سجون مصر الآن ؟!

●● أنا لا أدعى أننى قد دخلت السجون . . ولكننا سمعنا ممن دخلوا هذه السجون أنها أصبحت بالصورة التى لا نحب أن تكون عليها . لأننا نؤمن أنه لا بد من الحفاظ على كرامة المواطن وإنسانيته خلف هذه الأسوار العالية . وأن مجرد سجنه ليس فرصة من أجل الانتقام منه . . وإهانة كرامته .

إن المواطن حين يدخل السجن بعد حكم عادل . . لا بد وأن يقضى هذه العقوبة بشكل يتسم بالإنسانية حتى لا يخرج من هذا السجن وكله انتقام على هذا المجتمع الذى عامله بهذه القسوة . أضف إلى ذلك لا بد وأن تتاح لهذا السجين فرصة طيبة لرؤية أسرته وفرصة أخرى للقراءة . . وهكذا يخرج مواطناً صالحاً . .

● وفى ضوء ذلك . . ماذا فعل حزب العمل من أجل إصلاح السجون فى مصر ؟!

●● يرى حزب العمل وفقاً لمبادئه فى هذه الخصوصية أن يكون للنيابة حق التفتيش على السجون بشكل دورى . . وأن يكون هذا الأمر بعيداً عن المظهرية . . ويتطرق إلى إشراف حقيقى من أجل تحقيق ما تنص عليه اللوائح الخاصة بهذه السجون . أضف إلى ذلك أننا قد كتبنا الكثير فى صحفنا عن هذا الموضوع مطالبين بضرورة تحقيق ثورة إصلاح شاملة للسجون فى مصر . لأننا كثيراً ما نلاحظ وجود وللأسف نوع من التنسيق بين الشرطة والنيابة فيما يحدث داخل هذه السجون . .

● وهل من الملائم ووفقاً لمبادىء حزب العمل أن يكون وزير الداخلية من رجال الشرطة ؟! أم أن ذلك لابد وأن يكون منصباً سياسياً ؟!.

●● فى الماضى وقبل الثورة ، كان منصب وزير الداخلية منصباً سياسياً بحتاً . . وكان يندرج تحته مجموعة التخصصات الشرطية الأخرى . . هذه التخصصات التى يديرها ضباط متخصصون . وبشكل عام لا بد وأن يكون كل أعضاء الوزارة من السياسيين . بمعنى أن مسئولية الحكم داخل مجلس الوزراء هى مسئولية تضامنية وفقاً لمبادىء الحزب الذى يفوز فى الانتخابات . . وبناء على هذه التضامنية لا بد من اختيار كل وزير يناسب موقعه بحيث يكون فى النهاية مسئولاً أمام حزبه . ولا بد كذلك من أن يكون على كفاءة وعلى دراية بما سوف يسند إليه . ولدينا فى حزب العمل لو وجدنا ضابط بوليس على نفس الكفاءة المطلوبة . . وأردنا اختيار وزير للداخلية ، من المؤكد سوف نختار هذا الضابط لهذه المهمة .

ولاحظ اليوم أن كلية الشرطة تدرس الآن القانون . . إذن سيكون لدينا ضابط شرطة يعرف القانون بجانب معرفته بعلوم الشرطة ، بعكس الشرطة فى الماضى حيث لم يكن هناك دراسة للقانون .

ولعلك تلاحظ أن كل الذين تولوا هذه الوزارة من قبل الثورة كانوا من رجال الحقوق والقانون . لذلك أصبح الآن منطقيًا أن تجد من بين هذه المجموعة الكبيرة التى تتخرج من كلية الشرطة كل عام من يصلح لتولى وزارة الداخلية .

● معنى ذلك وبشكل عام . . هل يفضل حزب العمل ووفقاً لمبادئه السياسية أن يكون الوزير متخصصاً ؟ مثلاً . . أن يكون وزير الصحة طبيباً أو أن يكون وزير المواصلات مهندساً . . وهكذا ؟! .

●● فى كثير من البلاد وكما قلت لك من قبل تكون الوزارة سياسية ، وأن الحزب أى حزب يتولى فإنه يعطى المسئولية لقيادات سياسية بداخله . . وحتى الأحزاب التى لا تتولى يكون لديها وزارات ظل وبها وزراء يعرفون مهامهم تماماً وفقاً لمبادىء حزبهم . وهنا لا يكون بشرط التخصص . . لأن الحكم فى أى وزارة من الوزارات يسير وفقاً لسياسات متفق عليها داخل الحزب وفى الدولة . . وأن الأمر فى الأول والآخر ليس قاصراً على الوزير . . لأنه لا ينفذ سياسته هو . . بل ينفذ سياسة الحزب .

من هنا نعتبر أنه من الخطأ أن يأتى كل وزير لتغيير ما صنعه الوزير الذى سبقه وهكذا. وفيما مضى كان بداخل كل وزارة ما يسمى بوكيل الوزارة الدائم .. الذى كانت مهمته متابعة تنفيذ سياسة الوزارة لأنه لا يتغير بتغيير الوزراء .. الذين تكون مهمتهم فى الغالب مهمة سياسية بحتة. لذلك ليس بالضرورة وجود وزير متخصص.

● وماذا يفعل رئيس حزب العمل ومن ورائه كل أجهزة الحزب حين يتم اعتقال أى سياسى ينتمى إليه ؟!

●● أولاً إننا نرى فى مثل هذه الحالات الإسراع فى اتخاذ كل الخطوات القانونية التى لنا الحق فيها .. من حيث معرفة الأسباب والتهمة والمكان المحتجز فيه إلى آخره . ثم الاتصال بالنقابات التابع لها إذا كان مهنياً للتنسيق معها فيما سوف تقوم به من إجراءات .

وفى ظروف سياسية كثيرة وإذا اقتضت الضرورة نقوم بعمل اتصالات شخصية مع الحكومة ، خاصة إذا كنا نعيش فى ظل قانون طوارىء مثل الموجود حالياً . هنا لا بد من الإسراع فى التدخل خاصة حين نكتشف أن هذا الاعتقال قد تم بشكل استثنائى ولا يستند إلى القانون العام .. وهناك جانب إنسانى آخر نقوم به من خلال أجهزة الحزب .. يتمثل فى الاتصال بالسياسى المعتقل وتذليل عقبات حياته سواء داخل القضبان أو خارجها ..

ولا يقتصر هذا الأمر عليه شخصياً وإنما تمتد رعايتنا إلى أسرته وأهله حتى يتم الإفراج عنه . وبجانب هذا وذاك نحن نستخدم حقنا الطبيعى فى نشر القضية ومناقشتها داخل صحفنا . وإذا ما تعرض هذا المسجون لأى نوع من أنواع التعذيب نبادر فوراً بالتنويه عنها .. وننشرها على الرأى العام . على أن تكون كل اتصالاتنا اتصالات ودية حتى نتمكن من حل هذه المشكلة .

● هل يقبل السياسى المخضرم إبراهيم شكرى أن يخرج من المعتقل إلى كرسى الوزارة؟ ولماذا؟!

●● أعتقد أن الربط فى سؤالك هذا بين العملين ... هو ربط فى غير محله .. ولا يحوى معنى طيبا .. لأنه إذا حدث إنما هو دليل على تخلى السياسى عن مبادئه .. لذلك عملياً أقول لقد صادفنى ذلك حين كنت معتقلاً قبل الثورة ثم تم الإفراج عنى كما حكيت لك

من قبل . . ولم أكن أشغل نفسى بما سوف يحدث فى التنظيمات القادمة كى يكون لى فيها موضع قدم . . وهكذا . . ولعلى ذكرت لك أننى رفضت الانضمام لهيئة التحرير . . مما تسبب فى إبعادى عن دخول انتخابات عام ١٩٥٦ .

● وهل لو حدث مثل ذلك مع غيرك من السياسيين . . هل نستطيع القول بأنه عمل غير كريم وغير أخلاقى . . ويعتبر تخلياً عن المبادىء ؟!

●● فى البداية وقبل أن نحكم . . لا بد وأن نعرف أن هذه المشاركة قد تمت على أساس؟! هل خرج من السجن كى يتولى منصباً وزارياً على سبيل المكافأة حتى يتخلى عن موقعه فى صفوف المعارضة ؟! . أم أن هذه المشاركة قد تمت وفقاً لمبادئه . .

وعلى أية حال . . إذا ما تمت هذه المشاركة السياسية من أجل التخلى عن المبادىء كرشوة . فذلك مرفوض تماماً . . وهو هنا يكون عملاً غير أخلاقى .

● دعنا نسأل المهندس إبراهيم شكرى سؤالاً شخصياً . . ولكنه يرتبط بموضوع هذا الحوار . . وهو ما هى الشخصيات التى تعرفتم بها خلف القضبان ؟!

●● الحقيقة عرفت الكثير من الوطنين والسياسيين . . منهم المرحومين فتحى رضوان وأحمد حسين وهؤلاء كانوا من بين الذين تعرفت عليهم فى الفترة الأخيرة . . أما الذين تعرفت عليهم فى فترة الثلاثينات فكان منهم مجموعة كبيرة من الشباب وتأثرت بهم فى السجن . . منهم على سبيل المثال الشهيد مصطفى الوكيل رحمة الله عليه الذى دخل السجن عام ١٩٣٧ . . وكان عالماً فى تخصص العلوم . . وأخذ الدكتوراة فى الرياضة البحتة التى لم يكن قد حصل عليها سوى الدكتور مصطفى مشرفة .

إن الدكتور مصطفى الوكيل ذلك الرجل الذى رفض العمل فى الحكومة وتفرغ للحياة الوطنية . . وقد قبض عليه معى فى الريف فى نفس الفترة . . لذلك قضيت معظم أيام السجن معه . . وكان بالنسبة لى خير مثال لشباب مصر الوطنى . وهناك بخلاف ذلك قطاع عريض من الشيوعيين واليساريين . فقد كنت كثيرا ما أنضم إليهم فى السجن . . ولا يزال بينى وبين عدد كبير منهم علاقات حتى اليوم . . ومنهم على سبيل المثال . . رئيس شركة العبوات الدوائية . الذى لا أتذكر اسمه الآن .

● وماذا يكون تصرف السياسى الكبير إبراهيم شكرى حين يصل إلى الحكم كرئيس للحكومة بدلاً من رئيس الحكومة الذى سبق وأعلن اعتقالكم . . هل تتعاملون معه بالمثل . . أم ماذا ؟! .

●● لا أعتقد أن ذلك سيكون فى تصورنا . . إن الاعتقال هو إجراء استثنائى . . ولا أتصور أننى سأكون فى يوم ما مشاركاً فى حكم يلجأ إلى الأساليب الاستثنائية .

● هل يمكن أن يكون السجن من وجهة نظر السياسى الكبير إبراهيم شكرى نوعاً من الردع . . يؤدى إلى تحجيم العمل السياسى ؟! .

●● نعم . . يمكن أن يحدث ذلك للبعض . ففى حالات كثيرة يترك السجن أثراً شديداً داخل نفس رجل السياسة الأمر الذى يجعله إما أن يتخلى بشكل كلى عن العمل السياسى وينسحب من الحياة السياسية . . وإما قد يتسبب السجن فى التقليل من تمسكه بمبادئه السياسية . ولكن الغالبية من رجال السياسة لا يؤثر السجن فى نشاطهم . . وبالتالى لا يكون رادعاً بحيث يتراجعون عن مبادئهم . . بل بالعكس يكون السجن فى هذه الحالة نوعاً من الإصرار على مواصلة مشوار الحياة السياسية . وهنا تتدخل طبيعة البشر التى تختلف من إنسان لآخر .

● وهل مثل هذا الإصرار على تحدى عقوبة السجن . . يتوقف على مدى عمق ومتانة مبادىء الحزب الذى ينتمى إليه السياسى ؟! .

●● يعنى لا أستطيع أن أحددها وفقاً لهذا المقياس . . ولكن هناك مقاييس أخرى مثل الصحة والعجز والخوف . . يعنى تقدر تقول إنها ترتبط فى الأساس بالظروف الشخصية لهذا السياسى أو ذاك . . ولا يدخل فيها مدى عمق الإيمان بمبادىء الحزب من عدمه .

● وإذا ما دخل السياسى السجن . . هل ينفصل عن نشاطه السياسى وأحلامه ومشاريعه . . أم يظل على اتصال بكل ذلك ؟!

●● تقدر تقول إن دخول رجل سياسة له مبادىء وله نشاط مرموق فى الشارع السياسى السجن . . هو نوع من الضريبة التى يجب أن يدفعها . . ولا يجب أن نتصور أنه يمكن أن

ينفصل عن الشارع السياسى . . لذلك فعليه أن يتابع ويتواصل مع عالمه السياسى حتى وهو خلف هذه القضبان .

إذن من الممكن أن يوصل مبادئه إلى الخارج . . وينصح ببعض المواقف والآراء ما دام يستطيع أن يقيم قنوات اتصال له خارج قضبان السجن . ولاحظ ان ذلك لا يتم إلا فى حدود المتاح لهذا السياسى الذى ينعزل عن العالم تماماً بوجوده خلف هذه الأسوار العالية . ولعلى شخصياً لا أعتقد أن هناك رجل سياسة يستطيع أن يقود معاركه ونشاطه من خلف القضبان . . لأن نسبة الخطأ هنا تكون كبيرة . . فهو يعتمد أولاً وأخيراً على ما ينقل إليه من تقارير . . ولا يرى ما يحدث فى الشارع السياسى بنفسه . لذلك أرى أن دور السياسى خلف القضبان لا بد وأن يكون محدوداً .

● إذن يمكن إن جاز هذا التعبير . . أن نعتبر هذه العقوبة نوعاً من الهدنة . . يفرض على السياسى . . حين يدخل السجن ؟! .

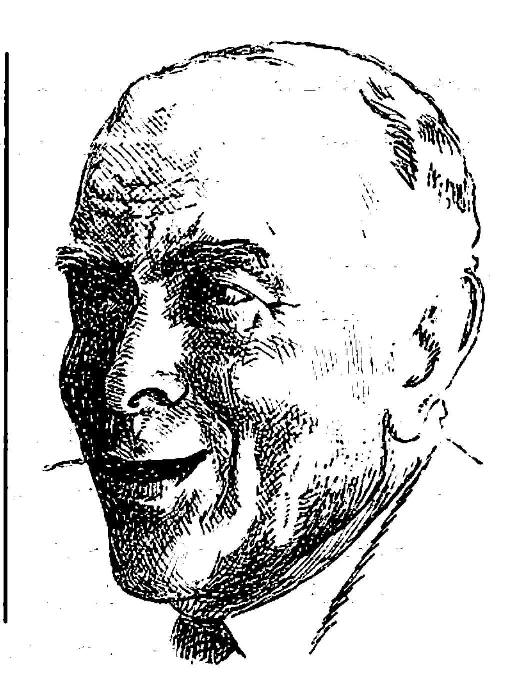
●● هى تعتبر فى الأساس قيوداً مفروضة عليه . . لأن المتاح له فقط . . يكون من خلال الاتصال البسيط بمن يزورونه . . من هنا لا بد وأن تحول هذه القيود إلى شىء مفيد ونافع . . مثلاً يقرأ ويزيد من ثقافة نفسه حتى إذا ما خرج من جديد . . يستطيع أن يضيف شيئاً جديداً فى طريق حياته السياسية وربما هذه الأشياء قد تدفعه إلى الأمام أكثر داخل الشارع السياسى . وهناك جانب آخر يستطيع استغلاله وهو خلف هذه القضبان . . هذا الجانب يتعلق بما يستطيع أن يقوم به من عمل ندوات ومناظرات تدعو لمبادىء حزبه . . هذه المبادىء التى يدعو إليها يمكن أن تزيد من الأعضاء المنتمين لحزبه إذا ما اقتنع بها غيره ممن يشتركون معه فى هذه الندوات وهذه الحوارات . وقد لا تقتصر هذه الحوارات على مناقشة مبادىء الحزب . . بل تتطرق لمناقشة قضايا اجتماعية كثيرة . يمكن أن يلعب فيها السياسى دوراً كبيراً .

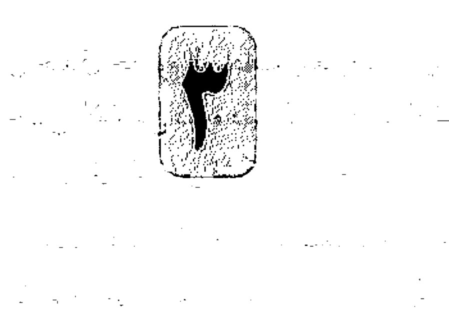
● المهندس إبراهيم شكرى . . فى ختام هذا الحوار . . دعنا نسأل : ماذا استفدتم من تجربة السجن داخل الشارع السياسى ؟!

●● فى واقع الأمر إن موضوع السجن خاصة فى الفترة التى حكم فيها علينا فى تهمة

العيب فى الذات الملكية . . لم أشعر أنه كان عبئاً علينا . . ولم يترك أى أثر سيىء . . وحتى أكون صريحاً معك أكثر . . أقول لك لقد كنت مطمئناً على أسرتى وأولادى . وعندى طبيعة خاصة قد ساعدتنى كثيراً . . وهى أننى لا أشغل بالى أبداً إلا بالموضوع أو القضية التى أعيشها الآن فقط . بمعنى أننى كنت لا أفكر فى أمور غيبية . . وليس عندى تفاصيل عنها . لقد كنت على قناعة من ضرورة أن أنتفع بوقتى داخل السجن بما تسمح به الظروف فى شىء ثمين وهام . . حتى أننى كثيراً ما كنت أدخل السجن ولا أفكر متى سأخرج أبداً. وكان ذلك مثار تعجب بعض الزملاء الذين كان لا هم لهم يومياً إلا ارتداء ملابسهم استعداداً للخروج .

❊ ❊ ❊





٣

●● ضياء الدين داود

قررنا تكوين الحزب المصرى خلف الأسوار العالية !

كنت كلما أقول لمن حولى . . إننى سوف أطلب مقابلة ضياء الدين داود . . من أجل إجراء حوار معه حول تجربة السجن فى حياته . . كلما علت الدهشة وعلامات الاستفهام الوجوه . . ولقد ظلت هذه العلامات عالقة فى ذهنى منذ أن بدأت رحلة الإعداد لهذا الحوار . حتى التقينا فى مكتبه بالحزب الناصرى بشارع طلعت حرب ظهر أحد الأيام . .

وحتى كتابة هذه السطور لم أعرف سبب كل هذه الدهشة خاصة وأننى قد قابلت الرجل . . واكتشفت فيه السياسى والمحامى الذى يشعرك بالود وأنت تحدثه عن قضية تشغل بالك وتريده أن يقف بجوارك فى المحكمة .

وقلت لنفسى ربما إنتماؤه السياسى ودوره فى داخل حياة مصر السياسية خاصة فى الفترة التى أعقبت رحيل عبد الناصر بأيام . . يكون هو السبب . فقد كان السياسى المخضرم ضياء الدين داود أو كما كان يحلو للسادات أن يناديه . . « ضياء داود » من أنشط أعضاء اللجنة المركزية العليا للاتحاد الاشتراكى والتى ارتبط دورها بعد رحيل عبد الناصر بالوقوف

فى خندق خصوم السادات ومعارضة اختياره رئيساً لمصر . . بخلاف ذلك كان من أعضاء مجلس الأمة عن دائرة دمياط . . هذه العضوية التى كانت طريقه نحو اختيار عبد الناصر له وزيراً فى أكثر من تشكيل وزارى .

ولعل هذه الاندهشات المتكررة حتى من صديق ساعدنى فى مقابلته قد قوت بداخلى الإصرار على إجراء هذا الحوار . . ولكننى توقعت صعوبة الفوز بالمقابلة قبل اللف والدوران حوله سواء بالاتصالات التليفونية أو الشخصية .

وجاءت المحاولة الأولى عبر التليفون بمكتبه فى الحزب الناصرى . . حيث طلبت منه إعطائى فرصة أن أشرح له هذه المقابلة وتفاصيل الحوار . . وكعادة السياسيين حين تطلب مقابلتهم . . لا بد من بعض المراوغات . . حيث طلب منى السياسى والوزير السابق ضياء الدين داود أن أطلبه فيما بعد . . حتى فى منزله . . ولم أتوان فى ذلك حيث كررت المحاولة . . وأخيراً حددنا الموعد . . وتقابلنا فى مكتبه بالحزب .

وكان علينا أن نقرأ عن تاريخ ذلك السياسى . . بعضاً من لمحات حياته قبل إتمام المقابلة وإجراء هذا الحوار . . ورأيت أن أشهر ما ارتبط بدوره فى الحياة السياسية المصرية هو ذلك الموقف المعاند لاختيار السادات رئيساً لمصر خلفاً لعبد الناصر . . هذا الموقف الذى جر عليه وبقية رفاق اللجنة المركزية العليا للاتحاد الاشتراكى ويلات السجن . وأدخله خلف القضبان . . فكانت هـذه هى المرة الأولى والأخيرة فى حياة ضياء الدين داود ـ على حد قوله ـ داخل الأسوار العالية . . فيما سمى وقتها بثورة التصحيح أو ثورة ١٥ مايو عام ١٩٧١ .

ولا أحد يعـرف مـاذا كان سيحملـه لنا الزمـان من أحـداث . . إذا ما نجحت مجموعة ضياء الدين داود فى مواجهة مجموعة السادات ؟! . . هل كان سيدخل أيضاً السجن . . أم كان سيقفز إلى الصفوف السياسية الأولى ؟!

والآن وبعد مرورهذه السنوات الطويلة على رحيل غريمه السادات . . وبعد السماح بتكوين الأحزاب وعودتها إلى الشارع السياسى من جديد . . تمكن ضياء داود من قيادة مجموعة من السياسيين المصريين المعاصرين لممارسة نشاطهم السياسى تحت لواء « الحزب

الديمقراطى الناصرى » . . هذا الحزب الذى أكد لى من خلال هذا الحوار . . أن فكرة تكوينه قد نشأت خلف القضبان .

ومن أبرز الشخصيات السياسية التى تعمل معه الآن من خلال هذا الحزب . . كل من محمد فايق وزير الإعلام الأسبق فى أيام عبد الناصر . . وكذلك عبد المحسن أبو النور . . وآخرين .

وبقيت ملحوظة واحدة . . أردت أن أسجلها قبل إدارة شريط التسجيل كى نسمع معاً تفاصيل الحوار . . هذه الملحوظة قد ارتبطت بصورة غلاف كتاب « البحث عن الذات » قصة حياة الرئيس السادات . . فأثناء كتابتى لهذه المقدمة فوجئت بصورة غلاف هذا الكتاب المرسوم عليه السادات وهو يشرب « البايب » وينظر إلىّ وهو متشابك الأيدى . . وكأنما يستمع معنا إلى تفاصيل هذا الحوار . . ولا أعرف هل هى المصادفة . . وحدها التى دبرت وجود هذا الكتاب فى هذا التوقيت . . لارتباط جزء كبير مما دار فى هذا الحوار بشخص السادات . . وأيضاً بشخص المتحاور معنا وهو ضياء الدين داود الذى عارض اختيار السادات لمنصب رئيس الجمهورية . . وكان عقاباً له على ذلك الموقف الزج به خلف الأسوار العالية .

وطبعاً لم تترك الفرصة للظنون كى تعصف بالقلم . . ونزولاً على إرادة القدر التى ساقت هذه الصورة أمامنا . . أدرت شريط هذا الحوار . . وكأنما السادات يجلس أمامى ليستمع إليه . . وأنا أكتب تفاصيله . كما نقلها إلينا جهاز التسجيل على مدى خمس وأربعين دقيقة .

وفى العادة حين نبدأ الحوار لا بد من تقديم الضيف بكلمات تنصب أولاً على دوره السياسى الآن . . ثم نطلب منه أن يكمل لنا التعريف . . وضياء الدين داود كما ذكرنا فى هذا التقديم هو الآن رئيس الحزب الديمقراطى الناصرى . . ووزير الشئون الاجتماعية السابق وعضو اللجنة المركزية العليا للاتحاد الاشتراكى .

* * *

● ثم ماذا بعد هذا التعريف يا أستاذ ضياء ؟

●● أنا اسمى ضياء الدين محمد داود . . من مواليد مدينة الروضة محافظة دمياط فى ٢٧ مارس سنة ١٩٢٦ . . وتعلمت فى مدارس فارسكور الابتدائية ثم مدارس دمياط الثانوية . ثم تخرجت من كلية الحقوق جامعة القاهرة . . دفعة عام ١٩٤٩ . . واشتغلت بالمحاماة ومنذ تخرجى فى هذا العام وحتى الآن . لم أنقطع عن هذه المهنة إلا فترة الوزارة وفترة السجن فقط . وما خلا ذلك فأنا محام . . وأعتز كثيراً بهذه المهنة وبانتمائى لها ، فوق سعادتى بأى مهنة أو منصب قد أُسند لى طوال هذه السنوات .

بدأت حياتى العملية سياسياً فى بداية ثورة يوليو . . وعملى السياسى يرتبط ببدايتى المعيشية . . حيث كنت أعيش فى قرية كلها من الإقطاع وأصحاب الضياع الزراعية . . وأهل هذه القرية جميعاً كانوا يعملون بالأجر فى هذه الأراضى الواسعة التى كان يملكها آنذاك « البرنس » . . ذلك الإقطاعى الكبير . كما كان يملك العديد من الأراضى الزراعية فى العديد من القرى المجاورة . . وكان وكيل « البرنس » فى إدارة هذه الأملاك . . هو على ماهر باشا وأحمد ماهر باشا فى فترة أخرى . وقد تكونت رؤيتى السياسية من خلال معايشتى لهذا الواقع الاجتماعى واحتكاكى به بشكل مباشر . ومن ثم عندما قامت الثورة انفعلت بها غاية الانفعال وانخرطت فى صفوف المؤيدين لها منذ هذه الفترة وحتى الآن . .

● وما هى قصة اختيارك فى منصب وزير الشئون الاجتماعية ؟!

●● سوف أحكى لك قصة هذا الاختيار . . ولكن دعنى أكمل لك مسيرة العمل السياسى . . قبل هذا الاختيار . .

لقد دخلت تنظيمات الاتحاد الاشتراكى وأصبحت عضو لجنة محافظة دمياط من بداية تكون الاتحاد الاشتراكى فى الستينيات . . وفى عام ١٩٦٤ رشحت نفسى لعضوية مجلس الأمة . وكانت هذه أول مرة . . وقد فزت فيها بمقعد دائرة فارسكور . وظللت عضواً فى مجلس الأمة حتى عام ١٩٧١ . . وقضيت به دورتين . . وخلال هذه المدة وفى عام ١٩٦٨ تم اختيارى وزيراً للشئون الاجتماعية ووزير دولة لشئون مجلس الأمة . . أى كنت فى منصب وزيرين فى وقت واحد . وفى عام ١٩٦٩ تم انتخابى عضواً باللجنة التنفيذية العليا

للاتحاد الاشتراكى . وظللت بهذا المنصب حتى عام ١٩٧١ . . حين وقع الخلاف بيننا وبين أنور السادات . هذا الخلاف الذى انتهى بإلقاء القبض علينا وإيداعنا السجون ابتداء من ١٣ مايو عام ١٩٧١ . .

[مقاطعة : لعلك يا أستاذ ضياء قد قرأت السؤال الأول وحاولت الإجابة عليه . . ولكننى أكرره مرة أخرى] . .

● **كم مرة دخلت فيها السجن . . ؟!**

●● هذه المرة هى التى حكيت لك عنها . . وكانت أول وآخر مرة . وقد تم الإفراج عنى فى ٣١/ ١٢/ ١٩٧٦ . .

● **والسبب فى الاعتقال ؟! .**

●● لقد حدث بيننا وبين السادات خلافات كثيرة من بينها إصراره على الانفراد بالحكم وتجاهل المؤسسات !! . وقيامه بالاتصال بالأمريكان لحل مشكلة بيننا وبين إسرائيل لكى يتفادى الدخول فى معركة عسكرية . . وكان هذا الخلاف من جانبنا قائم على عدم إحساسنا بأن مثل هذه الاتصالات لن تفيد بأى شىء ما لم تقم معركة عسكرية تثبت وجودنا فيها .

وبناء على هذه الخلافات بدأ السادات يتجاهل المؤسسات السياسية التى كانت قائمة وقتذاك وهى اللجنة المركزية واللجنة التنفيذية العليا . أيضاً من النقاط التى أثارت خلافاً بيننا وبين السادات إعلانه الاتحاد الثلاثى بين مصر وليبيا وسوريا . . وكان داخل فيه السودان . . لكن السودان انسحب . وسبب خلافنا معه حول هذه النقطة أننا كنا نرفض الانشغال فى أمور سياسية جانبية وحتى لا تعطلنا عن الهدف الأكبر وهو الحرب ضد إسرائيل . وقبل أن ننتهى من إزالة آثار العدوان .

جانب آخر من جوانب هذا الخلاف أننا كنا نعتقد أن هذه الوحدة كان الهدف منها تحقيق الوحدة الحقيقية .

وعلى ما أتذكر أننى قد دخلت معه فى حوار حول هذه الوحدة وقد سألته هل هذه هى

وحدة الرؤساء الثلاثة السادات والقذافى والأسد ؟! . . أم وحدة الشعوب الثلاثة . هذا السؤال أثاره جداً وجعله يخرج عن إطار المناقشة والحوار .

أعود وأقول لك لقد انتهى السجن وخرجت للحياة من جديد فى يناير عام ١٩٧٧ وعدت إلى العمل كمحامٍ ثم عدت للحياة السياسية . . وكان هناك قرار من السادات بالعزل السياسى لمجموعتنا . . لذلك فور خروجى رفعت دعوى بطلان أمام محكمة دمياط وطالبت بإلغاء القانون وإدراج اسمى فى كشوف الانتخابات . وقد أوقفت المحكمة الدعوى وطلبت منى رفعها أمام المحكمة الدستورية العليا . . وبالفعل رفعت هذه الدعوى وحصلت على حكم بإلغاء قرار العزل السياسى . . فى الوقت الذى حصل فيه فؤاد سراج الدين على نفس الحكم بإلغاء العزل السياسى بالنسبة له ولمن معه من السياسيين من مجموعته .

وبناء على هذا دخلت الحياة السياسية من جديد وبدأنا نُعد لتكوين الحزب الناصرى . . الذى مر بمرحلتين . . مرحلة التأسيس ثم مرحلة الإشهار بعد موافقة لجنة الأحزاب .

● **وأين أنت الآن على الخريطة السياسية المصرية ؟! .**

●● بخلاف وجودى على رأس الحزب الناصرى . . فأنا الآن عضو مجلس الشعب عن دمياط . . عن مقعد المرشح المستقل . . لأنه لم يكن قد تم تكوين الحزب الناصرى بعد .

● **وهل هناك علاقة بين العمل السياسى بشكل عام . . وبين عقوبة السجن ؟! .**

●● لا علاقة بين هذا وذاك إلا فى دول العالم الثالث الذى ننتمى إليه . . لأنك تجد فى الدول الديمقراطية التى نأخذها كتطبيق حقيقى . . هناك مبدأ راسخ ، داخل هذه الدول يقوم فى الأساس على تداول السلطة بين الأحزاب القائمة . . لذلك تجد أن الصراع والخلاف السياسى داخل هذه الدول له أسس . . إما أن يختفى السياسى من فوق خريطة الحياة إذا ما رأى الشعب ذلك فيتم عزله عن الحياة السياسية . وإما أن يواصل مشواره السياسى ما دام يعمل من أجل الجماهير . . وحتى لو اختلف مع الحزب الذى يمثله فى الشارع السياسى فعليه إما الاعتزال أو الانشقاق . ويترتب على ذلك عقوبات هى أشد من

عقوبة السجن . . هذه العقوبة تظل تطارده داخل الحياة السياسية وتبطل من نشاطه الجماهيرى سواء داخل دائرته الانتخابية أو داخل الحزب الذى ينتمى إليه . . وتكون كل هذه العقوبات فى إطار الحياة الديمقراطية السائدة .

أما فى العالم الثالث فإن عقوبة السياسى تبدأ من القتل والسحل وتنتهى بالسجن . ونحن هنا فى مصر والحمد لله أخف وطأة مما هو حادث فى بلدان كثيرة غيرنا . . رغم ما عانيناه داخل السجن .

ودعنى أذكر واقعة واحدة سمعنا بها داخل السجن . . هذه الواقعة تصور لك الفرق الشاسع بين ما يحدث فى مصر هنا وبين ما كان يحدث فى البلاد القريبة منا .

لقد سمعنا ونحن خلف القضبان عن الصراع السياسى الذى نشأ بين نميرى رئيس السودان وبين بعض وزرائه الذين هربوا منه بالطائرة إلى ليبيا . وعندما أعادوهم إلى السودان مرة أخرى أعدمهم نميرى فى لحظات .

لقد كنا حين نسمع ذلك . . نحمد الله أننا بالفعل لا نعيش فى السودان على اعتبار أن بمصر درجة أرقى من التعامل مع الخصوم السياسيين . رغم أننى أعتبر أن عقوبة السجن للسياسى هى عقوبة مسيئة للنظام القائم . ولأى دولة حضارية فيها ممارسة حقيقية للعمل السياسى الصحيح .

وبشكل عام تقدر تقول إن هناك بالفعل علاقة ارتباط بين العمل السياسى وبين عقوبة السجن . هذه العلاقة لم تنشأ حديثاً . بل إنك تجدها فى العصر الملكى أيضاً . ولدينا أسماء كثيرة ويذكرها لنا التاريخ . . فأحمد ماهر دخل السجن ومكرم عبيد وفتحى رضوان وأحمد حسين وآخرون كثيرون دخلوا السجن كضحايا للرأى وضحايا للعمل السياسى .

إذن هذه القضية ليست مرتبطة بنظام الحكم . . ولكن ترتبط فى الأساس بمرحلة التطور التى يمر بها المجتمع ويعيشها الناس جميعاً . ونحن لا زلنا فى المراحل المتأخرة من هذا التطور .

أيضاً مسألة السجن وارتباطها بالعمل السياسى . . لا تقتصر فقط على السياسى المعارض . . بل هى لعنة من الممكن أن تصيب المؤيدين أيضاً . معنى ذلك أن السياسى يمكن أن يكون فى الحكم أو قريب من مؤسسة اتخاذ القرار السياسى وحين يختلف مع الحاكم أو يبدى بعض المعارضة من الممكن أن يتحول من كرسى الحكم أو الوزارة إلى السجن والاعتقال . ولدينا مثال حيوى عشناه جميعاً . . وهو المهندس عبد العظيم أبو العطا وزير الرى فى حكومة السادات . الذى انتهى به الأمر إلى دخول السجن . . بل والموت خلف القضبان . .

أيضاً الكاتب الصحفى الأستاذ محمد حسنين هيكل كان من مؤيدى السادات ضد مجموعتنا . . ومع ذلك وضعه فى السجن . . إننى لا أريد أن أكرر أن اعتقال السياسى ودخوله السجن هى صفة وسمة من أشهر سمات العمل السياسى فى دول العالم الثالث . ونرجو من أجل ذلك أن ننتقل إلى مرحلة أفضل يكون فيها متسع من المساحة للرأى والرأى المعارض . . خاصة إذا كانت عقوبة السجن كثيراً ما ترتبط بالتلفيق وإلصاق التهم دون وجه حق . وأن الخلاف السياسى لا يجب أن يتحول إلى واقعة إجرامية .

وما زالت واقعة قيام السادات بالتخلص من معارضيه من أفراد مجموعتنا خير دليل على ما قلناه من قبل . . حيث لم يجد أمامه من طريق سهل سوى الاعتقال والسجون والمبررات غير المقبولة . مع أن الخلاف بيننا فى الأصل كان خلافاً سياسياً بحتاً .

● وأين قضيت مدة عقوبة السجن فى هذه المرة الوحيدة ؟! .

●● قضيناها فى كل سجون مصر . . بدءاً من سجن أبى زعبل ثم السجن الحربى . . ومن السجن الحربى نقلونا إلى سجن أبى زعبل مرة ثانية . وأخيراً سجن طرة حيث قضيت به آخر فترة من هذا الاعتقال . وتم الإفراج عنا من هذا السجن .

● وهل بناء على كلامك السابق . . تؤيد القول الذى يربط بين السجن وبين السياسى المؤيد أو المعارض ؟!

●● طبعاً . . طبعاً . . خاصة فى دول العالم الثالث . وأنا شخصياً وفى سجن القلعة رأيت معاملة من أسوأ المعاملات اللاإنسانية بالمرة .

وعلى فكرة أنا كنت مسجون . . وكان معى اثنان من وزراء الحربية ونائب رئيس جمهورية فى السجن . . هذا بخلاف ثلاثة من أعضاء اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى . وكان وزير الداخلية فى ذلك الحين اللواء المرحوم ممدوح سالم ولقسوة ما عشناه من أيام ارتبطت بسوء المعاملة . . كتبت خطاباً إلى الوزير أشرح له سوء ما نلاقيه من معاملة ونحن سياسيون كنا مرموقين وأصحاب مناصب مرموقة .

لقد فوجئنا حقاً بهذه المعاملة التى لا تناسب حتى الحيوان . وأخذت أصف للوزير وضع ما نحن فيه داخل سجن القلعة الذى وصفته بأنه قبر . . ولكنه فوق الأرض . . كما صورت له كل أشكال القذارة والوساخة التى اتسم بها هذا الاعتقال . كما كتبت له فى نفس الرسالة أننا نعيش جميعاً فى العالم الثالث وربما يصيبه فى يوم من الأيام ما أصابنا . . لذلك عليه من إصلاح ما نراه وتحسين ما نلاقيه من سوء المعاملة . وحتى لا تعيش مثل لحظات الندم التى نعيشها الآن . . فقد كنا لا نتصور أن فى بلدنا مثل هذه المعتقلات ! ! .

● وهل من وجهة نظر السياسى ضياء الدين داود . . من الأفضل أن يكون وزير الداخلية من رجال الشرطة . . أم لا بد وأن يكون منصباً سياسياً ؟ !

●● هو منصب وزير الداخلية لم يكن أبداً من رجال الشرطة . وتاريخ مصر حتى عام ١٩٥٢ يقول ذلك . . لقد كان منصباً سياسياً فى الدرجة الأولى . وبعد قيام الثورة شغل هذا المنصب مجموعة من ضباط الجيش بدءاً من جمال عبد الناصر نفسه ثم زكريا محيى الدين ثم عباس رضوان ثم شعراوى جمعة . كلهم كانوا من ضباط الجيش . وليس بينهم ضابط بوليس . . إلا فى فترة واحدة فقط كان فيها وزير أذكر أن اسمه الأول كان عبد العظيم ولا أتذكر بقية الاسم . اللواء عبد العظيم الذى كان يرأس المباحث العامة ثم تولى وزارة الداخلية لفترة بسيطة . وهى الفترة التى سبقت تولى شعراوى جمعة الوزارة . . حيث عادت من جديد إلى أحضان ضباط الجيش .

وبعد عام ١٩٧٢ وابتداء من تولى اللواء ممدوح سالم هذه الوزارة . تحولت إلى وزارة يتولاها ضباط بوليس . وأنا رأيى أن هذا خطأ شديد جداً . . ويجب أن يكون منصب وزير الداخلية منصباً سياسياً . وتقديره لأمور الأمن يجب أن يكون تقديراً سياسياً قبل التقدير الأمنى . .

وهناك فنيون من الضباط المتخصصين الذين يكون لهم التقدير الأمنى . . وهم يعملون تحت رئاسة رجل سياسى يتولى أمور الوزارة فى هذا الخصوص . .

ولذلك سوف تلاحظ أن التغيير الحقيقى داخل هذه الوزارة بالذات قد تم دون أن يكون على رأسها ضباط فى منصب الوزير . لقد كانوا أساساً سياسيين . . لأن رجل الشرطة يؤدى دوره الروتينى المرتبط بالحفاظ على الأمن وفقط ، ولا يستطيع أن يرى أو ينظر إلى الأمور نظرة بعيدة عن نظرة الشرطة والأمن ، خاصة إذا تربى داخل كادر الشرطة وصعد السلم منذ بدايته . . حيث كان ملازماً إلى أن وصل إلى رتبة اللواء .

وبشكل عام أؤكد لك أن كلامى السابق يمتد أيضاً إلى كافة الوزارات التخصصية . . هذه التخصصية التى نمت وترعرعت فى غيبة الأحزاب وغياب جهاز سياسى يخرج رجال السياسة الذين يتولون العمل العام . هذه التخصصية التى زحفت على كل الوزارات . . فأصبح من الضرورى الآن أن يتولى وزارة الصحة طبيب . . ووزارة الاقتصاد أستاذ اقتصاد . . وهكذا .

وعلى فكرة هذه التخصصية القائمة قد أدخلت نوعاً من الألوان الباهتة على الحياة السياسية المصرية الآن . وجعلت من الصعب التفريق إدارياً بين وكيل الوزارة وبين الوزير. حيث بات الفرق بينهما ضيق للغاية .

● ماذا يكون موقف السياسى ضياء الدين داود حين يتم العفو عنه وإخراجه من السجن إلى الوزارة مرة أخرى !! . . وهل يقبل مثل هذه الحالة ؟! .

●● فى الأول أقول لك . . إن تجربة السجن يمكن أن تخرج منها بدروس هامة جداً . ولعلك تندهش أننى قد تصورت فى يوم من الأيام أن الوزير لا بد وأن يدخل السجن !! . بالفعل هكذا تصورت أنه لا بد قبل أن يتولى المنصب لا بد وأن يذوق تجربة السجن ! . لأن السجن بالقطع سوف يغير منه الكثير . ويغير من مفاهيمه . . ويرقى أحاسيسه الإنسانية . . لأنه داخل السجن هناك نوع من إهدار آدامية الإنسان . وليس بالضرورة أن تعذبه أو أن تضربه . . يكفيه فقط أن يعيش خلف هذه الأسوار العالية . . وطبعاً بخلاف المعاملات المهينة داخل السجن وإهدار كرامة الإنسان . . وهى فى تصورى من مضاعفات

العقوبة . . وأنا فى الفترة التى قضيتها فى السجن كنت أحزن بشدة من رؤيتى لأحوال المساجين من المجرمين وليس من السياسيين . .

إنه بالفعل كان شيئاً محزنا ومبكيا للغاية . لأنك لا تشاهد على مدى أعوام طويلة أبسط أنواع المعاملة الإنسانية . . إنها تكاد تختفى . . وتنقلب بدلاً منها معاملات حيوانية بشعة . إن الآدمية فى أبسط صورها تختفى تماماً ولا يمكن لك أن تتقى هذه المعاملة السيئة إلا إذا كنت من المساجين الأثرياء . يعنى تقدر تقول إنه لا مأكل ولا ملبس ولا شرب ولا مكان للنوم . . ولا معاملة إنسانية . . إنه شىء فوق التصور !! .

● معنى ذلك أن عودتك للعمل السياسى كوزير بعد خوض تجربة السجن سوف تزيد تجربتك السياسية ثراء ؟!

●● دا بالقطع . . لأن الذى ذاق السجن ومرارته لا بد وأن يعمل على تغيير هذه الصورة .

● وما هو تعريف عقوبة السجن من وجهة نظرك كرجل سياسى . . وما هو الدور الذى يمكن أن يؤديه إذا اعتبرناها نوعا من العقوبة ؟ .

●● أولاً العقوبة . . لا بد وأن تواجه فعلاً مؤثراً . . أو فعلاً يكون به جريمة . . والسياسى حتى ولو أخطأ لا يكون قد ارتكب جريمة . وإنما هو يتخذ موقف المعارض لرأى سياسى قائم على مخاطرته .

والعقوبة هنا تكون عفوية طبيعية وترتبط بالعمل السياسى . . مثلاً يمكن تنحيته عن موقعه إدارياً أو جماهيرياً . إنما أن يوضع فى السجن . . فتلك عقوبة لا تؤدى إلى دور مطلقاً . ولكنها فرصة للسياسى أن يرى من خلالها حياة وأشياء لم يكن له ليراها وهو خارج القضبان . . أضف إلى ذلك أنها تكون فرصة طيبة للوقوف على أحوال السجن بعيداً عن تزييف التقارير واللوائح التى من الممكن أن تصور لك هذه العقوبة وأنت سياسى مهتم بهذه القضية على أنها حياة فندقية راقية ! . وعادة ما نكتشف أن ما تضمنته تلك التقارير تختلف تماماً عن الواقع . وتجربتى كرجل سياسى عاش وشاهد هذه التجربة تؤكد ذلك . .

ولدينا أمثلة قاسية على ما كان يحدث خلف القضبان . . وهو يناقض تماماً ما تقوله اللوائح وتنص عليه التقارير .

● وهل من الملائم أن يتم اعتقال رجل السياسة فى سجون المجرمين من اللصوص والقتلة وأصحاب السوابق . . أم من الواجب أن يكون له سجن خاص به ؟! .

●● فى العادة ووفقاً للتجربة التى عايشتها . . لا يضعون المسجون السياسى مع المسجون العادى .

[مقاطعاً إياه] .

● أقصد فى المستوى . .

●● لأ . . تقدر تقول إن السياسى يتم وضعه فى مستوى أقل من مستوى المسجون العادى !. . إننى أكرر لك وحسب تجربتى الشخصية أن رجل السياسة يتم معاملته خلف القضبان أسوأ من معاملة المسجون العادى !! . وهذا واضح تماماً فى أبسط الأشياء. . مثلاً المسجون العادى يستطيع أن يقابل أهله من خلال الزيارة الأسبوعية أو الشهرية المقررة له ! . ويمكن أن يقابلهم أيضاً بدون رقابة من أحد داخل جدران السجن. ويستطيع أن يتأقلم وييسر أموره الشخصية حسبما يرى وحسبما يتاح له . . حتى ملابس السجن يستطيع هذا المسجون أن يغيرها ويبدلها وفقاً لنظام التعامل الخفى داخل السجن.

من هنا تجد المسجون المجرم القاتل أو اللص يتفوق حقيقة على المسجون السياسى . وأنا نفسى عايشت هذا الفرق حتى فى نوع الملابس التى كانت متميزة بالنسبة للمسجون العادى . . هذا إلى جانب أننى كمسجون سياسى أكون تحت خضوع وإشراف كامل لمباحث أمن الدولة . وأقول لك إننى صحيح داخل جدران السجن وأسواره العالية ولكن ليست لى علاقة بإدارة هذا السجن فكل علاقتى تتم من خلال مباحث أمن الدولة. ولا علاقة لإدارة السجن بى مطلقاً . حتى أكبر رتبة داخل القضبان لا بد وأن يستأذن مخبر مباحث أمن الدولة قبل أن يقترب من أى مسجون سياسى .

ودعنى أحكى لك واقعة بهذا الخصوص . مرة واحد زميل من المساجين السياسيين

جاءته زيارة « حلة ملوخية » . . فتقدم من هذه الزيارة مسئول أمن الدولة كى يقلب الحلة . . فاندهشت وتساءلت . . ماذا سيكون داخل حلة الملوخية من ممنوعات ؟! . . وأشياء أخرى بهذا الشكل . .

[مقاطعاً إياه ومتسائلاً . .] .

● والبديل يا أستاذ ضياء ؟! .

●● أنا قلت الأصل ينبغى أولاً : ألا يكون هناك اعتقال للسياسى تحت أى مسمى من المسميات . . وثانياً : أنه لا يجوز إطلاقاً محاكمة السياسى المعارض مهما وُجه إليه من اتهامات مادامت لا تندرج تحت طائلة القانون العام . وما دام لم يتهم فى جريمة من الجرائم التى يعاقب عليها هذا القانون . ولابد أن يكون هذا بعيداً عن أى محاكم استثنائية . . ولا يخرج عن نطاق سلطة القضاة الطبيعية . ولعلنى أعلن إليك أننى ضد كل أشكال المحاكم الاستثنائية حتى التى يرأسها الضباط . . مهما أشيع من عدالتها . إننى أقرر لك أنه لا عدالة ولا شىء من هذا القبيل على الإطلاق مادامت هناك محاكم عسكرية ومحاكم استثنائية . لسبب بسيط جداً وهى أن الحصانة التى يتمتع بها القاضى الطبيعى تحميه من نفسه ومن ضغط الغير عليه . وهذه الحصانة غير موجودة لدى الضابط الذى يجلس على منصة القضاء . . الذى لا هم له سوى إرضاء رؤسائه فيما يحكم به .

وهل من المعقول أن تأتى بضابط يرفع يده بالتحية لرئيسه ثم تجلسه على منصة القضاء وتطلب منه أن يحكم . . ويصدر أحكاماً بالإعدام ؟! . والمسألة هنا ليست مسألة شخصية . ومن هنا لا ينبغى أن يتعرض رجل السياسة لمثل هذا الأمر . . لأن اللجوء لمثل هذه المحاكمات يعرض الحياة السياسية نفسها للخطر ، بل ربما يؤدى إلى إحجام السياسيين أنفسهم للانطلاق نحو عالم أفضل من أجل رفاهية أبناء شعبهم .

لذلك دعنى أقول لك إن الإقدام على مثل هذه الأمور يمثل أخطر مظهر من مظاهر التخلف السياسى فى دول العالم الثالث . وهذا بالضبط غير موجود بالمرة فى غيرها من الدول التى انطلقت إلى آفاق الحضارة والديمقراطية .

● وحتى لو افترضنا أن ما يحدث هو سمة من سمات العالم الثالث . . فهل تطالب بوجود سجون خاصة للسياسيين ؟! .

●● أريد أن أقول لك إن الأجانب كانوا أكثر وعياً منا فى هذا الأمر . لأنهم فى فترة احتلالهم لمصر . . كانوا يخصصون سجناً للسياسيين وكانوا لا يضعونهم مع المساجين العاديين .

● وهل هناك علاقة اتصال بين اعتقال السياسى واعتقال المفكر ؟!

●● إنها نوعية واحدة من السلوك غير السليم والذى يتفق مع التخلف الموجود بدول العالم الثالث . لأن محاكمة السياسى على موقف سياسى أو لمبدأ يخالف الحاكم . . تساوى تماماً محاكمة مفكر على إنتاجه الذهنى أو الفكرى . . ولذلك هذه الأمور كما أؤكد لك لا تحدث إلا فى دول العالم الثالث المتخلف .

● هل لنا أن نعرف من السياسى ضياء داود أهم الشخصيات التى تعرف بها داخل الأسوار العالية . . وهل ما زالت بينه وبينهم علاقات . . ؟! .

●● كانوا عدة شخصيات متنوعة . . سياسين وغير سياسيين . . ومنهم كان من المساجين المجرمين أيضاً . . وهناك صورة فى ذهنى لا يمكن أن أنساها رغم أن الشخصية التى ارتبطت بها لا أعرفها ولا يعرفنى صاحبها من قبل .

ففى أحد الأيام عصراً . . وجدت شاباً هزيلاً يرتدى بدلة السجن التى تحولت إلى قطعة من القماش القذر وباتت على جسده أشبه بسيور من القماش تستر عورته فقط . هذا الشاب كان نزيل عنبر المحكوم عليهم بأحكام قليلة . . وعندما اقتربت منه فوجدته يزحف ناحيتى على بطنه ويطالبنى فى لهفة بسيجارة واحدة . . ولما كنت لا أدخن استلفت له علبة سجاير كاملة . . فأخذها وكأنما قد عثر على كنز سليمان ! . وحينما أردت أن أقدم إليه طعاماً رفض بشدة . . واكتفى بالسجاير باعتبارها العملة الوحيدة المتداولة والمعترف بها خلف القضبان .

ولقد علمت فيما بعد أن هذه العلبة قد مكنته من تبديل بدلة السجن القذرة . . كما تمكن من الفوز ببعض الوجبات الساخنة .

لقد كانت تلك من أصعب الصور الإنسانية التى واجهتنى خلف الأسوار العالية . . والحمد لله الذى جعلنى لم أشاهد مثل هذه الصور المحزنة كثيراً . . لأننا كنا منفصلين عن هؤلاء المساجين . رغم وجودنا خلف أسوار عالية واحدة . وأقصد بذلك أننا كنا كسياسيين فى معزل عن هؤلاء . . لذلك تجد أغلب الشخصيات التى ارتبطنا بها داخل القضبان هى شخصيات سياسية وشخصيات مصرية عامة .

وعلى ما أذكر كان منهم الفريق صديق سليمان قائد الطيران المصرى . . ومجموعة من الضباط الذين ارتبطوا بالمشير عامر .

أضف إلى ذلك أننى فى فترة وجودى داخل مستشفى السجن الملحقة بسجن طرة . . حيث نقلونى إليها بسبب مشاكل صحية ، كانت تقريباً هى الفترة الوحيدة التى استطعنا فيها الاختلاط بالناس من مختلف المسجونين .

وفى الفترة ذاتها تعرفت على نوعيات كثيرة من هؤلاء المساجين . خاصة المحكوم عليهم فى تهم أخذ الثأر بالصعيد . . وكانت شخصيات جيدة جداً أخلاقياً . . إلا أنهم كانوا على قناعة بما قاموا به من تنفيذ عمليات الثأر هذه ، وكثيراً ما دار بيننا حوارات حيوية حول هذا الموضوع .

ولعلى أذكر من هؤلاء المساجين . . أحد المحكوم عليهم فى تهمة الأخذ بالثأر بالأشغال الشاقة المؤبدة . . وقدم نقضاً فى الحكم . . وكان عليه انتظار نتيجة هذا النقض . المهم هذه الشخصية حكت لى كثيراً عن ظروف هذه الواقعة . . فقال لى على لسانه : إننى حقيقة كنت أمارس تنفيذ عمليات الثأر لفترات طويلة فى بلدنا فى الصعيد ولما زهقت من هذا العمل هربت واشتغلت هنا فى القاهرة . . وبالتالى ابتعدت بالفعل عن تنفيذ مثل هذه العمليات وأصبح دورى مقصور فقط على شراء الأسلحة لهم !! . وإمدادهم بالأموال التى تعينهم على الإنفاق . . ولكن فى أحد الأيام وقعت حادثة أخذ بالثأر ضد الأسرة التى كانوا على خلاف معها ، فاتهموه هو بارتكاب هذه الواقعة . وأخذ يؤكد لى بكل صدق أنه لم يرتكب هذه الواقعة بالذات . . وأنه قد اشترك من قبل فى تنفيذ ٩ حالات إعدام عن طريق الأخذ بالثأر . . ولم يتم اتهامه ولا فى قضية واحدة . . أما هذه المرة . .

فقد اتهموه فى جناية قتل لم يرتكبها !! . واختتم حواره معى (والكلام لا يزال على لسان الأستاذ ضياء) قائلاً : يبدو أن الله قد رزقنى بهذا الاتهام تكفيراً عما ارتكبته من حوادث وجرائم قتل من قبل !! .

وأهم ما خرجت به من هذا اللقاء . . أننى قد عرفت بدقة كيف تنشأ مثل جرائم الثأر هذه . . إنهم يا سيدى يدربون الأطفال منذ صغرهم على هذه الأعمال . . للدرجة التى تجعل من هؤلاء الأطفال بعد أن يصيروا شباباً يتحولون إلى أبطال خاصة عندما يقدمون على ارتكاب مثل هذه الجرائم . إنهم فى الليل والنهار يجتمعون فى مكان واحد . . ولا حديث لهم إلا حكايات الثأر والبطولات التى يحققونها من وراء ارتكابها ! . وهنا تكمن الخطورة .

● **وهل ما زالت بينك وبين هذا الشخص علاقة . . ؟! .**

●● لا لم أتابعه منذ هذا اللقاء . .

● **ولا حتى من السياسيين الذين كنت معهم خلف القضبان ؟! .**

●● تقريباً «أغلب اللى كان موجود معنا هناك . . موجود معنا الآن داخل الحزب الناصرى» . ومنهم الأستاذ محمد فايق وزير الإعلام الأسبق . . والأستاذ محمد عروق والفريق فوزى والسيد عبد المحسن أبو النور . .

● **ما رأيك فى سجون مصر الآن ؟! .**

●● السجون كمبان لا بأس بها . . وإنما من داخل هذه السجون . . أكبر الأهوال غير الإنسانية تتم سواء بالنسبة للمسجون السياسى أو المسجون العادى ! . ودعنى أحكى لك هذه الواقعة التى عشتها بعد خروجى من المعتقل . . لقد كنت فى زيارة عمل كمحام موكل عن أحد المتهمين فى سجن طرة . . منذ أربع سنوات تقريباً . . وكان من المتهمين فى قضية تنظيم الجهاد . . وتقابلت مع أحد الصولات الذين كنت أعرفهم منذ أن كنت خلف القضبان وبمجرد أن رآنى أخذنى بالأحضان والقبلات ! وأصر على إحضار واجب التحية . وكنت أجلس بجوار موكلى المتهم الذى حكيت لك عنه منذ لحظات فى ركن داخل غرفة مأمور السجن . . وبعد أن قدم لنا التحية الواجبة وانصرف . . فوجئت بموكلى

يقول لى إن هذا الرجل عنيف وقاس ولا يضربنى إلا بالعصا والكرباج . . مع أننى قد أكدت له من قبل أن هذا الصول بعينه إنما رجل طيب . وكان يعاملنا برفق وبطيبة !! . كما أكد لى موكلى أيضاً أن متعة هذا الصول كانت فى الضرب بالحذاء على رأس المتهم ! . لقد كان يقف أمام طوابير المساجين كل يوم . . و يبدأ فى عدنا بالضرب على رأس كل منا بالحذاء !! . والمسألة فى تصورى لا ترتبط بعهد ما أو بنظام معين .

وعلى فكرة لقد كنت أحرص على الدخول فى مناقشة مع مثل هؤلاء الذين يعذبون المسجون . . وكانوا يقولون إنهم يتعاملون مع مجرمين وقتلة !! . وإذا لم يفعلوا بهم ذلك افترسوهم !! . وهذا ليس مبرراً . . لأن المفروض أن يكون داخل هذه السجون إخصائيون لعلم النفس . كما يجب أن يتم تصنيف هؤلاء حسب الجرائم والتهم . ويتم إصلاح ما يمكن إصلاحه من هؤلاء حتى يخرجوا من جديد إلى المجتمع ولا يعودوا إلى ارتكاب الجريمة مرة أخرى . . لكن الذى يحدث الآن هو العكس . . إن المجرم يزداد إجراماً وشراسة داخل السجن . . ويظهر هذا بطبيعة الحال حين يخرج مرة أخرى إلى الحياة ! وهنا تكمن الخطورة .

ويمكن سجن الاستقبال الذى أسسه المرحوم شعراوى جمعة . . كان هدفه الأساسى تطبيق قاعدة التصنيف . . ثم العلاج النفسى !! .

● وكيف يمكن إصلاح السجون فى مصر ؟! من وجهة نظر السياسى ضياء الدين داود . . ؟!

●● السجن لن ينصلح حاله . . لأنه جزء من المجتمع . . ولا بد من إصلاح حال المجتمع أولاً . . كما أن الإنسان فى العالم الثالث لا قيمة له ! . ولذلك تجد حكاية إصلاح السجن هذه لا تهم حكام العالم الثالث . مع أن الدين الإسلامى يحض على تكريم الإنسان . . وأغلب دول العالم الثالث تنتمى إلى الإسلام . حتى تعاملنا مع القيم الإسلامية لا يتم الآن بشكل إنسانى . .

ولعلك تستطيع تسجيل العديد من المواقف بهذا الخصوص . . فى كل معاملاتنا الدينية وغير الدينية . إننى أعيد وأكرر أن إصلاح السجن لا بد وأن يواكبه أولاً إصلاح

المجتمع كله ، ابتداء من العسكرى الذى يتلقى المسجون منذ اللحظة الأولى . . وانتهاء بالمسجون ذاته . وأحب أن أقول لك إن لدينا لوائح جيدة تنظم التعامل داخل السجون . . ولكنها لا تطبق إلا على الورق فقط .

● وهل هناك طريق آخر للتعامل مع السياسى المعارض غير وضعه خلف قضبان السجن؟!

●● أولاً لا بد أن تطلق الحياة السياسية بلا قيود . . بمعنى أن يكون الحكم النهائى لبقاء السياسى داخل حلبة الصراع السياسى للجماهير صاحبة الحق الوحيد فى اختياره أو عزله أو إهدار قيمته ! . دون أن تكون هناك سلطة تعلو سلطة هذه الجماهير فى التأثير على حركة رجل السياسة . وثانياً : إنه لظروف العالم الثالث من تخلف وجهل ومرض . . تكون الممارسة السياسية بهذا العالم متخلفة كذلك ! . أضف إلى ذلك أن إغلاق أبواب الديمقراطية يؤدى بالتالى إلى المزيد من انحراف رجل السياسة .

بمعنى انه لو لم يكن أمامى الطريق مفتوحا للاتصال بالجماهير . . والتعامل معهم وفقاً للمبادىء الديمقراطية . . حتماً سوف يؤدى ذلك إلى ظهور المبادرات الفردية والجماعية والتى تصنع المؤامرات . ومن هنا يقع الانحراف .

ولعلى أذكر لك واقعة قد عشتها . . إنه فى أخريات أيام السادات حين انتخبه أعضاء مجلس الشعب رئيساً لمصر مدى الحياة . أعلنت لمن حولى . . أن مجلس الشعب هو الذى اغتال أنور السادات . . عارف ليه لأنه قد سد أمام معارضيه كل أبواب التخلص منه بطريق الديمقراطية أو بطريق انتهاء المدة . والذى يرغب فى التغيير ليس أمامه سوى طريق عزرائيل ! .

وعلى ذلك فحين تسود الديمقراطية . ويكون الطريق أمامك مفتوحاً لتوصل مبادئك السياسية . . حتماً سيكون لديك الأمل فى أن تصل أفكارك هذه إلى الجماهير فى يوم ما ! . والعكس قد يحدث حين يتم إغلاق أبواب الديمقراطية . وهذا هو السبب الرئيسى فى كل مشاكل العالم الثالث .

أما الطريق السليم للتعامل مع السياسى المعارض غير السجن هو إما بتنحيته عن منصبه إذا أخطأ و إما يرفض الناس انتخابه عقاباً له على ما فعله ! .

● وهل هذه العقوبة تعوق حركة رجل السياسة وانطلاقه ! !

●● بالطبع . . لأن السياسى إذا ما شعر بأنه يقع تحت ضغط من أى نوع . . فإن ذلك يترك أثراً عكسياً على نشاطه داخل الحياة السياسية ذاتها .

● وهل يجوز أن ينهى الحزب علاقته بالعضو المنشق عنه بالإبلاغ عنه لاعتقاله من جانب السلطات الحاكمة ؟!

●● طبعاً هذا لا يجوز لأنه موقف شائن وغير كريم . .

● وهل عاصرتم مثل هذا الموقف أثناء عملكم السياسى قبل عام ١٩٧١ ؟ .

●● لا لم أحضر مثل هذا الموقف غير الأخلاقى . وبطبيعة الحال لا يجب أن يتم ذلك . لأننى فى الأصل غير مكلف من جانب الحزب بالعمل السياسى . . إن ما أقوم به هو عمل خدمى من تلقاء نفسى . فأبقى بإرادتى داخل الحزب . . أو أخرج بإرادتى . . وكل ما يملكه الحزب هو إنهاء عضويتى وفقط .

● فى رأى الأستاذ ضياء الدين داود . . متى يتم اعتقال رجل السياسة ؟!

●● لا يجوز اعتقاله إلا فى حالة واحدة فقط . وهى اتهامه بجريمة يعاقب عليها القانون العام. وبدون ذلك لا يجب اعتقال السياسى حتى ولو وقف فى خندق المعارض للحاكم . . ولدينا بخلاف ذلك فى مصر قانون محاكمة الوزراء . . الذى يتصدى لمقاومة أى انحراف من جانب أى وزير . . فيما يتعلق بوظيفة أو القضايا التى تمس الشرف .

● ولو أن رئيس الحكومة الذى أصدر قراراً باعتقالك قد خرج من الوزارة . . وتوليت أنت مكانه . . هل من الممكن أن تعتقله مثلما اعتقلك من قبل ! . أم ماذا تفعل ؟!

●● فى الحقيقة أتمنى أن أفعل ذلك وأعتقله . . ولكننى لا أفعله وبالتالى لا أنفذ ما أتمناه! .

● ولـــماذا . . ؟!

●● لأننى سوف أقع فى نفس الخطأ الذى وقع هو فيه من قبل . وهذا ما لا أريده . ويكفينى فقط أن نكون سوياً فى الشارع السياسى . . عندئذ أحاول إهدار قيمته السياسية وسط الجماهير . . ودعنى أحكى لك واقعة ترتبط بهذا الموقف . فقد كنا فى جمع من الناس داخل القضبان . . وكنا نناقش مسألة اغتيال السادات . . فخرج علينا أحد المتحاورين برأى كان أشبه برأى حكيم إذ قال إنه حزين جداً لوفاة السادات بهذا الشكل . . لقد كان يتمنى أن يبقى السادات على قيد الحياة حتى يتمكن هو كرجل سياسى أن يكشفه أمام الجماهير ويقتص منه لنفسه وفقاً للعرف السياسى . ولا يكون ذلك إلا بالمواجهة بالرأى والحجة داخل الشارع السياسى . لقد وضع هذا الاغتيال نهاية سعيدة للسادات حيث خلصه من هذه المواجهة التى كانت من الممكن أن تكشفه وتكشف دوره داخل الحياة السياسية .

● وهل لو أصبح ضياء الدين داود رئيس الحزب الناصر رئيساً للحكومة . . فهل سيسمح باعتقال السياسى المعارض ؟! .

●● نرفض ذلك مطلقاً . . لأننا نؤمن بحرية العمل السياسى داخل الحياة الحزبية . بحيث يكون لكل سياسى رأيه وموقفه . . وأن يكون الحكم الأول والأخير للرأى العام . أما الإجراءات الإدارية ومنها الاعتقال فى ظل ما نرجوه من رقى فى حياتنا السياسية . . لا بد وأن تلغى من قاموس حياتنا ولا يجب أن نأخذ بها . وهذا ما سوف يكون عليه موقفنا الحزبى . .

● وهل ينقطع السياسى عن نشاطه داخل الأسوار العالية . . أم يظل على اتصال بالحياة السياسية . . ويخطط لمستقبله بعد الخروج ؟! .

●● هناك جانب مهم جداً لا بد من ذكره . . ألا وهو أن السياسى الفرد الذى يعمل بعيداً عن أى تنظيم أو حزب . . لا قيمة له خلف القضبان . وكم شغلنى هذا الجانب من وقت طويل خلف القضبان . . وأهم ما قرأته عن هذا الموضوع فى تلك الفترة مذكرات نهرو وهو سجين خلف القضبان . وكان وقتها زعيم حزب المؤتمر . . وكان يقود هذا الحزب من وراء القضبان . . يصدر تعليماته لمن يتصلون به خلف الأسوار العالية باستخدام وسائل

سرية متعارف عليها . لذلك تجده كان يملك إحساساً بالقوة والشجاعة . . تماماً كأنما يمارس حياته السياسية وهو خارج القضبان . . لقد كان وهو خلف الأسوار العالية فى منتهى القوة والصلابة لأن وراءه فى الخارج حزب قوى وثابت وجوده داخل الشارع السياسى الهندى .

من هنا تجد السياسى الفرد الذى لا يقف وراءه حزب أو تنظيم . . حين يدخل وراء القضبان ينتهى تماماً . . وربما تحول إلى مسجون عادى داخل السجن . وهذه كانت إحدى المشاكل الكبيرة التى كانت تشغل تفكيرى آنذاك . وإننى أعتقد أن مهمة السياسى الفرد خلف القضبان فى هذه الحالة تصبح غاية فى الصعوبة . لأنه يقف فى الساحة وحده . . وبلا قوة يستمدها من الخارج . . ولذلك لقد خرجت من هذه التجربة باقتناع كامل بأن الممارسة السياسية لا بد أن تكون من خلال حزب أو تنظيم سياسى .

● معنى ذلك . . أن فكرة تكوين تنظيم ناصرى . . أو حزب ناصرى . . قد نشأت وراء القضبان ؟! .

●● إن بدايات التفكير فى إنشاء مثل هذا الحزب كانت خلف القضبان . والاتفاق حول هذا النشاط بدأ أيضاً داخل السجن . . وحدث ذلك منذ عام ١٩٧٤ أو ١٩٧٣ ، حيث بدأنا الاتصالات من أجل إتمام مثل هذه الخطوة داخل الحياة السياسية .

لقد كان الأمر بالنسبة لمجموعتنا هو الاستمرار فى إجراء المزيد من الاتصالات حتى خارج السجن من أجل تكوين هذا الحزب . ولما خرجنا بدأنا فى اتخاذ الإجراءات القانونية وتجميع الفلول الناصرية المختلفة التى كانت تعمل من خلال أنظمة سياسية أخرى .

[مقاطعاً إياه للتأكيد . .] .

● إذن بالفعل الحزب الناصرى ولد خلف القضبان ؟! .

●● دا هو اللى حصل فعلاً . لقد ولدت فكرة إنشاء حزبنا وراء الأسوار العالية .

● وفى نهاية الحوار . . طلبنا من المتحدث أن يخص هذه الأوراق ببعض متعلقاته الشخصية والتى تسجل هذه الفترة من حياته خلف القضبان .

●● ليس لدينا الآن مثل هذه المتعلقات . . ولكن ربما أبحث عن بعضها ولسوف أخصصها لهذا الحوار . وعلى ما أذكر كان من أهمها مجموعة من الخطابات المتبادلة بيننا خلف هذه القضبان . . لكنني أعتقد أن العثور عليها الآن في غاية الصعوبة .

* * *





●● أحمـد طـــــه :

العمـل السياسـى .. أدخلنـى السجن أنا وزوجتى وإبنـى !!

لو أنك عبرت إلى شارع شبرا . . وبدأت رحلة داخل هذا الحى العريق والموجود فى وسط القاهرة . . والذى يمتد من أطراف العاصمة حتى يرتبط بحدود محافظة أخرى تنتمى إلى وسط الدلتا . . وحاولت أن تحدد معالم هذه الرحلة . . وتبحث عن نقطة البداية . . سوف لا تجد أدنى صعوبة فى ذلك . . فما عليك فى هذه الحالة إلا أن تلزم الجانب الأيمن من خلف محطة سكك حديد مصر . . وتنطلق سواء إلى الشارع الرئيسى الذى يحمل اسم هذا الحى العريق . . أو إلى غيره من الشوارع الجانبية . . ونفس هذا الاسلوب يمكنك الاستعانة به حين الدخول لهذا الحى العريق من أطراف القاهرة . . خاصة وأنت قادم من خارج القاهرة وكنت على سفر خارج حدود العاصمة . .

ولعلك حين تنتهى من قراءة العبارات السابقة . . سوف تتساءل عن العلاقة بين ما قدمناه من ملامح لخريطة هذا الحى . وبين موضوع حوارات هذه الأوراق . لذلك سأقوم فوراً ببيان هذه العلاقة . . قبل التراجع من جانبك . . والزحف ببصرك بعيداً عن حدود كلماتى . .

إن ضيف هذه الإطلالة من أوراق حوارات السياسيين . . هو السياسى المخضرم . . وعضو مجلس الشعب لدورات متعددة . . أحمد طه . . ولكى نكمل بيان السبب عن علاقة أحمد طه بملامح خريطة حى شبرا . . أقول مسرعاً فى القول . . إنك وأنت حين تبدأ رحلتك داخل شواع ودروب وأزقة هذا الحى العريق الذى يضم نصف سكان القاهرة . سواء من المدخل أو من الأطراف . . وتساءلت عن عنوان أو مكان أو من هو أحمد طه . . لسوف تجد الأصابع والأكف تتسابق من أجل أن تقدم لك الإجابة فى صور متعددة ! .

وإن لم تكن من المصدقين لوصفنا السابق . . عليك الانتظار عدة سنوات حتى تبدأ الانتخابات الجديدة لمجلس الشعب . . ثم ابدأ رحلتك مرة أخرى . . ولسوف ترى أكثر وتشاهد . . وتسمع أيضاً أكثر .

وحتى لو كنت من سكان خارج العاصمة . . وتعيش فى أقاليم مصر الجنوبية . . حيث أبناء الصعيد الأشداء . . وأردت أن تقصد شارع شبرا عن طريق كورنيش النيل . . ودخلت أى حارة أو زقاق أو شارع ما . وسألت عن أحمد طه . . أيضاً ستجد أبناء هذا الحى يتقدمونك إلى حيث يقيم عضو مجلس الشعب . . أما إذا كنت تعيش فى بلاد منطقة الوجه البحرى . . ربما تكون مهمتك أسهل . . لأنك سوف تدخل إلى حى شبرا مباشرة دون اللف أو الدوران . . وأيضاً ستجد الإجابة فى انتظارك على الأبواب وعلى الأرصفة . .

ولعلك سوف تتساءل بعد الانتهاء من قراءة العبارات السابقة . . وهل يقيم أحمد طه فى كل شوارع شبرا . . ؟! . . أم يوزع على الناس كروتاً تحمل عنوان منزله . . ؟! . . نقول لك . . لا هذا ولا ذاك . . فقد عرفت منذ فترة طويلة . . وقبل التفكير فى إجراء مثل هذا الحوار أن السياسى أحمد طه يعشق أبناء الشارع . . ويعيش دائماً وسطهم ووسط مشاكلهم . . وذلك من خلال مبادئه السياسية التى تنطلق أولاً من الشارع . . وفقاً لما كان يقوله أهل اليسار من رجال السياسية . . ولم أهل اليسار . . لقد عرفت من خلال سطور هذه الأوراق التى شملت كل حوارات هؤلاء السياسيين . . أن السياسى الناجح هو الذى يبدأ دائماً نشاطه السياسى وسط الجماهير ـ بصرف النظر عن معتقداته السياسية ـ وتصنيفها يميناً أو يساراً . . شيوعياً أو رأسمالياً .

والمهم أننى حتى حين بدأت اتصالاتى مع أحمد طه لإتمام مثل هذا الحوار . . طلب منى المقابلة وسط الناس . . حيث يوجد مكتبه داخل حديقة عامة تتوسط أحد الشوارع الجانبية المتفرعة من شارع شبرا . . وفى الموعد المحدد انطلقت حاملاً جهاز التسجيل والشريط الذى تمنيت أن يضم كل تفاصيل الحوار . . وفى داخل المكان المحدد فوجئت بشبه مظاهرة من الناس البسطاء يقفون أمام باب الحديقة فى انتظار عضو مجلس الشعب القادم من حيث لا يدرون . وحين ظهر فى سيارته الصغيرة . . انطلقوا وراءه ولولا الموعد المضروب من قبل بيننا لعقد اللقاء معهم من أجل قضاء حاجتهم فقد لاحظنا أن كلاً منهم يحمل فى يده مظلمة . . وفى قلبه رجاء من أجل أن تجد مظلمته الحل فوق مكتب أحمد طه . .

وحتى حينما بدأنا التسجيل وطلب من أحد الواقفين بالباب أن يبلغ الجماهير ضرورة الانتظار . . كنا نسمع بين الحين والحين ضربات خفيفة على باب المكتب المصنوع من الصاج . . ولو استطعت أن أنقل إليكم هذه الضربات التى بدت واضحة من خلال شريط التسجيل لفعلت . ولكن ما أكتبه الآن من حروف لا تسمع لها صوتاً إلا على الأوراق فقط . . حين تبادر بالكتابة وبعدها بلحظات حين يجف المداد . . تموت فى جوف الورق الأبيض .

وبعد الإلحاح من جانبنا للواقفين بالباب حتى يكفوا عن الصياح والضربات . . وعلى مدى أكثر من خمس وسبعين دقيقة . . استطعنا أن ننهى هذا الحوار . . الذى نبدؤه تواً من حيث توقَّف السياسى المخضرم أحمد طه . . وهذه هى كلمات الحوار . . بدون تدخل من جانبنا . . إلا من حيث وضع السؤال أمام مكتبه وانتظار تلقى الإجابات .

* * *

● هل نأمل أولاً فى أن تقول لنا فى لقطات سريعة أهم الأنشطة السياسية التى مارستها فى حياتك منذ البداية . . وحتى اليوم ؟

●● الإسم طبعاً أحمد طه . . أما عن نشاطى السياسى فقد بدأته مبكراً من حيث السن . لقد بدأت النشاط السياسى العملى فى سن الـ ١٦ . . وأول مرة دخلت فيها السجن

كان عام ١٩٤٧ . ولسوف تلاحظ أن تواريخ دخولى المعتقل . . هى أبرز التواريخ فى حياتى على الإطلاق ! . وكانت هذه هى المرة الأولى . . كما ذكرت . . ولأن السجن يُعد أيضاً بداية دخولى الحياة السياسية .

● والسبب يا أستاذ أحمد ؟! .

●● أول مرة اعتقلت فيها كانت خاصة بقضية المؤامرة الكبرى التى اتهم فيها إبراهيم عطا الله وآخرون والخاصة بالجيش . . وهم الضباط الذين اعتقلوا بتهمة تدبير مؤامرة لاغتيال الملك أثناء افتتاح البرلمان . . هذه القضية كانت تضم أسماء عُرفت فيما بعد من أمثال كمال الدين حسين . وعاكف وحسن إبراهيم . . وهذه القضية كانت تُعرف أحياناً باسم مؤامرة إبراهيم عطا رئيس أركان الجيش المصرى فى ذلك الوقت . ووقتها أنا كنت فى العشرين من عمرى . . ورغم أنى من مواليد محافظة المنوفية إلا أن نشاطى السياسى قد بدأ هنا فى القاهرة . ولعلك تستطيع أن تقول إن أول نشاط سياسى بالنسبة لى قد ارتبط بالممارسة العملية . . كان ذلك الاتهام لى بالاشتراك فى قضية المؤامرة الكبرى . وفى هذه المرة لم يطل اعتقالى حيث استمر لمدة شهر أو شهرين على الأكثر . وعلى فكرة كل المهتمين فى هذه القضية كانوا من ضباط الجيش وأنا كنت المدنى الوحيد معهم ! . بالإضافة إلى الصحفى سعد كامل وصاحب المطبعة التى كانت موجودة وقتها فى حارة البحر عندنا هنا فى الساحل . . وأيضاً كان معهم أخى الضابط عبد القادر طه الله يرحمه .

وإذا كانت هذه هى البداية العملية للنشاط السياسى . . فقد سبق هذه البداية نشاط سياسى محدود بدأ عام ١٩٤٥ . . أو ١٩٤٤ . .

● وما هو الدافع الذى زج بك فى معترك السياسة ؟! .

●● أنا كنت فى صباى ومنذ كان عمرى ١٥ سنة أو أقل . . أقرأ فى السياسة . . فى الصحف وفى الكتب . . وكنت كمان أسمع كثيراً . . وقد ارتبط دخولى عالم السياسة بالعمل النقابى أيضاً فى هذه السن المبكرة . . فقد كنت أعمل فى شركة « ماركونى » عام ١٩٤٣ أو ١٩٤٤ . . فأنا من مواليد عام ١٩٢٧ . . يعنى تقدر تقول كان سنى وقتها ١٦ أو ١٧ سنة ! . بجانب ذلك امتزج هذا العمل بإحساسى الوطنى المبكر الذى كان يصب

جام غضبه على العساكر الإنجليز الذين كنا نشاهدهم خاصة بالليل يترنحون فى شوارع القاهرة ويعتدون على الناس وهم سكارى ! . هذه المشاهد جعلتنى أفكر فى شراء مسدس من أجل قتل مثل هؤلاء ليلاً . . أيضاً جعلتنى أرتبط بمجموعة من الشباب يعملون لحساب النازى . . [هتلر] وكان منهم السادات ورشاد مهنى والدكتور الشال والدكتور مصطفى كمال فايد . . ونعيمة وصفى . . وعبد المغنى سعيد . . وبعد فترة اكتشفت أن هذه المجموعة لا تريد أن تفعل أى شىء فى مسيرة التحرر الوطنى . . لقد كانوا ينتظرون دخول الألمان بعد هزيمة بريطانيا ليحكموا . لذلك انفصلت عنهم بسرعة وآثرت الانضمام إلى التنظيمات اليسارية .

● فى أى عام يا أستاذ أحمد ؟! .

●● كان ذلك فى الأربعينات . . وربما يكون عام ١٩٤٥ . . لقد ارتبطت منذ هذا التاريخ بتنظيمات اليسار . وده كان قبل ظهور منظمة « حد تو » . .

لقد كانت تنظيمات يسارية صغيرة . وفى خلال هذه الفترة جاءت قضية عام ١٩٤٧ . . التى سبق وحكيت لك عنها والخاصة بالمؤامرة الكبرى . وبعد الإفراج عنى خرجت إلى الحياة السياسية من جديد وواصلت عملى النقابى من خلال شركة « ماركونى » حيث نجحت فعلاً فى تكوين أول نقابة مهنية وأنا عمرى ١٩ سنة ! . رغم الطعن الخاص بمسألة السن . . لأنه كما هو معروف لا بد وأن يكون عمرك حين تدخل العمل النقابى ٢١ عاماً . . المهم رفض الطعن وظللت فى العمل النقابى بجانب العمل السياسى . ونجحنا فى عام ١٩٥٠ فى تكوين الاتحاد العام لنقابات العمال . . وانتخبونى سكرتيراً عاماً للاتحاد . .

● وأين كنت من النشاط السياسى فى فترة مجلس الأمة ؟! .

●● لا . . دا نشاط جاء متأخراً كثيراً . . فقد سبقه نشاط سياسى مكثف . المهم أننى وكما ذكرت لك قد ظللت فى العمل النقابى بجانب العمل السياسى . . وفى عام ١٩٤٨ تم اعتقالى مرة ثانية . .

● والتهمـة . . ؟! .

●● كانت اعتقالا بدون سبب . وأعتقد أنه كان بسبب موقفى من حرب عام ١٩٤٨ . . المهم دخلت السجن فى هذه المرة وبقيت به لمدة عامين . . فقد خرجت عام ١٩٥٠ . ومن بعدها بدأت أعد لتكوين الاتحاد العام لنقابات العمال . . كما سبق وذكرت لك . ثم انخرطت أكثر وأكثر فى العمل السياسى خاصة حينما تم الإعلان عن تشكيل منظمة « حد تو » الشيوعية . حيث كنت بها عضواً فى المكتب السياسى . . كما كنت المسئول عن نشاط الجماهير فى الحركة الوطنية . واستمر ذلك حتى حريق القاهرة فى يناير عام ١٩٥٢ . . وكان لاتحاد عمال مصر الدور الريادى فى شجب هذا الحريق . . حيث أصدرنا منشوراً فى يوم الحريق يحمل نفس المعنى . وعلى إثر ذلك جاء قرار الاعتقال الثالث . . حيث بقيت بالمعتقل حتى بعد قيام الثورة . .

● **معنى ذلك أنك لم تشارك فى أحداث الثورة على المستوى السياسى والجماهيرى ؟! .**

●● أيوه . . كنت وقتها فى معتقل الهاكستب . . وبعد اغتيال شقيقى عبد القادر طه . . بقيت بالمعتقل حتى أغسطس عام ١٩٥٢ . . ولقد عرفت من ضباط المعتقل نبأ اغتيال شقيقى . . وعلى ما أذكر أنهم قد اغتالوه فى مارس عام ١٩٥٢ . . وبعد الإفراج عنى هذه المرة خرجت للإعداد للمؤتمر العام للنقابات . . وفى عام ١٩٥٤ أعيد اعتقالى للمرة الرابعة . . وظللت بالمعتقل حتى عام ١٩٦٤ ! .

● **إذن هذه كانت أطول فترة لك خلف القضبان ؟! .**

●● تقدر تقول كده . . لكنها انقطعت مرتين . . مرة أثناء وجودى فى بنى سويف . . وظللت هارباً لمدة شهرين . . والمرة الثانية كانت حين تم الإفراج عنا فى ديسمبر ١٩٥٨ . . ثم أُعيد اعتقالى فى مارس ١٩٥٩ . . حتى عام ١٩٦٤ . .

[ملحوظة : فى كل مرة أحاول الإنصات لما يقوله ضيف هذا الحوار السياسى المخضرم أحمد طه . أجد بالغ الصعوبة . . فى تتبع ما يقوله من كلمات عبر شريط التسجيل . . واكتشفت أن السبب هو صوت الباب الصاج الذى بات يفتح ويغلق كل دقيقة . . تعبير عن رغبة الجماهير الواقفة بالباب من ضرورة إنهاء هذا الحوار بسرعة . . وذلك بسبب ما

سوف يعرضونه على أحمد طه من شكاوى . . ورغم التنبيه عليهم بالانتظار . . فإننا لم نكن قد استغرقنا من الوقت سوى ربع ساعة فقط !] .

● وهل نستطيع أن نعرف منك سبب الاعتقال فى المرة الرابعة ؟! .

●● السبب يرجع فى الأساس إلى دورى فى الحركة النقابية ثم فى الحركة الشيوعية . وتقدر تقول إن الفترة الأخيرة كانت من فترات اعتقالى المتصلة والتى دامت عشر سنوات بلا انقطاع إلا من الفترتين السابقتين . . واللى احنا حكينا عنهما منذ لحظات .

وفى هذه المرة أيضاً اكتشفت أنهم قد حولونى من معتقل سياسى إلى مسجون عادى . . حيث قدمونى للمحاكمة فى قضية الجبهة الوطنية . وحكم علىّ بخمس سنوات أشغال شاقة مؤبدة . وقد اعتقلوا معى زوجتى وابنى . . حيث قضت زوجتى عقوبة السجن . . وخرجت . . وبقيت أنا حتى عام ١٩٦٤ ! . وهذه المرة أيضاً . . وبعد الإفراج عنى . . عاودت نشاطى السياسى من جديد حتى عام ١٩٧٩ . . حين تم اعتقالى مرة خامسة . . فى قضية التخابر مع بلغاريا . . وكانت فى فترة حكم السادات . . وخلالها مكثت شهرين فقط معتقلاً رهن التحقيقات .

● وهل تم اعتقالك فى هذه المرات وفقاً لأحكام قانونية ؟!

●● فى كل مرة تم اعتقالى بدون محاكمة . . ما عدا المرة الرابعة عام ١٩٥٩ . . حين قضيت السجن وفقاً لحكم الخمس سنوات ا لسابق الحديث عنها . وفى المرة الأخيرة عام ١٩٧٩ . . كان الاعتقال بسبب قضية . . ولكننى لم أسجن فيها بسبب براءتى فى المحكمة . وكانت هذه بحق رحلتى عبر الأسوار العالية . . حيث انتهت عام ١٩٧٩ . .

● نريد أن نعرف قصة أحمد طـه مع العمل السياسى النيابى . . أو بمعنى آخر . . كيف بدأت رحلتك داخل مجلس الشعب عضواً برلمانياً عن حى الساحل بشبرا ؟!

●● الحقيقة أننى بدأت أعد نفسى لهذه الرحلة منذ أن خرجت من المعتقل عام ١٩٦٤ . . فقد نزلت إلى الشارع أعيش مشاكله . . وحين سنحت لى الفرصة رشحت نفسى من عام ١٩٦٩ إلى ١٩٧٠ لعضوية مجلس الأمة . . وهذه كانت أول مرة . . وقد تم انتخابى ونجحت . . وظللت تحت قبة البرلمان منذ هذا التاريخ وحتى الآن . .

● **وتفتكر كام دورة برلمانية ؟! .**

●● والله ما أنا فاكر . . لكنك تقدر تقول فى حدود ٥ دورات برلمانية متواصلة وبلا انقطاع . فيما عدا فترة اتهامى فى قضية التخابر مع بلغاريا . . والتى امتدت حتى عام ١٩٨٣ . . وعلى فكرة حتى فى هذه الدورة . . نجحت وأنا فى السجن .

● **وكيف ؟! . هل تقدمت للترشيح فى هذه الفترة ؟! .**

●● أنا تقدمت للترشيح يوم ١٣ مايو . . فاعتقلت يوم ١٥ مايو عام ١٩٧٩ . . أى بعد يومين من الترشيح . وتمكنت من إدارة حملة الانتخابات الخاصة بى وأنا فى السجن . . ونجحت . . ولكنهم تراجعوا وقالوا . . ليس نجاحاً . . بل سوف تعيد الانتخابات ! . فأعادوا الانتخابات مرة أخرى وأنا فى السجن . . وطبعاً تعمدوا أن أسقط . . حيث تدخلوا بكل قوتهم من أجل هذا الهدف .

● **هل من الواجب أن يتوقع كل من يعمل بالسياسة . . أن تصيبه لعنة السجن أو الاعتقال ؟! . أم ماذا ؟ .**

●● ده شىء طبيعى فى العالم الثالث عموماً . . سواء كان حاكماً أو محكوماً . لأنها فى الأصل قضية حضارية متصلة باحترام حقوق الإنسان والحقوق المدنية لكل المواطنين كما أنها متصلة بنوع السلطة الموجودة والقائمة أيضاً على القهر وكتم الحريات . . وفى ظل هذا المناخ لا بد لكل من يشتغل بالسياسة أن يتوقع أن تصيبه لعنة السجن والاعتقال .

● **وهل نستطيع أن نقول إن تلك سمة من سمات العمل السياسى بدول العالم كله بشكل عام ؟! . أم ماذا ؟! .**

●● لأ . . إنها سمة مقصورة على دول العالم الثالث فقط . . والسبب أن الدول الديمقراطية الخارجة عن نطاق هذه الدول لا تسجن أو تعتقل رجل السياسة . لذلك تجد أن دول العالم الثالث مطالبة بتحقيق نقلة حضارية . . يتحقق خلالها احترام رجل السياسة أولاً حتى ولو كان معارضاً . إنها فى الأصل مناخ عام وسلوك وتربية مرتبطة بواقع المجتمع الذى يعيش فيه رجل السياسة .

● **وأين نحن على خريطة الدول الديمقراطية ؟! .**

●● أمامنا جيل أو جيلين على الأقل حتى نصل إلى هذا المفهوم وتترسخ بداخلنا مثل هذه القيم .

● **وهل فى تصوركم أن عقوبة السجن والاعتقال تنتظر رجل السياسة الذى يقف فى خندق المعارضة . . أم من الممكن أن تصيب رجل السياسة الذى يؤيد النظام القائم ؟! .**

●● أيضاً أقول لك إنه فى دول العالم الثالث يمكن أن تصيب النوعين . والدليل على هذا . . لدينا فى مصر . . قضية عصمت السادات . . وعبد العظيم أبو العطا . . فقد أصدر السادات قانون العيب والقيم وحاكم به أخاه . . وربما فى تصورى لو ظل السادات على قيد الحياة فربما تمت محاكمته وفقاً لهذا القانون هو الآخر !! .

● **ولماذا تعيب السياسى الذى يؤيد النظام . . فى هذه الحالة ؟!**

●● المسألة تتعلق فى تصورى بانتقال المواقع . . بمعنى أن هذا السياسى الذى يؤيد النظام إذا ما ابتعد عن الحاكم الذى يؤيده حتماً يتم إباحة دمه . . ويصير عرضة للاعتقال . . مثله مثل السياسى المعارض . . بل عادة ما يكون موقفه أكثر صعوبة . . لأنه لم يكن يتوقع الاعتقال ! . وتستطيع هنا بسهولة أن تقول إن لعنة السلطة ظلت تطارده حتى داخل الأسوار العالية .

● **هل من الملائم وفقاً لتصوركم السياسى أن يكون وزير الداخلية من ضباط الشرطة؟! .**

●● دعنى أقول لك إن الشكل فى العمل السياسى لا يهمنى كثيراً . . بمعنى لا يهمنى أن يكون فى هذا المنصب ضابط شرطة أو غير ضابط شرطة . . لأنه فى اعتقادى أن ما يريده النظام السياسى القائم سوف يكون وينفذ فوراً . والمهم هنا المناخ العام الذى يعمل فيه هذا الوزير أو ذاك . ولعلى أؤكد لك هنا حقيقة هامة وهى أنه من المؤسف أن الوزير السياسى فى مصر الآن لم يعد له وجود . فلم نعد نسمع بالفعل عن ذلك السياسى الذى يختلف مع الحاكم . . لقد تحول الوزير الآن إلى مجرد موظف ينفذ سياسة الحاكم . . وعلى

فكرة حين أسمع عن تعديل وزارى لا أعتبره تعديلاً . . بل أنظر إليه على أنه تعديل وظيفى . . بحيث نأتى بمسئولين ونرقيهم إلى منصب الوزراء . . ودعنى أسألك بهذه المناسبة . . هل لدينا فى مصر الآن ذلك الوزير الذى يعمل جاهداً على تنفيذ سياسته ، ويكون على استعداد أن يقدم استقالته حين يواجه المشاكل والصعاب فى تنفيذ هذه السياسة . . ؟ . أشك فى وجود مثل هذا الوزير الآن . . وتعرف أن الوزراء الآن يشغلون أنفسهم دائماً بأعمال إدارية لا علاقة لها بالعمل السياسى . والمفروض أن العكس هو الذى يجب أن يكون . . فالوزير أولاً وأخيراً رجل سياسة . . وهذا ما أؤكد عليه . . هذه النوعية من السياسيين لم تعد فى مصر الآن . . وعايزر أقولك إن ده أصبح المناخ العام حتى فى الشارع السياسى لدى الأحزاب . . ويمكن يختلف الأمر قليلاً بالنسبة لأحزاب المعارضة التى لديها مبادىء وسياسات تسعى إلى تطبيقها حتى وهى خارج كرسى الحكم .

● وهل هذه فى تصورك تعتبر ظاهرة صحية ؟! .

●● طبعاً . . ظاهرة غير صحية بالمرة ! .

● وهل نعتبرها بداية لقدوم ظاهرة صحية ؟! بمعنى هل مثل هذه الممارسات فى المستقبل سوف تنقلنا إلى العيش فى ظاهرة سياسية صحية ؟!

●● أبداً . . المسألة لا تتجزأ . . إن المناخ السياسى كل فى واحد . . وأعنى بذلك . . أنه لا بد من علاج المناخ العام حتى نضمن حدوث مثل هذه الظاهرة الصحية . . وأنا أخشى أنه إذا لم نصلح المناخ العام . . فقد تنقلب الأوضاع إلى ظواهر سيئة . . تتمثل فى عودة حكم الفرد الديكتاتور .

● فى تصور الأستاذ أحمد طه . . حين نعود للحديث عن عقوبة السجن . . هل من الملائم أن تكون السجون تابعة لوزارة الداخلية ؟! . أم لوزارة العدل ؟! .

●● والله تتبع الداخلية . . تتبع العدل . . المهم هو المناخ العام زى ما قلت . . وأحياناً يتصور البعض أن نقل التبعية هو المشكلة أو هو الحل . . بل بالعكس ممكن يكون ذلك غير منطقى على الإطلاق . . وفى هذه الحالة يكون المطلب مطلب سطحى !! . . وعلينا أن نقوم بعمل العكس حيث نطالب بالإصلاح الجذرى . . بصرف النظر عن هذه

التبعية . . ومن ناحيتى فقد قدمت مشروعاً لإصلاح السجون فى مصر . . وحتى الآن لم أستطع أن أمرره داخل مجلس الشعب . وأحب أن أسوق إليك بعض ما جاء فى هذا المشروع . . فقد ناديت فيه بتغليظ عقوبة التعذيب . وتشديدها . . وتعديل الفقرة التى تمنع الأشخاص العاديين من طلب محاكمة الذين عذبوهم . . حيث لا يسمح القانون الحالى فى مثل هذه الحالات بتحريك دعوى التعذيب إلا عن طريق النائب العام . لذلك طلبت أن يكون هذا الحق مكفولا لأى شخص يتعرض للتعذيب فيبادر من فوره للجوء إلى القضاء . . وهنا يكون من حق هذا المواطن أن يواجه من عذبه . . إذن هذه هى القضية التى تتطلب منا معالجة الجذور . . وليست المسألة مسألة تغيير لافتة من تبعية إلى تبعية ! .

● ليسمح لنا السياسى أحمد طه أن نخرج لحظات من خلف القضبان . . كى نسأله عن علاقاته السياسية بكل من الملك فاروق وجمال عبد الناصر وأنور السادات وأخيراً مبارك؟! . وكيف كانت ؟

●● سوف نبدأ الحديث بعلاقتى بفاروق . . أقول لك إننى قد فتحت عيناى داخل العمل السياسى وأنا أقف فى خندق الخصوم ضد فاروق لارتباطه بأمرين أولهما : الفساد السياسى والاحتلال الإنجليزى . وطبعاً لم يكن لى بالقصر أى ارتباط أو علاقة . . لأننى كنت ضد الملك على طول الخط . وكان النضال ضد هذا الشخص نضالاً شاقاً لأنك كنت تعيش داخل جو فيه شبه استقرار وقناعة بالملكية . . لذلك كان الجهاد شاقاً وعسيراً .

ثم جاء بعده عبد الناصر وكنت أعرفه بشكل شخصى من خلال علاقتى باتحاد النقابات وعلاقة أخى عبد القادر بعبد الناصر . . بجانب أننى بعد خروجى من السجن . . كنت أتردد كثيراً على مجلس قيادة الثورة . وظل الاتصال بيننا قائماً فترة حتى أعلنت موقفى ضده . . ووقفت فى خندق الخصوم ضد الثورة . الأمر الذى أدى بى فى نهاية الأمر إلى السجن كما حكيت لك من قبل . وكان هذا من خلال موقفى اليسارى أو الشيوعى الذى اختلف فى بداية الأمر مع رجال الثورة . وكنت أعرف أن عبد الناصر كان يكن لى تقديراً خاصاً وفى حدود البروتوكول . . ودعنى من إضافة أى زيادة فى هذا الأمر . . وأتركه للتاريخ فقط .

أما فيما يتعلق بعلاقتى بالسادات . . فإنه كان كثيراً ما يتردد على أخى ضابط الجيش عبد القادر طه . . ويقضى عندنا ساعات طويلة . . وذلك قبل حادث اغتياله . كما أعرفه أيضاً منذ أن كان هارباً فى الفترة التى خرج فيها من الجيش حين ساعده فى الالتحاق بالأعمال الحرة . . « كامل العقيلى » وقد اختاره السادات فيما بعد وزير دولة بعدما تولى الحكم فى فترة ما بعد حكم عبد الناصر . « وكامل عقيلى » أساساً كان رئيساً لنقابة النقل البرى ونحن بلديات وأقارب أيضاً . يعنى تقدر تقول إنه كان فيه مجموعة علاقات بينى وبين السادات قبل ثورة ٢٣ يوليو .

وحين قامت الثورة دعنى أقول لك بكل أمانة لم أكن أثق فيه . وحزنت كثيراً حين علمت بأنه من ضباط الثورة !! . لذلك لم تنشأ بيننا علاقات بعد هذا التاريخ على الرغم من أنه كان يعرفنى جيداً . وحتى بعد توليه منصب الرئاسة استمر موقفى منه واضحاً . . وكنت كثيراً ما أعبر عن هذا الرأى بشكل علنى وتحت قبة البرلمان .

أما فيما يتعلق بعلاقتى بالرئيس مبارك فدعنى أقول لك ليس بيننا علاقات شخصية . . ولكننى أعرف جيداً أنه يتابع مواقفى الصريحة من العديد من القضايا الوطنية وخاصة قضية الإرهاب . . والتى كثيراً ما أعلنها تحت قبة مجلس الشعب . ويمكن بعض المسئولين القريبين من مؤسسة الرئاسة قد عبروا لى عن ذلك . . سواء بطريق مباشر أو غير مباشر . رغم أننى أقف فى خندق المعارضة . . ولكنه يتفهم كثيراً دور السياسى المعارض وأهميته فى الحياة الديمقراطية سياسياً واجتماعياً .

● **وأين أحمد طه الآن على خريطة الحياة الحزبية المصرية ؟! .**

●● تقصد إلى أى حزب أنتمى الآن ؟! . أقول لك عملياً لا أنتمى إلى أى حزب . . ولكنى شكلياً تقدر تقول إننى أنتمى إلى حزب الوفد ! .

● **وعقيدتك السياسية . . إلى أى اتجاه تنتمى ؟!**

●● إلى اليسار . . وهذا غير خفى حتى على رئيس حزب الوفد الذى أنتمى إليه الآن . . وفى جيبى يوجد مستند . . يوضح لك ذلك . . حيث أن علاقتى بالوفد قد بدأت منذ أن بدأوا التفكير فى العودة للحياة السياسية . . وأرادوا تكوين حزب الوفد من جديد . .

ويوم أن كانوا يبحثون عن توقيعات عشرين عضواً داخل مجلس الشعب . . كما كان يشترط القانون آنذاك . . ولعلك تتعجب أنهم قد نجحوا بالفعل فى الحصول على توقيع تسعة عشر عضواً داخل مجلس الشعب . . ولم يتبق سوى عضو واحد . . مما جعلنى وحباً فى الحياة الديمقراطية أذهب إلى فؤاد سراج الدين وكان بصحبتى خالد محيى الدين وقبارى عبد الله . . وقلت له : أنا مش معاك لكننى سوف أوقع معكم على عريضة تأسيس الحزب بشرط أن أشرح لك أسباب هذا التوقيع أولاً لإيمانى بأن حزب الوفد من الأحزاب الوطنية . . وثانياً : لأننى ضد قانون الأحزاب الذى يشترط هذه النسبة المقيدة للحياة الحزبية . وثالثاً : أنه حين يمارس حزب الوفد نشاطه داخل الحياة السياسية فإنه سوف لا يكون بيننا أدنى علاقة سياسية . رابعاً : أن ينشر هذا الاتفاق فى أول عدد من الجريدة التى سوف يصدرها الحزب . وقد وافق فؤاد سراج الدين على هذه الشروط الأربعة بخط يده . . وهو مستند كما سبق وقلت لك لا يزال موجود فى جيبى . . ومن أوراقى الخاصة جداً .

● وهل لى أن أحصل على هذا المستند كى أصوره كمستند فى الكتاب ؟!

●● طبعاً مستحيل . . فقد فشل غيرك فى الحصول عليه حتى رجال المباحث . . إنها أوراق للتاريخ .

● وماذا يكون موقف السياسى حين يتم الإفراج عنه . . ويجد اسمه فى التشكيل الوزارى؟! .

●● فى مصر عندنا لم تحدث مثل هذه الواقعة إلا مع السياسى فتحى رضوان حيث كان فى المعتقل . . وحين خرج اختاروه فى منصب وزارى . . وفى تصورى أن ذلك شىء لا يمكن أن يحدث مع السياسى المعارض . . إذ من غير الممكن أن يخرج من المعتقل ويتم تعينه فى منصب وزارى لدى الحزب الذى كان يعارضه . . والمسألة كانت بالنسبة للمرحوم فتحى رضوان مختلفة حيث كان يقف ضد الملك . . لذلك دخل المعتقل . . ولما قامت الثورة خرج من المعتقل واختاروه فى منصب وزارى . . ومن هنا نجد أن رؤيته السياسية قد تحققت حيث انتصر فى موقفه السياسى . وبالتالى لم يمانع فى تقلد المنصب الوزارى .

● طيب وبالنسبة لأحمد طه . . السياسى المعارض . . حين يتم اعتقالك لمواقفك السياسية ضد الحكومة . . وأرادوا مكافأتك فأفرجوا عنك . . بل أكثر من ذلك اختاروك وزيراً . . ماذا يكون موقفك كأحمد طه ؟! .

● أريد أن أقول لك فى البداية . . أن مثل هذه الفرضية السياسية فى غاية الصعوبة . . رغم أننى أعتبر ذلك إذا ما حدث فهو نوع من الترهل السياسى غير المقبول حتى من غير أحمد طه . وفى مثل هذه الأمور أيضاً هناك حسابات كثيرة وأسئلة لا بد من الإجابة عليها قبل الانزلاق فى مثل هذا الموقف الذى تفترض حدوثه . إنها بحق ليست فرضية سياسية وليست قاعدة ! لأن كل موقف له حساباته الخاصة به .

● ما هو تعريف عقوبة السجن بالنسبة لرجل السياسية ؟! .

●● أولاً لازم تعرف أن السجن والاعتقال بالمفهوم الموجود الآن . . هو عقوبة غير آدمية وغير إنسانية بالمرة . .

● وهل يؤثر السجن فى مسيرة رجل السياسة ؟! .

●● ليس هناك شك فى ذلك . . فهذه عقوبة تؤثر كثيراً على مسيرة بعض السياسيين . . حيث ينهار جزء منهم ويتراجع جزء آخر . .

● وبالنسبة لتأثير هذه التجربة على المسيرة السياسية لأحمد طه . . نريد أن نعرفها . .

●● الحمد لله . . إننى أعتقد وكما هو واضح أنها تزيدنى صلابة وقوة وإصراراً على مواصلة المشوار . وهذه على فكرة مرتبطة بما أؤمن به من مبادىء سياسية أرى دائماً من واجبى ضرورة تحقيقها تحت أى ظرف من الظروف .

● وهل كنت على مقربة من حالات شهدت فيها انهيار بعض السياسيين الذين تحدثت عنهم من قبل ؟! .

●● كثير جداً . . صحيح أنهم لا يزالون يعيشون بيننا إلا أنهم قد اختفوا من الحياة السياسية . .

● هل يرى السياسى أحمد طه أن يكون من الملائم الزج بالسياسى فى سجون المجرمين من القتلة وأصحاب السوابق والسفاحين ؟! .

●● هو طبعاً . . لا بد أن تعرف أن السجن لا يتغلق أساساً بالمكان ولكن فى الأساس لا بد أن تنظر إلى السجن من حيث المعاملة . . لأننا كنا نعامل داخل السجون معاملة أقل من المسجون العادى الذى كان كثيراً ما يتمتع بكثير من الامتيازات التى كانت بالنسبة لنا شيئاً مختلفاً تماماً . ولك أن تتعجب أننا كثيراً ما كنا نناضل داخل المعتقلات من أجل مساواتنا بالمجرمين العاديين من أصحاب السوابق والقتلة واللصوص !! . وعلى سبيل المثال . . المجرم العادى كان من الممكن الإفراج عنه بعد قضاء نصف مدة العقوبة . ولكنك كمسجون سياسى لا تعامل بالمثل . . بل تظل رهين القضبان إلى فترات غير معروفة ! . وحتى فى حالة الحكم على السياسى بالسجن وفقاً لقرار محكمة . . أيضاً لا بد له من قضاء مدة العقوبة كلها ولا يخرج مثل زميله المجرم العادى بعد قضاء نصف المدة فى أى مناسبة من المناسبات القومية أو الأعياد . لذلك تجدنى قد قدمت سؤالاً إلى السيد وزير الداخلية بخصوص هذه التفرقة فى المعاملة . . وقد جددت هذا السؤال فى هذه الدورة أيضاً! . وقد طالبت بضرورة تحقيق مثل هذه المساواة خاصة فيما يتعلق بقرار الإفراج أو العفو . وهذا نموذج صارخ للمعاملة ؟! .

● وتفتكر بهذه المناسبة . . لا بد من وجود سجن خاص للمعتقل السياسى . . أم ماذا يرى السياسى أحمد طـه ؟! .

●● لا أريد أن أقول إن السياسى ينتمى إلى طبقة متميزة عن بقية أفراد الشعب . . لذلك لا أرى حتى التفرقة بين السياسى وبين بقية الناس حتى فى السجن . . لذلك لم أفكر أبداً فى المطالبة بأن يكون للسياسى سجن خاص . . ولا أرتاح لمن ينادون بهذا الرأى . . فالسياسى يجب أن يعيش وسط الناس حتى وهو داخل السجن . . ولا يجب أن يكون له وضع مميز خلف الأسوار العالية . وعلى فكرة هذا جزء من مبادئى العامة التى لا تميل إلى التمييز بين البشر لا فى الدين ولا فى اللون ولا فى السياسة ولا حتى فى السجون ! . ومعنى أنك تنادى بضرورة تمييز السياسى داخل السجون . . فلا بد أن يكون مميزاً فى كل شىء . . وهذا خطأ كبير ولا يليق بالسياسى .

● وهل هناك من وجهة نظرك فروق واضحة بين اعتقال السياسى واعتقال المفكر؟! .

●● ليس هناك مثل هذالفروق . . لأن السياسى أساساً مفكر . . وإلا لما كان من السياسيين الناجحين . وأيضاً المفكر ما هو إلا رجل سياسة . . وعلى فكرة ليس هناك فرد على وجه هذه الأرض ليست له ميول سياسية . . الفنان ـ الرسام ـ الموسيقار ـ المفكر . . لكنك تستطيع أن تقول فيما يتعلق بالمفكر أنه أبعد من هؤلاء من حيث الفكرة وقضايا الفكر والقضايا النظرية ومع ذلك فهو يقترب كثيراً من عالم رجل الساسة الذى تعتبر الأفكار الجديدة أحد أسلحته من أجل مواصلة مشواره بنجاح داخل الحياة السياسية . لذلك تستطيع من هنا أن تقول إن هناك نوعاً من التلاحم بين الفريقين . . رجل السياسة ورجل الفكر . . هذا التلاحم وهذا التطابق يجعل من الصعب وجود مثل هذه الفروق التى ذكرتها فى سؤالك السابق .

● وهل هناك مفكرون ليسوا أصحاب مواقف بعكس رجل السياسة ؟

●● مستحيل تجد مثل هذه النوعية . . دا حتى البائع الموجود أمامك فوق الرصيف صاحب موقف .

● لو أردنا أن نعود بك إلى أيام السجن التى قضيتها خلف القضبان . . ونسأل : ما هى أهم الشخصيات التى التقيتم بها خلف هذه القضبان ؟! . وما نوعيتها ؟ وهل بالفعل ما زال لديك معهم علاقات حتى الآن ؟! .

●● شوف تقدر تقول إنى زرت جميع سجون مصر . . وأقمت بها مدداً طويلة . . وعلى ما أذكر كانت السجن الحربى وسجن مصر وسجن القناطر والاستئناف وطرة وأبو زعبل والواحات . . الفيوم . . كل السجون . . ثانياً : ليس هناك معتقل سياسى واحد وراء القضبان لم أعاصره ولم ألتق به . والسبب أننى كنت أقضى مدداً طويلة . . وهم يخرجون وأنا مقيم بالسجن . ثم يأتى غيرهم ويخرجون . . وأنا فى مكانى لا أبرحه . وهكذا فقد كنت أشبه بعمدة السجن . . لقد التقيت بمعظم سياسيىّ مصر من مختلف الأحزاب والإخوان المسلمين حيث عاصرت قياداتهم أثناء اعتقالهم حتى فى سجن الطور . . وهو سجن رهيب بكل معنى الكلمة . . ومن رعب هذا السجن كان السجناء يتحاكون به فى

مجالسهم الخاصة . . فكثيراً ما كنت تسمع عبارة . . « دا لازم يروح الطور » . . على سبيل التهديد . . والكلام اللى باحكى لك عنه ده . . كان عام ١٩٤٨ .

وبخلاف الإخوان . . أعرف معظم قيادات حزب الوفد والحزب الوطنى القديم ومصر الفتاة وكذلك الشيوعية . . يعنى تقدر تقول . . مفيش هناك سياسى مصرى معاصر دون أن أعرفه أو ألتقى به خلف القضبان ودون أن أتعامل معه . . لذلك تجد من الصعوبة حصر أسماء وشخصيات بعينها .

● نريد أن نعرف من منهم لا يزال على علاقة بك حتى الآن ؟! .

●● أقول لك . . شوف مشاغل الحياة . . وكفاح الرجل السياسى كانت السبب الرئيسى فى اختفاء العلاقات الخاصة مع هؤلاء . . لكننى أؤكد لك أننى أعرف جميع السياسيين المصريين المعاصرين وكثيراً ما نتقابل فى مناسبات بدون ترتيب . وده ربما راجع لأننا لا نحمل لبعضنا ذكريات خاصة .

[وقاطعته للمرة الثانية] .

● حاول أن تتذكر شخصية حتى غير سياسية . . وقفت معها موقف يستحق الذكر . . ولا يزال عالقاً فى ذهنك . . ؟! . .

●● آه . . الشيخ كشك مثلاً . . الشيخ عبد الحميد كشك . .

● وده كان سنة كام يا أستاذ أحمد ؟! .

●● كان فى اعتقالات سبتمبر عام ١٩٨١ . . ولاحظ أننى لم أذكرها لك من بين مرات دخولى السجن . . صحيح نسيتها من كثرة هذه المرات .

[ضحكات وقهقهة نقلت إلينا الجو العام الذى كان عليه محدثى رغم لوعة الموقف . . ولعنة الكلمات . . وصعوبة المناسبة] .

● يا ريت تحكى لنا عن هذه الواقعة بالتفصيل . . هل من الممكن ذلك ؟! .

●● على فكرة لقد تعرفت هذه المرة على الشيخ كشك والشيخ المحلاوى . . والقس

قمص باسيلى . . تقريباً كل رجال الدين الذين ضمتهم هذه الحملة . وبالنسبة للشيخ كشك كانت تربطنى به علاقة خاصة تمثلت فى اقترابى الشديد من عالمه الخاص وحياته للدرجة التى تحولت فيها إلى عينيه اللتين أصبح يرى بهما . . إذ تصادف أن يعيش معى فى نفس عنبر الحبس . فقد كنت أساعده كثيراً فى حياته اليومية . . كما كنت أصحبه فى جولاته داخل الأسوار العالية . . والشيخ كشك ما زالت تربطنى به علاقة ودية . وقد عبر هو نفسه عن عمق هذه العلاقة فى إحدى المقابلات الصحفية التى أُجريت معه وقتذاك . . ولسوف أعطيك نسخة من المجلة التى نشر بها هذا الحوار . [وبالفعل أعطانى هذه المجلة] .

● ما رأيك فى تجربة السجن بشكل عام . . وما موقفك من هذه التجربة وفقاً لما رأيته خلف القضبان وأنت الآن عضو مجلس الشعب ؟ .

●● شوف السجن بشكله العام سيِّىء للغاية وغير آدمى بالمرة . . ولست فى حاجة إلى أن أُعيد على أُذنيك ما رأيته وعايشته من حياة يأنف أن يعيشها الحيوان . . وده مرتبط بكل مظاهر هذه الحياة من ملبس ومسكن ومأوى . . ودورات المياه وحتى الترفيه . . إنه شىء مريع وصعب . . وبخصوص الشق الثانى من سؤالك والخاص بدورى كعضو نيابى . . من أجل إصلاح ذلك . . أقول لك أنا شايف إنه لازم نصلح السجن الكبير أولاً . وهو الوطن بمشاكله المتعددة والمتنوعة . . وليس معنى ذلك أنه لم يكن لى دور فى إصلاح السجن الصغير . . أبداً . ولكننى أركز كل جهودى من أجل الإصلاح العام . . لإيمانى بأن إصلاح المجتمع سوف يصيب بالتالى إصلاح السجون . إن المسألة فى الأول والآخر مسألة عامة .

● وهل هناك سبيل آخر للتعامل مع السياسى المعارض غير عقوبة السجن ؟! .

●● طبعاً فيه . . ويتلخص ذلك فى تعامل الرأى مع الرأى . . أو مواجهة الرأى المعارض بالرأى الآخر الذى يغيره ويلغيه . . والأمثلة على ذلك كثيرة . فأنا لو كنت أعتنق الشيوعية أو الليبرالية أو حتى من الإخوان المسلمين . . فحتماً سيكون لى مبادىء أسعى إلى تحقيقها بالطرق السلمية السياسية . والحكم هنا يكون للجماهير التى تميز بين هذه المبادىء

وتختار الصالح لها . . وهنا تكمن حرية الرأى . . التى تسمح لكل الناس أن يقولوا آراءهم بدون ضغوط . وهنا تكون المواجهة فى الشارع . . حيث تتصارع الآراء .

وليس معنى أن أعارضك بمبادىء أن يكون مصيرى السجن والاعتقال لمجرد إسكات هذا الصوت ، وحجب مبادئه عن الناس . وعايز أقول لك بشكل عام إن السياسى المعارض هو السياسى الذى يكسب دائماً . وبالذات هنا فى مصر . . لأنها دولة ذات خصوصية متفردة . والمسألة تتعلق بالتاريخ . . فلدينا أوراق التاريخ التى تقول إن الشعب المصرى ظل فترات زمنية طويلة محكوماً بأجانب . . لذلك تجدنا كثيراً ما نميل إلى معارضة الحاكم . . فالمدة التى لم نشبع فيها من حكم الإنسان المصرى للمصرى فترات قليلة . وهذا فى تصورى هو السبب . رغم أنك ممكن أن تكون حاكماً مصرياً عادلاً . . وتقدم كل شىء مفيد للبلد . . ومع ذلك تواجه بكراهية شديدة . . وارجعوا للتاريخ وهو يقول لكم كل حاجة .

● هل يملك أى حزب ينشق عليه أى عضو . . الحق فى الإبلاغ عنه السلطات الحاكمة من أجل اعتقاله ؟! .

●● هذه مسألة أخلاقية ولا يجب أن تحدث إطلاقاً . وتفسيراً لذلك أقول . . قد أكون فى حزب وأختلف معه . . ليس أمامه من إجراء سوى طريق واحد . . هو الفصل . . أو أبادر أنا بنفسى وأستقيل . . وبذلك تنتهى العلاقة بينى وبين الحزب الذى أختلفت مع مبادئه فى بعض المواقف السياسية . إننى أكرر أنه لو حدث غير ذلك سوف يكون موقفاً غير أخلاقى سواء من جانب الحزب أو من جانب الفرد . لأنه كيف لك أن تتصور أن يتم الإبلاغ عنى كسياسى معارض لخط الحزب الذى أنتمى إليه ويتم اعتقالى . . هذا لا يجوز . . سياسياً أو أخلاقياً .

● ومتى يتم اعتقال رجل السياسة ؟! .

●● المسألة كما أراها غير مطلقة . . بمعنى أن العدالة تكتسب قيمتها من النظام القائم . وعلى أية حال إننى أرى أنه لا يجب اعتقال السياسى إلا فى حالة واحدة فقط . . تتمثل فى اتهامه فى أى قضية تندرج تحت القانون العام الذى آراه أيضاً مطاطاً . . لكننى

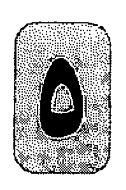
أؤكد لك أن عمل رجل السياسة إذا لم يبتعد عن الإرهاب والابتزاز وتهديد الأمن العام . . فيجب سجنه واعتقاله ومحاكمته أمام القانون المدنى . وأنا أحدثك هنا على هذه الحالات التى تقع فى غير أوقات الكفاح المسلح مثلاً ضد احتلال أو غزو أو أى انتهاك لحرمة الوطن. لذلك تجدنى أكرر أن المسألة مرتبطة بالسؤال عمن هو العدو ؟! . وهنا تنتفى صفة الإطلاق . وبشكل عام أى صراع سياسى يستخدم فيه أى شكل من أشكال الإرهاب ويمس حياة الأبرياء . . لا بد وأن يجرم هذا الصراع . . ويحاكم أطرافه . . لأن فيه اعتداءً على حرية الآخرين .

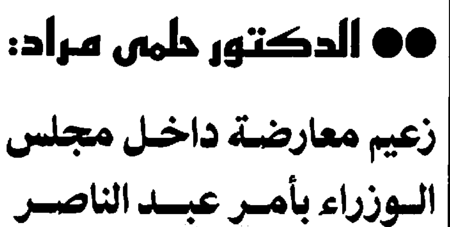
● دعنى يا أستاذ أحمد أختتم معك هذه الجولة الطويلة من الأسئلة بسؤال أخير تقول كلماته : لو أن رئيس الحكومة الذى اعتقلك . . قد خرج من الحكم . . وتوليت مكانه . . فهل تعتقله رداً على ما فعله بك ؟! .

●● مستحيل . . لأننى أنظر إلى الأمور بشكل ذاتى جداً . . هذه النظرة تجعلنى أتصرف معه فى حدود العمل العام . . وعلى فكرة كل الذين سجنونى هم أكثر أصدقائى الآن . . سواء من ضباط البوليس أو من السياسيين . وهناك مثال واحد فقط أذكره لك . . إنك تستطيع بنفسك أن تسأل اللواء زكى بدر وزير الداخلية السابق عن أحمد طـه؟ . . ولسوف تعرف الإجابة . . وهذا معناه أن علاقتى بهذا الشخص داخل العمل العام تختلف إذا ما خرج من دائرة هذا العمل . وحتى لو تحولت إلى منصب رئيس الحكومة لن أمس هؤلاء الذين سجنونى بسوء . . عارف السبب إيه . . لقد عانيت كثيراً من الظلم . . فكيف أكيل لهم بنفس المكيال حتى ولو على سبيل التشفى والانتقام ؟ . وحتى لو اضطررت لذلك . . سوف أستقيل ! . .

❊ ❊ ❊







•• الدكتور حلمى مراد:
زعيم معارضة داخل مجلس الوزراء بأمر عبد الناصر

فى عام ١٩٦٨ تم اختيار الأستاذ الدكتور محمد حلمى مراد وزيراً للتربية والتعليم ، فى أول تعديل وزارى يجريه الرئيس عبد الناصر بعد أحداث نكسة عام ١٩٦٧ . وفى العام الذى اختير فيه الدكتور مراد وزيراً للتعليم كنت طالباً بالصف الأول بالمرحلة الثانوية . . وكانت صلتى بالوزير الجديد مثل كل ملايين التلاميذ المصريين الذين أخذوا يتابعون أخباره فى الصحف ويهتمون بتصريحاته المسموعة بالراديو وأحياناً فى التليفزيون . . وكان الاهتمام ينصب أولاً وأخيراً على متابعة أخبار الامتحانات . . وعلى متابعة التعديلات الجديدة فى المناهج .

ولم أتصور فى يوم من الأيام . . حين كنت أعيش هناك فى مدينة تبعد مئات الكيلومترات عن القاهرة عاصمة الوزراء أننى سوف أقابل الدكتور الوزير . . حتى بعد أن يخرج من الحكم. . . وأعتقد أنه لو لم يكن الدكتور حلمى مراد قد دخل الشارع السياسى . . عضواً بارزاً فى حزب العمل كما هو الآن . . وكما كان من قبل صاحب أكبر

ضجة حدثت أيام عبد الناصر حين تمت إقالته من منصبه . . أقول لو لم يكن ضيف هذه الأوراق سياسياً . . واكتفى فقط بمنصبه الوزارى مثل غيره من أساتذة الجامعة لما تم بيننا هذا اللقاء . . ولظلت العلاقة بيننا محصورة فى أوراق الصحف . . وفى لوحة الشرف على جدران وزارة التربية والتعليم .

ويبدو أن القدر كان مترصداً لنا سوياً . . هو حيث كان ولا يزال يعيش فى القاهرة . . وفى منزله المطل على أطراف مصر الجديدة . . وأنا ذلك الطالب الذى كان إلى حين قريب يعيش هناك داخل أحراش مدينة صناعية كبيرة . هذا القدر قد أخذ يرسم لنا خطوات اللقاء ويحدد لنا المكان والزمان . . إلى حين اختار كاتب هذه السطور شخصية الدكتور حلمى مراد كضيف رئيسى ضمن ضيوف أوراقه هذه التى خصصها لحديث السياسيين وتجربة السجن والقضبان فى حياتهم ، وتأثير هذه التجربة سلباً وإيجاباً على نشاطهم داخل الشارع السياسى . .

وبناء على هذا الاختيار . . بدأت الاتصالات عبر أسلاك التليفون تفشل مرات . . وقد نجحت مرة واحدة ! . . وفى هذه المرة التى أصابت فيها تلك الاتصالات تم تحديد الموعد . . بشرط التأكيد عليه قبل الرحيل إلى منزله . وحين جاء ميعاد التأكيد وكان أيضاً عبر هذه الأسلاك . . اعتذر لنا الدكتور حلمى مراد فى أدب يعرفه كل من حوله . . وكان السبب انشغاله فى الترتيب لعقد أحد مؤتمرات حزب العمل . .

وقبل أن تموت فرحة اللقاء داخل الصدور . . ونفقد الأمل فى عقد مثل هذا الحوار . . بادرنى بقوله : ممكن نتقابل غداً فى السابعة مساء . . وبلا تحديد مسبق . . إننى فى انتظارك . . هذه المرة .

وفى ورقة صغيرة دونت العنوان . . وانطلقت قبل الميعاد بساعة كاملة بحثاً عن ذلك العنوان . . فقد صدق إحساسى الذى راودنى حين أملانى العنوان بأن العثور على فيلا الدكتور حلمى مراد قد يصادفه بعض الصعاب . . نظراً لطبيعة المكان الذى يتطلب مواهب خاصة للبحث عنه والعثور عليه بلا عناء . .

وحين عثرنا على اسم الشارع انطلقنا هنا وهناك باحثين أنا والمصور على رقم الفيلا . . وأخيراً كنا على الباب ندق الجرس . .

دخلنا إلى حجرة المكتب البسيطة . . حيث يتوسطها كرسى خاص جلس عليه الأستاذ الدكتور بعد أن استقبلنا على الباب . . وبعد إتمام إجراءات الاستقبال والتحية . . كنا وجهاً لوجه مع رجل السياسة المخضرم ووزير التعليم الأسبق . . وعضو حزب مصر الفتاة قديماً . . وأحد أبرز أعضاء حزب العمل الآن . الأستاذ الدكتور محمد حلمى مراد . . الذى رأيناه شاباً وقوراً . . فى لوحة مرسومة . . ومعلقة فى مواجهة المكتب الذى اعتاد أن يجلس عليه وهو يكتب . وكأنما أصبحنا فى مواجهة الرجل الذى يجلس أمامنا الآن شيخاً يناهز السبعين عاماً . . ومن أمامه كانت تلك اللوحة التى أخذ يطل علينا من خلال إطارها فى مرحلة الشباب التى حكينا عنها .

وبعد لحظات . . التفت إلينا . . فعرفنا المطلوب . . وقد اقترحت قبل إدارة شريط التسجيل أن أقرأ عليه أسئلة ذلك الحوار الذى جئت الآن من أجله . وبالفعل فردت ورقة الأسئلة أمامى . . وأخذت أتلو عليه سؤالاً تلو الآخر . . وكان فى كل مرة يهز رأسه موافقاً على الصيغة ، وعلى الموضوع الذى يحمله هذا السؤال أو ذاك ! . فشعرت بأن حركات رأسه هذه هى بداية موافقة لحوار طويل ، تمنيت أن تتاح لنا خلاله فرصة من أجل أن أملأ الشريط عن آخره . . فقد كانت مدته تسعين دقيقة .

وتأكيداً لما خرجت به من استنتاج مبكر على إمكانية تحقيق هذه الأمنية . . بادرنى متسائلاً : وهل لديك شريط آخر كى يستوعب إجاباتى على كل هذه الأسئلة ؟! . إذن سوف أضطر لاختصار إجاباتى بحيث تسمح بألا تتعدى الزمن المقرر والمدون على شريط التسجيل . . وهذه وظيفة ليست بعيدة عن أستاذ الجامعة الذى يستطيع إلقاء محاضرة قد تستغرق عدة ساعات . . وقد يلقى نفس المحاضرة بنفس عناصرها . . فى خمس دقائق!

وفى أثناء تلاوة هذا التعليل كنت قد انتهيت من تجهيز شريط التسجيل كى يدور بنا وبكم لنقل وقائع هذا الحوار الذى استغرق ساعة ونصف مع الاختصار الشديد فى الإجابات . .

وبعد هذه الرحلة الطويلة . . عدت إلى منزلى . . وكانت مهمة فى غاية الصعوبة . من أجل تفريغ ما جاء بشريط التسجيل ونقله إليكم عبر كلمات هذا الحوار بكل تفصيلاته . .

❊ ❊ ❊

● فى البداية . . هل نأمل أن نعرف من ضيفنا الكبير الأستاذ الدكتور حلمى مراد . . متى بدأ مشوار حياته السياسى ؟! .

●● بدأت الاهتمام بالسياسة منذ أن كنت طالباً فى المدرسة الثانوية . . يعنى تقدر تقول كانت اهتمامات مبكرة . . ولكن متابعتى للنشاط السياسى بشكل عملى قد تمت وأنا طالب بالجامعة . . حيث اجتذبتنى حركة « مصر الفتاة » . . وده كان فى فترة الثلاثينيات . . لأنها كانت حركة وطنية قامت على مبادىء عشرة كان من بينها المطالبة باستقلال مصر وانسحاب القوات البريطانية . كما نادت أيضاً هذه المبادىء بالحرية . .

● معنى ذلك أنكم كنتم عضوا بحزب مصر الفتاة ؟! .

●● الحقيقة أننى لم أكن عضواً مسجلاً . . ولكننى كنت أتابع حضور الاجتماعات العامة التى يعقدها الحزب . . كما كنت أتابع ما يصدره الحزب من نشرات . . إننى بالفعل لم أكن عضواً عاملاً بهذا الحزب . . ولكننى كنت عضواً مؤيداً لهذا الحزب ولمبادئه . وهذه هى كانت البداية الفعلية داخل الشارع السياسى . . ثم بعد ذلك ازدادت اهتماماتى بالاتصال بالحركة الوطنية عن طريق بعض الأصدقاء . . فقد كنت أشارك فى المظاهرات حتى تخرجت من كلية الحقوق جامعة فؤاد الأول ـ « جامعة القاهرة الآن » ـ عام ١٩٣٩ . . وكنت وقتها من الأوائل . . ولكن نظراً لصغر سنى فلم أستطع تسجيل اسمى بنقابة المحامين . . ولم أتمكن كذلك من تسجيل اسمى فى سلك النيابة .

وحتى هذا التوقيت لم أنقطع عن العمل السياسى . بل ازدادت جرعته على إثر نشوب الحرب العالمية الثانية . . حيث مُنعت البعثات إلى الخارج . . وبالتالى كانت فرصة للتفرغ فى هذه الفترة للعمل السياسى فى ذلك الحين . . من خلال حزب مصر الفتاة الذى بدأ الإنجليز يضطهدون رجاله . . خاصة زعيم الحزب السياسى أحمد حسين الذى بدأت تربطنى به علاقة مصاهرة . . حيث تزوج أختى فى ذلك الوقت .

● **يعنى يمكن أن نقول . . أو نطلق عليه « زواج سياسى » ؟! .**

●● لأ . . دا كان زواج يتصف بالصفة الأسرية . . حيث تربطنى وعائلتى صلات قرابة مع أسرة الأستاذ المرحوم أحمد حسين وقبل عقد هذا الزواج . . للدرجة التى كنا نسكن فيها فى عمارة واحدة فى حى المنيرة .

وحين نعود للحديث عن حزب مصر الفتاة فى ذلك الوقت . . نجد أن الإنجليز قد اعتقلوا أحمد حسين . . ومعظم أعضاء هذه الحركة . . وهذا الحادث من الممكن تقدر تقول إنه كان حافزاً قوياً لى للمشاركة الإيجابية داخل الشارع السياسى . . خاصة وأننى كنت بعيداً عن أنظار الإنجليز فى ذلك الوقت . . ولم أكن مطلوباً للاعتقال . فى الوقت الذى كنت فيه أدرس بالدراسات العليا بكلية الحقوق . لأننى لم أكن أعمل بالمحاماة أو النيابة . . وقد ساعدنى ذلك كثيراً فى الحصول على دبلوم الدراسات العليا فى السنوات التى تلت سنة التخرج مباشرة .

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ذهبت فى بعثة علمية لنيل الدكتوراة فى الاقتصاد من جامعة باريس استمرت ثلاث سنوات . . فقد بدأت عام ١٩٤٦ وانتهت عام ١٩٤٩ . وعلى فكرة بعد حصولى على الدبلوم الأول تم تعيينى فى النيابة . . وظللت فيها حتى موعد سفرى إلى البعثة . . وحتى وأنا أعمل معاوناً للنيابة . . كان لى العديد من المواقف السياسية فى ذلك الوقت . .

● **وهل يمكن أن تحكى لنا عن بعضها ؟! .**

●● ممكن . . وأقول لك . . لقد عينت معاوناً للنيابة فى مدينة دكرنس . . وتوليت تحقيق قضية سياسية خاصة بالانتخابات . . وكانت تخص أنصار إبراهيم باشا عبد الهادى الذى كان فى ذلك الوقت وزيراً للعدل بالنيابة . . وقد حققت هذه القضية بما يرضى الله والضمير . . حيث أمرت بإلقاء القبض على أنصار إبراهيم باشا عبد الهادى . حين عرفت أنهم مدانون . . الأمر الذى جعل إبراهيم باشا يطلب من النائب العام آنذاك حمايته من وكيل نيابة دكرنس على حد تعبيره ! . وبناء على ذلك تم إعادة التحقيق فى هذه القضية ، فلم يجدوا أى مأخذ علينا . . لذلك طلبت نقلى إلى نيابة ملوى بدلاً من دكرنس

احتجاجا على ذلك الموقف المتعسف أو قبول استقالتى . وكان النائب العام فى ذلك الوقت عبد الرحمن باشا الطوير . . وقد قبلوا الطلب الأول حيث نقلت إلى نيابة ملوى . . ومنها إلى جامعة باريس حيث البعثة التى حكيت لك عنها منذ لحظات .

● وماذا بعد عام ١٩٤٩ ؟ ! .

●● فى هذه الفترة التى كنت فيها مقيماً فى باريس لم أنقطع أيضاً عن الحياة السياسية . . بل بالعكس . . كانت هناك فرص طيبة لمواصلة المشوار السياسى وذلك بالاتصال بمجموعة كبيرة من الوطنين العرب من أبناء شمال إفريقيا . . وكلهم كانوا مجاهدين وقد اتخذوا من فرنسا مقراً لهذا الجهاد ! .

أضف إلى ذلك أننى كنت قد عقدت العزم على ضرورة الحصول على درجة الدكتوراه فى أسرع وقت ممكن حتى أعود إلى مصر مرة ثانية ولكى أكون قريبا من موقع الأحداث . . وحين عدت عام ١٩٤٩ تم تعينى أستاذاً بكلية الحقوق جامعة الإسكندرية . . ثم حين تم إنشاء جامعة عين شمس التى سميت فى البداية بجامعة « إبراهيم باشا الكبير » نقلت بكلية الحقوق بها . . ووصلت فيها إلى درجة رئيس قسم الاقتصاد ثم عنيت وكيلاً لجامعة القاهرة عام ١٩٦٤ . . ثم بعد ذلك عينت رئيساً لجامعة عين شمس عام ١٩٦٨ . . ثم وزيراً للتربية والتعليم فى نفس العام .

● نريد أن نعرف من سيادتكم . . كيف تم اختياركم وزيراً للتربية والتعليم ؟! . وما هى أسباب هذا الاختيار . . ثم أسباب الخلاف بينكم وبين عبد الناصر . . وكذلك نتائج هذا الخلاف ؟! .

●● من حيث الاختيار . . لقد كنت فى هذا الوقت رئيساً لجامعة عين شمس . . وقد دُعيت بهذه الصفة لاجتماع ضمن رؤساء الجامعات المصرية للالتقاء بالرئيس عبد الناصر فى قصر القبة .

● وما هى المناسبة يا سيادة الدكتور ؟! أو ما هو السبب . . ؟! .

●● كانت بسبب مظاهرات الطلبة بالجامعات التى قامت عام ١٩٦٨ . . احتجاجاً

على محاكمات ما بعد نكسة عام ١٩٦٧ . وكان الرئيس عبد الناصر قد طلب الاجتماع برؤساء الجامعات فى ذلك الوقت من أجل مناقشة هذه المظاهرات وأسبابها . . والبحث عن حلول وعلاج لها . وفى هذا الاجتماع بدأ كل رئيس جامعة يتحدث عن المظاهرات وكيف انفضت ؟! .

وحين جاء علىّ الدور للحديث . . أوضحت للرئيس عبد الناصر أنه لم يطلب الاجتماع بنا من أجل الحديث عن أسباب المظاهرات وكيف انفضت لأن لديك من الأجهزة المختصة ما تستطيع أن تتحدث عن هذه الأمور بشكل مفصل ومتخصص أكثر وبنظرة أوسع . . ولكننى أعتقد أن سيادتك قد اجتمعت بنا من أجل أن نقول لك : أسباب نشوب هذه المظاهرات . . وكيف نتفادها مستقبلاً ؟! . فرحب بها قلته . . لذلك واصلت حديثى منتقداً الأوضاع السياسية كلها . . خاصة غياب الديمقراطية . ثم تطرق حديثى أيضاً إلى رجال السلطة ومعاونيه إلى آخره . . وطال الحديث بيننا حتى إنه قد طلب منى أن أضرب أمثلة عما أقوله . وبالفعل ضربت له العديد من هذه الأمثلة . . وانفض الاجتماع بعد ذلك . . ورجعت إلى الجامعة . ولم يكن فى ذهنى أنه من الممكن أن يطلبنى للعمل معه وزيراً . ولكن العكس ما حدث . . فقد فوجئت بالرئيس عبد الناصر يجرى تعديلاً وزارياً . . ثم طُلبت لمقابلته . . حيث أصر على تعينى وزيراً للتربية والتعليم . بالاشتراك مع غيرى من زملاء الجامعة الذين عينوا فى هذه الوزارة . . فقد كانت أول مرة يدخل فيها أساتذة الجامعات وزراء . وعلى ما عرفت فيما بعد أن اختيارى لهذا المنصب كان اختيار عبد الناصر شخصياً . . ولم تتدخل فيه أجهزة أخرى . رغم أننى قد قدمت اعتذاراً عن هذا المنصب لأننى لم أكن فى حاجة إليه . . فقد كنت رئيساً لإحدى الجامعات المصرية العريقة . . المهم . . أن عبد الناصر قد أصر على اختيارى فى هذا المنصب . . رغم اعتراضى على أساس أننى أستاذ جامعى . . ولم أكن قريبا من التعليم العام . بل بالعكس كنت قريباً من التعليم العالى . وربما لو أن الدكتور لبيب شقير لم يكن وزيراً للتعليم العالى لكنت فى منصبه . . لأن عبد الناصر رفض اختيارى وزيراً للشباب . . لأنها وزارة لا تناسب قدراتى على حد قوله . ولقد خرجت من عند الرئيس حيث أصابنى الهم والغم من هذا الاختيار . .

● ومتى تم هذا الاختيار يا دكتور ؟! . .

●● بالضبط فى مارس عام ١٩٦٨ وحتى يوليو عام ١٩٦٩ . . يعنى تقدر تقول . . إننى استمريت فى هذا المنصب حوالى ١٦ شهراً بالضبط .

● وما هى أسباب الخلاف . . ؟! .

●● أولاً أحب أن أقول لك إن عبد الناصر رغم الخلاف الذى سوف أحكى لك عنه . . كان قد أطلق يدى فى العمل فى وزارة التربية والتعليم . . ولم يتدخل فى هذا الاختصاص أبداً . . للدرجة التى جعلتنى أفاتحه فى هذا الأمر . . فكان رده أنه بشر . . وأن شاغله الشاغل الآن هو الإشراف على وزارة الحربية بعد النكسة . . وقد تفرغ أيضاً للإشراف على عدة وزارات أخرى مثل التموين . . والخارجية والإرشاد . . هذا بالإضافة إلى أننى دائماً كنت أصارحه فى كثير من الموضوعات غير التى تخصصت فيها . وكان يتقبل ذلك منى قائلاً : إننى صاحب أفق سياسى واسع . لذلك فقد أعطانى الحق فى أن أتحدث أمامه فى مجلس الوزراء ، الذى كان يرأسه فى أى موضوع وفى كل الأمور . .

وعلى هذا الأساس فقد اختارنى لتنفيذ العديد من المهام . منها الإشراف على تنفيذ بيان «٣٠» مارس. كما كلفنى بتولى متابعة تنفيذ هذا البيان لكل الوزارات وأنا أعتقد أن هذه المهمة الجديدة ربما قلبت علينا بقية الزملاء من الوزراء . . وآثارت حقدهم فأخذوا يكيلون لى عند عبد الناصر ! . وخاصة مجموعة مراكز القوى . . الذين شعروا بأننى قد جئت عن غير طريقهم . وأننى أتقدم داخل اهتمامات عبد الناصر خطوة وراء الأخرى . . حتى عبد الناصر نفسه قد أعلن ذلك أمامهم فى أكثر من مناسبة . ولقد استخدم هذا التعبير حين أصدر قراره بتعيين أعضاء اللجنة التنفيذية العليا . . فقد فوجئت به أثناء عقد أحد اجتماعات مجلس الوزراء الذى كان يرأسه يقول لى بالحرف الواحد : « شوف يا دكتور حلمى إنك بتقترب منى خطوة خطوة ! » . . وقد قال هذه العبارة لأننى بالفعل كنت قد اقتربت من مكان جلوسه داخل مجلس الوزراء حتى أصبحت أقرب الوزراء إليه .

لذلك أقول لك إن المجموعة الأخرى من الوزراء الذين كانوا معنا وأعضاء اللجنة التنفيذية العليا لم يكونوا يتقبلون هذا الوضع بسهولة .

● **وهل نعتبر هذا التوقيت . . هو بداية الخلاف ؟! .**

●● لا تستطيع أن تقول ذلك . . ولكن هؤلاء قد حاولوا كثيراً الوقيعة بينى وبين عبد الناصر . . سواء بالدس له أو بالقول غير الصحيح . . ولعلى أذكر لك مثالاً واحداً على ذلك . . أن عبد الناصر كان قد سافر فى مرة من المرات إلى الاتحاد السوفيتى السابق للعلاج . . وعندما جاء مرة أخرى واجتمع بنا فى مجلس الوزراء قال لى إن بعض الإخوان قد نقلوا إلىّ أنه طوال مدة غيابى فى الخارج لم يكن للصحف وقتها سوى الحديث عن الدكتور حلمى مراد !! .

ولعلك تستطيع أن تقول إن ذلك كان سر الخلافات . . وهناك سبب آخر قد عمق هذا الخلاف بيننا داخل مجموعة الوزراء . . أننى كنت فى زيارة لإحدى دول الخليج . . فأهدونى مجموعة من التحف . . اعتبرتها وقتها هدايا خاصة بالوزارة . . وليست خاصة بشخصى . لذلك حين عدت إلى القاهرة وضعت هذه الهدايا تحت تصرف الدولة لاستخدامها كيف تشاء وفيها تراه من مصلحة عامة . . هذه الهدايا التى رددتها للدولة استخدموها ضدى !! . وعللوا ذلك بأننى بهذا العمل أرسى مبادىء جديدة . . !! .

● **وهل هناك شخص معين . . كنت ترى فيه القائم أو القائد لهذه الوقيعة بينك وبين عبد الناصر ؟! .**

●● لا أستطيع أن أحدد لك شخصاً بعينه . . حتى الرئيس عبد الناصر قد سألنى نفس سؤالك السابق . . فقلت له إننى لا أستطيع أن أتهم أحداً معيناً . . ولكن الجو العام كله كان له دور كبير فى محاولة الدس . . وخلق أرضية صلبة من أجل التخلص منى . . وعلى ما أذكر يمكن السبب كمان أن عبد الناصر قد صرح أمامهم فى مجلس الوزراء وفى إحدى المرات أننى أمثل جناح المعارضة داخل هذا المجلس . ومن حقى إثارة أى موضوع وليس شرطاً أن يكون فى تخصصى ! .

● **ومتى تفجر هذا الخلاف ؟!**

●● تفجر هذا الخلاف بسبب موضوعين . . الأول أننى كنت قد اعترضت على قانون رجال القضاء الذى كان يُعد آنذاك والذى بسببه تمت ما يسمى بمذبحة القضاء . .

حيث أننى كنت قد علمت بإعداد هذا القانون . . ولما تيقنت من ذلك أرسلت إلى الرئيس عبد الناصر بخطاب شخصى موقع باسمى أحذر فيه من الموافقة على هذا القانون .

والسبب الثانى : يتعلق ببيان ٣٠ مارس وأسباب عدم تنفيذه لدى كل الوزرات . . حيث أعلنت فى أحد الأحاديث الصحفية أن هذا البيان بالفعل لم يتم تنفيذه بالكامل بعد مرور عام على صدوره . وأن أغلب الوزراء مشغولين بتنفيذ سياسة وزراتهم الأمر الذى أخر تنفيذ بنود الميثاق بالكامل . ولقد استغلت مراكز القوى هذا الحديث للتحريض ضدى لدى عبد الناصر . . وقد عبر عبد الناصر بنفسه عن هذه الأسباب فى إحدى جلسات مجلس الوزراء . الأمر الذى جعلنى أكتب إليه خطاباً آخر معبراً فيه عن وجهة نظرى فيما جاء فى هذا الحديث .

وقد تصادف عقد جلسة جديدة لمجلس الوزراء بعد كتابة هذين الخطابين . . وهذه الجلسة قد تفجر خلالها الخلاف وكان على أشده حيث فوجئت بعبد الناصر يؤيد ما جاء على لسان مراكز القوى ضدى . . وبدأ حديثه موجهاً لى قائلاً : بأن الدكتور حلمى بدأ يتعامل معى بالخطابات !! . وأنه بذلك يسجل علىّ مواقف . . فشعرت بأنه قد انحاز إلى ما كانت تنقله إليه المجموعة الأخرى ممن كانوا حوله . حدث ذلك فى جلسة يوليو عام ١٩٦٩ . . وكانت آخر جلسات مجلس الوزراء التى حضرتها . . إذ بعد نهاية الجلسة شعرت بأننى قد لاأعود هنا مرة أخرى وبالفعل حدث ما كنت أتوقعه . رغم أننى حاولت خلال هذه الجلسة أن أوضح وجهة نظرى وأسباب لجوئى إلى كتابة الخطابات الشخصية إليه .

إلا أنه يبدو أن عبد الناصر كان مشحوناً إلى درجة كبيرة مما جعله يترك هذه الجلسة غاضباً . . وحين مر على الكرسى الذى كنت أجلس عليه داخل المجلس . . قال لى بالحرف الواحد : استقالتك التى كنت قد كتبتها من قبل . . قد قُبلت !! . إننى أتذكر جيداً أنها كانت جلسة مشحونة بالانفعالات . فقد حدثت بينى وبين وزير العدل السيد محمد أبو نصير مواجهة بسبب القانون الذى سوف يصدر لمحاربة القضاة . ولما انصرف الوزراء . وانصرفت أنا الآخر . . وقد كانت سيارتى موجودة بمجلس الوزراء بخلاف ما

أُشيع بأننى حين خرجت لم أجد سيارتى . . المهم حين وصلت المنزل . . صرفت السائق. وطلبت منه عدم المجيء إلينا إلا حين أطلب منه ذلك .

وظللت معتكفاً فى منزلى فترة . . أعتقد أنها كانت من يوم الأحد وهو اليوم التالى لعقد الجلسة السابقة حتى يوم الخميس مساء . . حين كانوا ينادون على الجرائد ليلاً . فقرأت فى إحدى هذه الصحف نبأ إقالة أو إعفاء الدكتور حلمى مراد من منصبه . ومن بعدها فوجئت بتليفون من السيد سامى شرف سكرتير الرئيس للمعلومات يخبرنى بنبأ الإقالة ، والإعفاء .

● **وما هى أهم النتائج التى ترتبت على هذا الإعفاء ؟! .**

●● **أولاً** : لم أعد من جديد للحياة الجامعية . . لأننى بدخولى الوزارة فقد خرجت بالتالى من الجامعة . .

ثانياً : أنه قد صدر قانون يمنع الوزراء من ممارسة العمل العام فى الداخل أو فى الخارج لمدة ٥ سنوات .

وبالنسبة للتأثير الذى تركه إعفائى من الوزارة . . فقد حدث فعلاً تأثير واحد . . تمثل وقتها فى أننى كنت قد انتخبت رئيساً لاتحاد الاقتصاديين العرب . وأنه قد تقرر عقد مؤتمر لهذا الاتحاد فى دمشق بعد خروجى من الوزارة . . وكان لا بد من حصولى على تأشيرة خروج . . فطلبت ذلك من وزير الداخلية فى ذلك الوقت السيد شعراوى جمعة . . فأبلغنى أنها من اختصاص السيد رئيس الجمهورية . . ولا بد من موافقته شخصياً . الأمر الذى جعلنى أكتب مذكرة بهذا المعنى للسيد الرئيس ، فلم يرد على رسالتى ، حتى انتهى المؤتمر وبالتالى لم أحضره . وقد اتضح فيما بعد أن هذه الرسالة لم تعرض على السيد الرئيس . . وقد أبلغنى بذلك وقتها محمد حسنين هيكل حين حكيت له على هذا الموقف عندما تقابلنا سوياً فى إحدى الحفلات . وفى مرة أخرى دُعيت إلى مؤتمر بعد هذه الواقعة فى الجزائر . . وكان مؤتمراً عن البترول . . فاتصلت مرة أخرى بالمرحوم شعراوى جمعة . لنفس الغرض السابق . . فطلب منى إرسال مذكرة أخرى إلى عبد الناصر . فرفضت كتابة هذه المذكرة إلى الرئيس مباشرة وفضلت كتابتها لوزير الداخلية كى يعرضها بنفسه على عبد

الناصر . . وبالفعل قام شعراوى جمعة بعرض المذكرة على الرئيس جمال الذى وافق على سفرى ولتعويضى عما حدث بالمرة السابقة . . أمر بإعطائى جواز سفر دبلوماسى . . وهو الذى لا يزال معى حتى الآن . وهـذا موقف طيب من عبد الناصر . . وكأنما كان يصالحنى ولكن على الورق فقط ! .

● معنى ذلك يمكن القول . . بأن الأستاذ الدكتور حلمى مراد يعتبر أول سياسى مؤيد لعبد الناصر . . ينقلب إلى صفوف المعارضة . . فى وقت كانت تخاف فيه الألسنة حتى من التفوه أمام الرئيس ؟

●● حسب ما شاهدت لم يكن هناك مثل حالتى . . بل تقدر تقول إن عبد الناصر نفسه قد أعلن أمام بقية الوزراء أنه قد صرح لى بأن أقف فى خندق المعارضة حتى داخل مجلس الوزراء . وقد قالها بصريح العبارة : الدكتور حلمى مراد بيمثل المعارضة داخل مجلس الوزراء ! . وحين الاستفسار أكثر عن هذا المفهوم . . أكد لى أنه يقصد المعارضة بشكلها المعروف لأننى كنت أعارض من وجهة نظر علمية معينة ! . فلم أكن ضد النظام ولم أكن أفكر فى عمل ضد هذا النظام أو الانقلاب عليه . . لقد كنت أعارض من منطلق المصلحة العامة . . لقد كنت بالفعل قادرا على أن أقول رأيى بكل حرية وبلا خشية . . ولذلك قد سمعت من بعض المقربين إليه أنه لم يشاهد شخصية مثل شخصية الدكتور حلمى مراد !! .

● ودعنى أفسر لك ما أريده أكثر يا دكتور . . هل فى خلال الفترة التى كنتم فيها وزيراً بالقرب من عبد الناصر . . لم تجدوا سياسياً مصرياً فى أى موقع يقف فى مواجهة ضد الرئيس؟! .

●● هذا لم يحدث . . وإن كنت أعتبر ما تقوله شيئا كبيرا . . لذلك دعنى أقول لك شيئا أبسط من ذلك . . إننى لم أسمع أو أشاهد أى وزير من زملائى يعارض أو حتى يناقش أى قرار يتخذه عبد الناصر فى أى مسألة من المسائل التى تعرض علينا !! . بل يمكن أن أتجاوز ذلك وأقول إننى طوال الفترة التى قضيتها وزيراً وأثناء كل اجتماعات مجلس الوزراء لم أكن أسمع صوت أحد منهم . . ولولا أننى كنت أعرف بعضهم بشكل

شخصى لما عرفت بأنهم يحضرون هذه الاجتماعات . والذى يتحدث منهم . . كان يتحدث فى حدود ضيقة للغاية . بل وعلى استحياء ! .

● سيادة الوزير . . لو تركنا فترة حكم عبد الناصر . . وأردنا أن نعيش لحظات أيام حكم الرئيس السادات . . وتساءلنا . . ما هى قصة خلافكم معه ؟! . . ماذا تقولون ؟!

●● فى بداية حكم الرئيس السادات . . كنت قد عُينت بالأمم المتحدة . . مديراً للإدارة المالية العامة ومقرها بيروت بلبنان . وكانت عقبة أمامى نصوص ذلك القانون الذى كان قد أصدره عبد الناصر بخصوص عمل الوزراء فى الخارج . وكان لا يزال سارياً . . وأردت أن أوسط أحد المقربين من ا لسادات من أجل السماح لى بالخروج والعمل فى هذه الوظيفة . . فأبلغنى ذلك الوسيط . . أن الرئيس السادات سيوافق فوراً . . وأنه إن لم يكن لى مثل هذه الوظيفة فى الخارج فسوف يسعى هو ـ أى السادات ـ لتعيينى فى الخارج، حتى يتخلص منى ! .

وبالفعل وافق على اشتغالى فى هذه الوظيفة . . وخرجت من مصر أعمل فى بيروت من عام ١٩٧١ واستمريت هناك حتى عام ١٩٧٥ . . حيث قدمت استقالتى من هناك من أجل التفرغ للعمل السياسى العام . . وأيضاً لترشيح نفسى لمجلس الشعب .

وحتى هذا الوقت لم يكن بينى وبين السادات أى خلاف للدرجة التى منحنى فيها جائزة الدولة التقديرية فى العلوم الاجتماعية . كما كان يدعونى رئيس مجلس الشعب الأسبق محمود أبو وافية لحضور جلسات الاستماع داخل المجلس . . كما كنت كذلك أكتب فى الصحف . .

وفى عام ١٩٧٦ . . نجحت فى الانتخابات البرلمانية . . عضواً بمجلس الشعب . . وكانت هذه أول دورة . . ويمكن ما حدث فى بداياتها كان السبب الرئيسى وراء تفجر الخلاف بيننا . لقد أعلنت اعتراضى على تعيين المهندس سيد مرعى رئيساً لمجلس الشعب . وكانت حجتى فى ذلك أنه صهر الرئيس السادات . ثم جاءت أحداث ١٨ و ١٩ يناير التى كان لى منها موقف معارض خاصة للإجراءات التى صاحبتها . . فقد كنت آنذاك عضواً معارضاً وأنتمى إلى الأعضاء المستقلين الذين كونوا فى ذلك الوقت

جبهة للمعارضة تحت قبة البرلمان . . وكان منهم المستشار ممتاز نصار والدكتور محمود القاضى . .

أما ذروة هذا الخلاف فكانت حين رفضت مع جبهة المعارضة اتفاقية كامب ديفيد مع إسرائيل . ولم يكن أمام السادات من سبيل لإسكات أصوات هذه المعارضة إلا حل مجلس الشعب . . ورغم أنه قد حدث بيننا لقاء لأول وآخر مرة . . حين طلبت مقابلته بعد موقفى من أحداث ١٨ و ١٩ يناير . . فوافق على المقابلة . . ولم تتكرر حتى رحيله . وفى أثناء المقابلة نقلت إليه وجهة نظرى فى أمور كثيرة . وقد أخذ ببعضها .

● وهل حاولتم بعد حل مجلس الشعب أن ترشحوا أنفسكم مرة أخرى لعضوية البرلمان؟! .

●● لم يحدث ذلك لأننى كنت أعرف أننى لن أنجح . . والسبب موقفى من كامب ديفيد . . لذلك لم أحاول مرة أخرى . .

● أين كان موقع الدكتور حلمى مراد داخل الشارع السياسى قبل عودة الأحزاب ؟! .

●● قبل إنشاء الأحزاب . . كنت أؤدى دورى السياسى عن طريق الكتابة فى الصحف . . خاصة صحيفة الأهرام . . فقد طلب منى رئيس تحريرها الأستاذ إحسان عبد القدوس آنذاك أن أكتب مقالات فى هذه الصفحة بشكل دورى . . ولعل مقالاتى هى التى تسببت فى خروج عبد القدوس من صحيفة الأهرام . . وقد كتبت هذه القصة بعد رحيل إحسان فى جريدة الشعب . أما بعد عودة الأحزاب فكنت عضواً بحزب العمل حتى توليت وللآن منصب نائب رئيس الحزب تحت رياسة المهندس إبراهيم شكرى .

● وليسمح لنا الأستاذ الدكتور حلمى مراد أن يحدثنا من خلال السبب الرئيسى وراء إجراء هذا الحوار . . والذى بلورناه فى سؤال يقول : كم مرة دخل فيها الدكتور حلمى السجن؟! .

●● لقد دخلت السجن مرتين . . الأولى فى عام ١٩٥٤ . . أثناء الخلاف بين محمد نجيب وبين جمال عبد الناصر . . ووقتها جرت عدة اعتقالات لمجموعة من الشخصيات المصرية التى كانت تنادى بالديمقراطية وعودتها . . وكنت أنا وقتها أستاذاً بكلية الحقوق

جامعة عين شمس . . وتم اعتقالى فى هذا الوقت . ووجهوا لى الاتهام فى قضية معروفة بقضية « الجبهة الوطنية » . .

هذه القضية التى اعتقلوا فيها أيضاً إحسان عبد القدوس وآخرين بتهمة التآمر لعودة الديمقراطية . أما بالنسبة لى فقد اعتقلوا معى مجموعة من الطلبة آنذاك . . وقالوا إننى كنت أحرض هؤلاء الطلبة على المطالبة بالديمقراطية وقلب نظام الحكم . . وكانت النتيجة أننى قد اعتقلت بالسجن الحربى بمدينة نصر . . وقضيت به ٤٠ يوماً رهن التحقيق فى هذه القضية . . ويبدو أن الله كان معى فى هذا الاعتقال حيث أفادنى كثيراً . . لأنه وقتها بدأوا فى عمل حركة تطهير واسعة بين صفوف أساتذة الجامعات . . فى الوقت الذى كنت فيه معتقلاً . . فنجوت من هذه المذبحة .

هؤلاء الأساتذة الذين فصلوهم من مناصبهم كانت تهمتهم أيضاً المناداة بالديمقراطية عام ١٩٥٤ . والحمد لله حين تم حفظ التحقيق وخرجت من السجن الحربى عدت مرة أخرى إلى موقعى داخل الجامعة . وهناك فائدة أخرى خرجت بها من تجربة السجن هذه . . وهى أننى كنت كثيراً ما أعانى من حساسية فى الصدر . . ويبدو أن جو مدينة نصر الجاف داخل المعتقل كان سبباً فى شفائى من هذه الحساسية !! .

● **وهل أصابكم أى نوع من التعذيب فى فترة الاعتقال هذه ؟! .**

●● لم يحدث . . ولكن كل ما فى الأمر أننا كنا محبوسين فى زنازين منفردة . وكان هناك إساءة معاملة تمثلت فى مضايقات خاصة بقضاء الحاجة وخلافه . . ولكن على أية حال لقد كنت بطريقة حسن التصرف أتغلب كثيراً على مشاكلى داخل معتقل السجن الحربى . أضف إلى ذلك أنه قد صادفنى بعض الشخصيات التى كانت تفهم موقعى كأستاذ جامعى لدرجة أن أحدهم قد ساعدنى لإحضار كتابى الجديد لمراجعة بروفته وأنا داخل المعتقل ! . أما أقسى ما قابلنى داخل هذه الجدران السوداء . . هو لجوء القائمين على الحكم إلى تزوير أدلة الاتهام . ولما اكتشفوا أن التحقيق سيكون فى صالحنا عاملوننا معاملة مختلفة إلى حد ما . فقد سمحوا لنا بالصحف وبالاتصال ببقية المساجين .

وهناك قصة لا بد من أن أرويها وتتعلق بفترة السجن الأولى هذه . . فقد قبضوا على

الأستاذ أحمد حسين فى ذلك الوقت . . وربما تم القبض عليه قبلنا بعدة أشهر . . ولما تم الإفراج عنه طلب مقابلة عبد الناصر ليقول له لقد تم تلفيق هذه القضية لشخص الدكتور حلمى مراد بسبب قرابته لأحمد حسين . .

وهذه كانت حقيقة . . وكان وقتها قد تم الإفراج عن أحمد حسين قبلنا بفترة . . فأراد أن يؤكد لعبد الناصر أن سبب اعتقالى هو صلة المصاهرة بيننا ! . وقد طلب من عبد الناصر شخصياً الإفراج عنى . . إلا أن الأخير قد رفض طلب أحمد حسين بحجة أننى كنت أصرح للطلبة أنه لا صلاح لمصر إلا برحيل عبد الناصر . . وقد شكك أحمد حسين فى هذا القول لأن عبد الناصر كان يعرفنى شخصياً فقد التقيت به مع بداية الثورة . . وكان لنا معه حوار طويل . المهم أخذ أحمد حسين يشكك فى دلائل تلفيق هذه القضية ضدى . . الأمر الذى جعل عبد الناصر يطلب من وزير الداخلية فى ذلك الوقت زكريا محيى الدين . . الإفراج عنى فوراً . . ولقد نجحت وساطة الأستاذ أحمد حسين وبالفعل خرجت من المعتقل إلى منزلى . . كما وعد بذلك عبد الناصر .

أما فى المرة الثانية . . فكانت ضمن اعتقالات سبتمبر عام ١٩٨١ . . وكان سببها الرئيسى هو موقفى المعارض للسادات وخاصة لاتفاقية كامب ديفيد . وأيضاً بسبب سلسلة المقالات النارية التى كنت أكتبها وأتناول فيها أمور الحكم بالنقد والتحليل . . وكان آخرها ذلك المقال الذى كتبته وتعرضت فيه لشخص زوجته جيهان السادات . لقد كان الرئيس السادات ينتظر الوقت المناسب كى يعبر فيه عن ضيقه الشخصى لمعارضتى له. وحتى قبل اعتقالى . . كنت أعرف أن السادات كان يعرض كل مقالاتى على وزير العدل من أجل البحث عن أية إدانة تمكنه منى . . ولكن ذلك لم يحدث ! . ولم أمكنه من ذلك! .

وقد كان ، فكثيراً ما عبر عن ضيقه من مقالاتى فى معظم خطبه السياسية العامة . . وكثيراً ما كان يقول : « دا بيكتب بطريقة ما كانش حد يقدر يمسكه بيها » . . لقد ظل يتابع كل ما أكتب حتى أثار غضبه مقال كتبته بعنوان « الوضع الدستورى لحرم رئيس الجمهورية » فى جريدة الشعب . وقد انتقدت فيه تدخل السيدة جيهان السادات فى شئون الدولة . . فقد كانت تعطى تعليمات وأصبح لها مكتب خاص .

وحين دخلت السجن هذه المرة . . كان معنا طبيب الأسنان الذى كان يعالج السيدة جيهان السادات .

● **قلت مقاطعاً ومتسائلاً : ولماذا سجن هذا الطبيب . . وما اسمه ؟ .**

●● أولاً سجنوا هذا الطبيب لأنه كان يعالج أيضاً المرحوم الدكتور محمد عبد السلام الزيات . والذى كان من رجال السادات . . وكان يلتقى به ومجموعة من السياسيين . وعلى ما أذكر كان اسمه الدكتور « الإبراشى » . . المهم هذا الطبيب حين التقينا سوياً داخل المعتقل . . حكى لى أنه بعد نشر المقال قد سأل السيدة جيهان عن رد فعلها . . فقالت له : لقد قرأته . . وأن زوجى الرئيس قال بالحرف الواحد . . « سوف أسلخ لك جلده » !! المهم دخلنا المعتقل . . وخرجنا منه بعد ثلاثة أشهر . . بعد حادث المنصة . وأثناء الاعتقال الأخير عاملونى والآخرين معاملة سيئة للغاية . . ويكفى أن أقول لك : إننى كنت أنام فوق مرتبة اسفنج كانت تلامس الأرض !! . وما عليك من الأكل وخلافه . ولك أن تتخيل أننى كنت آكل الأرز « بلبيسة » الحذاء !! .

● **ولماذا يسجن رجل السياسة ؟! .**

●● أولاً لمنعه من ممارسة نشاطه السياسى المعارض فى كشف مساوىء الحاكم . . وأيضاً كنوع من التهديد لأى عناصر معارضة أخرى حتى تتفادى نفس المعاملة . .

● **وهل يكون سجن رجل السياسة صفة من صفات الحياة السياسية فى كل دول العالم . . أم أن هذه الصفة قاصرة على نوع معين من هذه الدول ؟! .**

●● دى صفة خاصة بالأنظمة الاستبدادية والديكتاتورية التى لا تقبل الرأى الآخر . أما فى الدول الحضارية التى تؤمن بتعدد الآراء لا بد وأن تفسح المجال للسياسى المعارض كى يعبر عن وجهة نظره . وطبعاً لا تلجأ أبداً إلى سجنه واعتقاله كنوع من العقوبة لمعارضته للحكومة !! . لأن القائمين فى هذه الدول يفهمون أن المعارضة هى صمام الأمن لاستمرارية الحكم . . وأنها كالأنوار الكاشفة التى توضح للحكام الأمور التى يجب علاجها أولاً بأول .

● وهل ترون أن عقوبة السجن من الممكن أن تصيب السياسى المؤيد مثلما تصيب السياسى المعارض ؟! .

●● السياسى المعارض من المفروض أن ينتظر هذه العقوبة . . ولكن السياسى المؤيد فهو كثيراً ما يؤيد إما لمنفعة خاصة أو لتفادى عقوبة السجن . . ولذلك ليس من المنتظر أن تصيب عقوبة السجن السياسى المؤيد . .

● وفى أى مرحلة يمكن للسياسى المؤيد انتظار أن تصيبه هذه العقوبة ؟! .

●● إذا ما خرج هذا السياسى عن الطريق المرسوم له . . أو حين يفشل فى إرضاء السلطة الحاكمة بالطريقة التى تراها . ودعنى أقول لك وبدون ذكر التفاصيل : إن الرئيس عبد الناصر كان ساخطاً على أحد الوزراء لأنه وقف يؤيده ويمتدحه بطريقة لم ترضه . . فقد خان هذا الشخص التعبير . . معنى ذلك أن الحاكم الشمولى لا يريد أن يمتدحه أحد إلا بما يريده هو من ألفاظ تعجبه ويرضى عنها . أو بمعنى آخر لا يريد حتى لألفاظ النفاق أن تكون إلا بما يرضيه . وهذه كارثة !! .

● وهل نستطيع أن نقول إن هناك علاقة بين العمل السياسى وبين عقوبة السجن ؟! .

●● هذه العلاقة لا وجود لها إلا فى حالة وجود الاستبداد وحكم الفرد . . لأنه فى الأصل العمل السياسى لا علاقة له بالسجن . . فالعمل السياسى أساساً عبارة عن تحليل وشرح لتطور الأمور وطرح الأمور البديلة . إذن صاحبه يستحق الشكر وليس السجن . . لأن المعارض ليس معناه أنه ضدك !! . وحتى لو كان ضدك . . فما دام ذلك فى إطار الشرع والقانون وفى إطار الحياة الديمقراطية . . فلا يجب أن يكون السجن هو السبيل . .

● ما هو التعريف القانونى للسجن . . بالنسبة للسياسى أولاً . . ثم للمجرم العادى ثانياً ؟! .

●● فى الأصل أن السياسى طالما كان يعبر عن وجهة نظره دون أن يتضمن هذا التعبير قذفاً أو سباً . . وطالما يقوم على أسس . . فلا بد وأن يكون بعيداً عن عقوبة السجن . كما أن هذه العقوبة لا يجب أن يترك تقديرها للسلطة الحاكمة إنما يجب أن تكون محل تقدير القضاء العادى وليس القضاء الاستثنائى .

ولعلى هنا أضرب لك مثالاً بالعمل الصحفى . . إذ يجب أن يترك الصحفى على حريته فيما يكتب . . ولا يجب أن نسجنه أو نحبسه أو نحد من هذه الحرية فما بالك بالسياسى . . حيث يكون القصد من سجنه مضايقته والحد من نشاطه ومعارضته للنظام الحاكم .

ومن وجهة نظر القانون لا يجوز حبس الصحفى أو السياسى بسبب رأيه إلا فى أحوال حددها القانون ، إنما فى غير ذلك لا يجوز . . وبالنسبة للسياسى . . أعتقد أنه ليس هناك نص صريح يمكن أن يحمى رجل السياسة من الزج به وراء القضبان بسبب آراء أعلنها أو اقترحها . وهذا ما يحتاج إلى نص صريح فى دستور أى دولة لحماية السياسى حتى يتمكن من آداء دوره كما ينبغى دون أن يتعرض لعقوبة السجن . . وللأسف هذا النص غير موجود فى الدستور المصرى . والأمر يختلف اختلافاً كلياً بالنسبة لتعريف عقوبة السجن للمجرم العادى . . ونصوص القانون العام تحدد هذه العقوبة كما تحدد الحالات الخاصة بها . أيضاً ولا بد من مراعاة قاعدة حقوق الإنسان التى تقول : إن الإنسان برىء حتى تثبت إدانته .

● وهل هناك مثل هذه النصوص التى تحمى نشاط رجل السياسة فى الدول الديمقراطية؟! .

●● أعتقد أنهم ليسوا فى حاجة إلى مثل هذه النصوص . لأن النصوص الخاصة بالمواطنين عموماً تعطيهم هذه الحماية . ولكن لدينا وللأسف المواطن العادى معرض للاعتقال . . فما بالك بالسياسى ؟! .

● وما رأيكم فى سجون مصر . . وما هى من وجهة نظركم الوسائل التى يمكن استخدامها لإصلاح هذه السجون ؟! .

●● إن سجون مصر . . هى مراكز لإهدار الكرامة الإنسانية ولتعذيب المتهمين . . ولإفساد المجرمين الجدد . . بحيث يتحولون فيما بعد إلى مجرمين عتاة بدلاً من إصلاحهم! .

ولعلك ترى الآن أن رجل الإرهاب حين يدخل السجن يخرج إرهابياً عنيفاً أقسى مما كان عليه إرهابه قبل الدخول !! . أما السبيل إلى الإصلاح . . يتبلور أولاً فى إبعاد السجون

عن تبعيتها لوزارة الداخلية وتحويل هذه التبعية إلى النيابة العامة التى يجب أن تكون سلطة مستقلة تماماً . . باعتبارها شعبة أصيلة من هيئة القضاء بحيث لا تخضع لوزارة الداخلية أو النظام الحاكم . ومن هنا نجد أن منصب النائب العام يجب أن يحاط بكل الضمانات . مثلاً لا بد من انتخابه من قبل المجلس الأعلى للقضاء ولا يتم تعيينه . وهذا نظراً لخطورة هذا المنصب الذى يتبعه كل وكلاء النيابة العامة فى جميع البلاد . وهذا يجرنا بالطبع للحديث عن المزيد من التعديلات الواجب القيام بها فى هذا الخصوص . ونعتقد أن ذلك ليس مكانه . ويكفى أن أقول لك . . إن النائب العام يتم تعينه من قبل رئيس الجمهورية . . وهو المنصب الوحيد فى سلك القضاء الذى لا يعرض على المجلس الأعلى للقضاء حتى يأخذ رأيه ؟! . وهذا ما يجب ألا يكون . . لأنه من الضرورى أن يكون منصب النائب العام بعيداً عن سلطة الحاكم .

● وماذا فعل حزب العمل الذى تنتمون إليه من أجل إصلاح هذه السجون ؟! .

●● حزب العمل أولاً ينشر عن طريق صحيفته وبصفة مستمرة . كل أنواع الممارسات غير الإنسانية وغير المشروعة التى تتم داخل السجون بغرض العدول عنها . وثانياً يطالب باستمرار بضرورة نقل تبعية هذه السجون إلى وزارة العدل بدلاً من وزارة الداخلية . هذا بجانب أننى أشارك الآن وداخل الحزب فى وضع دستور جديد لمصر يضع ضمانات عديدة لحماية الإنسان المصرى داخل السجن وخارجه . . بوضع السجون تحت تصرف النيابة العامة وإنشاء شرطة قضائية تتولى الإشراف .

● هل نستطيع القول بأن الأستاذ الدكتور حلمى مراد يقبل أن يخرج من المعتقل إلى كرسى الوزارة . . ؟! ولماذا ؟! .

●● طبعاً ذلك يتوقف على أننى قد دخلت السجن لمعارضة حكم قائم . . هذا الحكم قد تم خروجه من الساحة السياسية وجاء نظام حكم آخر يتفق مع مبادئى السياسية التى سجنت من أجلها . وما يحدث عكس ذلك بالنسبة لى ولغيرى من السياسيين لا يكون مقبولاً على الإطلاق . . فكيف أدخل السجن معارضاً . . ثم أخرج منه كمكافأة لى على

تأييده وتعيني وزيراً فى نفس النظام الذى كنت أعارضه . . وهذا نوع من التراجع عن المبادىء السياسية . . خوفاً من عقوبة السجن .

● **وهل هناك نوع من هؤلاء السياسيين الذين يقبلون ذلك الوضع ؟! .**

●● طبعاً فيه . . لأن هؤلاء السياسيين بشر . منهم من يتحمل ويتمسك بمبادئه . . ومنهم من يضعف ولا يتحمل وبالتالى يقبل . وهناك نوع ثالث من هؤلاء وهم الذين يساومون من أول لحظة يتعرضون فيها لأى نوع من أنواع المضايقة . إن منهم ما هو موجود فى أى مهنة التى تضم المنافق والمتمسك بمبادئه . . وخلافه .

● **وما هو رأيكم الشخصى فى مثل هذه النوعية من السياسيين ؟! .**

●● يجب أن نكشف هؤلاء فوراً ونعريهم أمام الرأى العام . . كما يجب أن نهاجمهم ؛ وعلى السياسيين من أصحاب المبادىء أن يشهروا بهؤلاء . . ويرفضوا التعامل معهم داخل الشارع السياسى .

● **هل من اللائق أن ينقطع رجل السياسة عن نشاطه السياسى وهو خلف القضبان؟! أم ماذا ؟! .**

●● ممكن تعيد علينا السؤال مرة أخرى ؟! .

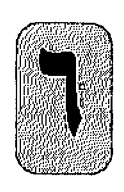
وبالفعل أعدت تلاوة السؤال بنفس ألفاظه . . فأجاب قائلاً . . المفروض ألا ينقطع السياسى عن أفكاره وعن مبادئه وبالتالى عن نشاطه وهو خلف القضبان . . بل بالعكس يعنى يمكن بُعده عن ضغوط المجتمع وعن الحياة الاجتماعية ومشاكلها . . يجعله فى حالة سكون وخلود بحيث يتمكن خلال هذه الحالة أن يعيد حساباته ويعيد التفكير فى ماضيه . . وفيما قدمه من نشاط سياسى . . من أجل تطوير هذا العمل مستقبلاً ومن أجل تقديم المزيد من هذا النشاط حين يخرج من وراء القضبان ويعود للحياة وللشارع السياسى مرة أخرى . إن السجن فى الحقيقة فرصة للتأمل . . وأنا شخصياً قد استفدت كثيراً من فترات الاعتقال السابقة . . ولم تكن أبداً فترات توقف . . أو انقطاع عن النشاط السياسى . . وهل كانت ملائمة لما أنا فيه الآن أم لا ؟! . وذلك من أجل تعديلها أو تطويرها إن أمكن ! .

● معنى ذلك أنكم تعتبرون أن مثل هذه العقوبة لا تكون رادعاً للسياسى . . من أجل تحديد نشاطه والحد من عمله داخل الشارع السياسى ؟! .

●● هذه خصوصية تتوقف على نفسية هذا السياسى ومدى صلابته وإيمانه بالمبادىء التى فى داخله . . وفى حالات كثيرة يزيد السجن من صلابة وعناد وإصرار السياسى على مواصلة نشاطه وليس العكس . وبالتالى لا تكون فى حالات كثيرة نوعاً من الردع . أما إذا كان السياسى ضعيف البنية وغير صلب وفقاً لما بداخله من مبادىء . . هنا يكون السجن رادعاً له للحد من نشاطه وللانسحاب من الحياة السياسية كلها .

❊ ❊ ❊

وكانت هذه آخر كلمات نقلها إليكم شريط التسجيل الذى استمر فى دورانه مدة ساعة ونصف الساعة . . ولولا ضيق الوقت وكثرة ما كتبناه من أوراق بلغت هذا الكم الكبير . . لما كنا قد توقفنا بكم عند هذا الحد . . تماماً كما كان يريد ضيف هذا الحوار الأستاذ الدكتور حلمى مراد . وعلى أية حال لقد رأينا أن ما مر من أسئلة والإجابة كلها . . قد غطت جانباً كبيراً من نشاط هذا السياسى المخضرم الذى يناهز الآن السبعين من عمره . . والذى لا يزال يعطى للشارع السياسى سواء على صفحات صحيفة الحزب الذى ينتمى إليه . . أو داخل المؤتمرات السياسية التى يعقدها من آن لآخر .





●● إبراهيم فرج

عقوبة السجن لرجل السياسة لا تزدهر إلا فى البلاد المتخلفة

هذا السياسى المخضرم . . هو بحق تاريخ يعيش بيننا حياً نابضاً بالحنكة والخبرة . . فهو يحمل فوق أكتافه أكثر من سبعين عاماً من الهموم والأفكار والاطلاع . . وقد حالفه الحظ حتى عاش ورأى بعضها يتحقق . . وعاندته الظروف فأجلت تحقيق الجزء الأكبر من أحلامه حين هربت الديمقراطية من مصرنا الحبيبة ولم تعد مثلما كانت من قبل . . حتى فى أحلك الأيام سواداً حين حاول الاحتلال الانجليزى أن يتلاعب بمصير هذه الأمة سياسياً وعقائدياً . . ولولا هذا السياسى المخضرم ورفاقه ومن ورائهم حزب كبير مثل حزب الوفد لماتت فى قلوب أبناء هذه الأمة كل أحلام المستقبل . . ولاختفت من أبصارهم هالات النور التى لولاها ما رسموا وخططوا من أجل أن تعود الديمقراطية الهاربة فى عالم اللامعقول . . ولولا المزيد من الإيمان بأصالة هذا الشعب وبحبه للحياة والحرية . . لما قويت سواعد هؤلاء السياسين مرة أخرى . . ولماتت فوق شفاههم الكلمات . . بل ربما ضاعت منهم معالم الطريق . . خلف القضبان .

وهذه هى ميزة العمل السياسى . . وإمكانات رجل السياسة المحنك والمؤمن بقضيته . . التى يدافع عنها حتى وهو على فراش الموت .

إن إبراهيم باشا فرج سكرتير عام حزب الوفد الجديد . . والذى يبلغ من العمر الآن تسعين عاماً وعدة أشهر لاتتعدى أصابع اليد الواحدة . مايزال يعيش بيننا وينتج ويفكر ويقول كلمته للشارع السياسى وللتاريخ . . ولم تقعده هذه السن الكبيرة عن العمل . . بل على العكس وكما قال لنا . . لقد زادته الأيام إيماناً بحق هذه الأمة فى الحرية وفى الديمقراطية التى يرى أنها السبيل الوحيد للنهوض والسير قدماً نحو آفاق المستقبل .

ولكم غمرتنا الفرحة حين وافق أن يسجل معنا هذه الكلمات . . ولم يثنه عن ذلك حتى ما ذكرناه فى الورقة التى وضعناها فوق مكتبه وحملت إليه أسئلتنا اللعينة بل بالعكس . . لقد كان ذلك السؤال عن تجربة السجن فى حياته كسياسى . . هو خير بداية لحديث طويل استغرق أكثر من ساعة زمنية . . وأكثر من سبعين عاماً من سنوات العشق والحب للوطن . . وللسياسة وللوحدة الوطنية . .

* * *

وبدون سابق موعد . . دخلت مكتبه الأنيق الذى يحتل جزءاً من قصر البدراوى عاشور القريب من ميدان الدقى ـ مقر حزب الوفد الجديد ـ بعدما انتقلوا إليه وتركوا المنيرة إلى حين . . وكان يجلس معه ضيفاً فاستأذن وانصرف . . بعدها طلب منى الأسئلة . . وعلى الفور بدأنا التسجيل . . فقد كنا على موعد سابق وقد حالت ظروف دون إتمامه ، ومع ذلك لم يمانع فى أن أتحدث إليه الآن .

ولكل من المهتمين بهذه السلسلة من الحوارات أن يتصور ، قبل أن أنقل إليهم ما تصورته أنا . . حين جلست مستعداً لإدارة الشريط . . والمصور من أمامى يسجل هذا اللقاء بعيون الكاميرا . وعيون الرجل المحنك تلاحق كل حركة منا جميعاً . . وكأنما جهاز معقد من أرقى أنواع أجيال الكمبيوتر يرصد كيف تكون البداية . . ؟!

ومن جانبى حين لاحظت قسوة كلمات السؤال الأول الذى يتحدث عن تجربة السجن والاعتقال . . حاولت التخفيف من وقع ألفاظ السؤال على السياسى الكبير إبراهيم باشا فرج . . وكأنما لاحظ رغبتى فى ذلك . . فطلب منى على الفور أن نبدأ الحوار . . حسب

ترتيب الأسئلة الموجودة بالورقة التى أمامه .. ومن أجل الخروج من هذا المأزق لإحداث نوع من التوازن بين ما يطلبه ربما رغماً عنه . . وبين رغبتى فى ألا أبدأ هذا السؤال الصعب مع شخصية سياسية مثله تقلدت منصب الوزارة ثلاث مرات كان آخرها قبل ٢٣ يوليو بأشهر معدودة ، طلبت أن يحدثنا عن بعض ملامح ماضيه السياسى . . وقد كان . . فنجحت حيلتى . . حيث استجاب لما أردت . . وكان ما رواه لى مكسباً كبيراً من الناحية التاريخية أيضاً .

* * *

وحين قرأت هذه الرغبة بداخله . . عرفت أنها ستكون بالفعل خير طريق لبداية هذا الحوار الذى تقول تفاصيل سطوره بعد تفريغ شريط التسجيل :

● نريد أن نعرف من معالى إبراهيم باشا فرج[1] بعض ملامح تاريخه السياسى الطويل . . هلاّ تفضلتم بذلك ؟ . . ونحن نعرف أن هذا التاريخ السياسى المشرف قد ارتبط كثيراً بتجربة السجن والاعتقال .

●● يبدو أن الذى تريد أن تسألنى عن ذكرياتى فيه . . يتصل بالسجن السياسى أو سجن رجال السياسة . . وهو موضوع حقيقة يختص به العالم الثالث فأنت تتحدث محلياً ولايمتد الحديث إلى مبدأ السياسة العامة بالنسبة للعمل فى إطار الخدمة الوطنية فى كل مكان . وأذكرك فى هذا الموضوع بأنه حين أعلنت الحرب العالمية الثانية فى عام ١٩٣٨ . . تجد أن انجلترا التى كانت آنذاك امبراطورية لاتغرب عنها الشمس . . لم يعارضها فى دخول هذه الحرب سوى شخصية سياسية واحدة . . حينذاك اعتقلته السلطات الإنجليزية بمنزله فى بريطانيا وعلى ما أذكر كان اسمه «آوزلى بوسلى» والسبب أنه كان يدين بالمبادىء المحورية التى كانت تنادى بها دول المحور ضد دول الحلفاء . . تصور شخص واحد فقط . . تعتقله بريطانيا أم الديمقراطية فى العالم والسبب تأييده لغير ما تؤمن به بريطانيا . . ولموقفه المؤيد من هتلر . .

---

(١) إنها لن تكون المرة الأولى التى نكرر فيها لفظ «الباشا» . . رغم إلغاء الألقاب رسمياً فى مصر . . ولكننى لاحظت أن هذا اللقب لايزال يتردد بقوة داخل حزب الوفد لشخصيات بعينها . . منهم صاحب هذا الحوار .

أما هنا فى مصر . . فهم يحصدون الساسة حصداً . . كلما جاء عهد جديد ! . فتفضل ببقية الأسئلة ! .

● معالى الباشا . . مازلنا فى رحاب السؤال الأول . . عن دوركم السياسى فى التاريخ المصرى المعاصر . . فهل نطمع فى توضيح بعض ملامح هذا الدور ؟! .

●● لقد دخلت العمل السياسى منذ كنت طالباً بمدرسة الحقوق عام ١٩٢٠ يعنى . . لقد عايشت الحركة الوطنية منذ بدايتها . . واتصلت بالنحاس باشا وهو بلدياتى . . فأنا وهو من مدينة «سمنود» غربية . . وهو بخلاف ذلك ولى أمرى داخل المدرسة العليا ـ ولم تكن قد أنشئت الجامعات من قبل . وكانت تسمى آنذاك «مدرسة الحقوق السلطانية» . . ثم الملكية بعد عام ١٩٢٢ . . ولما تخرجت عام ١٩٢٥ من مدرسة الحقوق الملكية . . التحقت بالعمل فى مكتب النحاس باشا كمحام . . وظللت معه فى المحاماة إلى أن ترك المحاماة بعد أن تولى رياسة حزب الوفد فى سبتمبر عام ١٩٢٧ . . ولقد ظللت بمكتبه من بعده عدة أشهر . . حتى صفيت المكتب ونقلت كل ما به من قضايا إلى محامين آخرين وطبعاً بعد الاتفاق مع العملاء .

وكانت وجهة نظر النحاس باشا فى ذلك وخاصة بشأن تصفية عمله فى المحاماه . . أنه مادام قد أصبح زعيماً للوفد . . فقد أصبح محامياً لكل الأمة . ولايجوز له فى هذه الحالة أن يكون محامياً عن أفراد .

وحين تولى النحاس باشا رئاسة الوزارة لأول مرة فى ١٧ مارس ١٩٢٨ اختارنى سكرتيراً خاصاً له داخل مجلس الوزراء . وظللت أتنقل معه خارج أو داخل الوزارة . إلى أن اختارنى وزيراً معه فى وزارته الأخيرة عام ١٩٥٠ . . حيث كنت وزيراً للشئون البلدية والقروية . . ووزيراً لشئون السودان . .

بخلاف ذلك كنت أتناوب منصب وزارة الخارجية مع زميلى المرحوم محمد صلاح الدين الذى كان يقضى نصف السنة فى الخارج والنصف الآخر فى مصر . . وحين غيابه كنت بالفعل وزيراً للخارجية فى مصر . وظللت كذلك إلى أن أقيلت الوزارة على إثر حريق

القاهرة فتحولت إلى الارتباط من جديد بالنحاس باشا . . حتى قامت حركة ٢٣ يوليو [٢]:

● ولعلنا اقتربنا كثيراً من أن نبدأ معكم الحوار بترتيب الأسئلة الموجودة أمامكم حيث تقول كلمات السؤال الأول . . كم مرة دخلتم فيها السجن ؟! .

●● أنا دخلت السجن يا سيدى ٤ مرات !! . وكلها بعد الثورة . المرة الأولى حكم علينا بالسجن من محكمة الثورة فى سبتمبر عام ١٩٥٣، وكان الحكم بالأشغال الشاقة المؤبدة ! . وبعد ذلك بقيت فى السجن ثلاث سنوات حيث أفرج عنى صحياً عام ١٩٥٦ . . ثم اعتقلت مرة ثانية ، وفى نفس العام بعد الإفراج عنى بعدة أشهر حتى عام ١٩٥٧ . . وقد مكثت شهوراً داخل المعتقل . . وخرجت أيضاً بإفراج صحى فى صيف نفس العام .

ثم المرة الثالثة . . كانت عام ١٩٦١ عقب انفصال سوريا عن مصر وبعد إلغاء أمر الإفراج الصحى !! . وبقيت داخل المعتقل لمدة عام حتى أفرجوا عنا فى عام ١٩٦٢ . . أما المرة الرابعة والأخيرة فكانت بعد هزيمة عام ١٩٦٧ حيث قبضوا علينا ودخلنا السجن . وأعتقد أن هذه كانت أقصر المرات . . فلم نمكث بالسجن سوى عدة أيام . . ثم أفرجوا عنا .

● ولماذا كانوا يقبضون عليكم فى كل مرة ؟!

●● أساس التهمة عام ١٩٥٣ وأصدر الحكم بشأنها ضباط محكمة الثورة . . هو العمل على حرمان النحاس باشا من أنصاره المقربين . . والعمل على هدم كيان حزب الوفد بالقبض على زعمائه ورجاله . لذلك تجدهم فى أول الأمر قبضوا على فؤاد سراج الدين وابراهيم فرج . . وعلى فكرة ، لقد ظللنا معاً داخل الجدران العالية متلازمين طيلة الأعوام الثلاثة التى قضيناها هناك .

● ولماذا رأت حكومة الثورة أن تكونا متلازمين أنت وفؤاد سراج الدين . . حتى خلف القضبان ؟ .

---

(٢) انقلاب ٢٣ يوليو [على حد قوله !!] .

●● السبب أننا كنا أقرب الشخصيات السياسية داخل حزب الوفد من النحاس باشا. لذلك عندما يتم اعتقال فؤاد باشا كنت على الفور أتبعه إلى السجن فى التو والساعة . . !!

● وهل كنتم تتصلون بتوءمكم السياسى «إن جاز هذا التعبير» فؤاد سراج الدين . . خلف القضبان ؟! .

●● فى الفترة الأولى التى حكيت لك عنها ، وبعد الحكم فى هذه القضية نقلونى من سجن الأجانب إلى سجن مصر حيث كان يسجن فؤاد سراج الدين . وظللنا معاً حتى أفرجوا عنا إفراجاً صحياً . أما المرة الثانية والثالثة فقد قبضوا علينا ونقلونا معاً إلى سجن القناطر . . وكان أسوأ سجن انتقلنا إليه .

● وهل مازلتم تتذكرون عدد السجون التى انتقلتم إليها خلال فترات الاعتقال المختلفة؟!

●● أنا شخصياً مررت بجميع سجون مصر فيما عدا السجن الحربى الذى سجن به فؤاد سراج الدين .

● ما هى التهم . . فى المرات الأخرى ؟!

●● بطبيعة الحال . . كنا لانعرف التهم التى من أجلها نعتقل . . ولكننا فى الغالب كنا نعرف أنها بسبب نشاطنا السياسى قبل حركة ٢٣ يوليو . . مع أن هذا النشاط لم يكن يسىء للبلد . . بل بالعكس . . وربما يكون السبب فى تصورنا هو دورنا المشرف وطنياً داخل حزب الوفد . .

● وليسمح لنا معالى إبراهيم باشا أن ندخل فى صلب الأسئلة السياسية والمتعلقة أيضاً بتجربة السجن ـ ولكننى أحب هنا أن أسجل نقطة متعلقة بتحفظ الساسة الذين أجريت معه من قبلكم حواراتى. فهل هناك بالفعل علاقة بين العمل السياسى وبين عقوبة السجن ؟! .

●● لقد قلت لك فى مستهل حديثى أن هذا الأمر مقصور فقط على العالم الثالث . .

فهى صلة مرتبطة بالتخلف فى هذه البلدان . . وبشكل عام لا توجد هناك صلة بين السياسى وبين هذه العقوبة الملعونة . . لأن الحرية هى الحرية . . والسياسة هى السياسة . . والديمقراطية تعنى تعدد الآراء وتداول الحكم .

إن وجود الحزب هو فى الأساس من أجل الوصول إلى كرسى الحكم . . وهذا طبيعى . وليس كما يظنون ويشيعون بأن السعى إلى الحكم يكون جريمة . وخيانة وطنية . . بالعكس . . هذا عمل وطنى فى الصميم وهذا تطور سياسى مجيد . . لأنه لايمكن أن تزدهر الحضارة وتتقدم الأمم إلا بتداول الحكم وباختلاف الآراء ، واختلاف البرامج السياسية . فأنا أساساً أشترك بعملى السياسى فى حزب كما أصل من خلاله إلى الحكم . ولكى أنفذ البرنامج السياسى الذى ارتضته الأمة لصالح البلد . . وهذا للأسف غير مفهوم فى العالم الثالث . . لأن هذا العالم . . يتصف بالشمولية . . وحكم الفرد الواحد .

هذا الفرد يظن أنه الملهم وحده . . وأنه مبعوث العناية الإلهية فى وطنه . . وتلك أخطر كارثة تواجه شعوب العالم الثالث . وثق أننا لايمكن أن نصل مرة أخرى إلى المفهوم الديمقراطى الصحيح ونتخلص من هذا الداء القبيح إلا اذا اجتمع زعماء هذه الأمة على أنهم مدينون لهذا الوطن بحياتهم وأن يجتمعوا يداً واحدة من أجل سيادة الديمقراطية الحقيقية وفقاً لمبدأ الأحزاب القائم الآن . والعمل على تداول الحكم فيما بينها بالإضافة إلى تربيتهم للشعب تربية سياسية . . حتى يستطيع أن يختار من هو أهل لمن يخدمه .

● إذن المسألة فى هذا الجانب . . مرتبطة بالتربية العامة للشباب . . وبالإحساس العام . . فهل هذا صحيح ؟!

●● هذا جانب . . وما أحب أن أؤكد عليه من جديد . . أنه لا علاقة بين العمل السياسى وبين عقوبة السجن . إلا فى البلاد المتخلفة ، وبلاد الحكم الشمولى الذى يظن فيه الحاكم أنه صاحب الرأى الأول الصائب . . وأن ما دونه على خطأ . وألا يتعود الناس أن رغبة الآخرين فى الوصول إلى الحكم ـ جريمة ـ وتصور حتى هذه اللحظة . . يقولون إن الوفد يريد أن يصل إلى الحكم ؟! . وأننى أتساءل . . وهل فى ذلك جريمة ؟! . . إنها الديمقراطية الصحيحة . وهل يرى هؤلاء أن غيرهم من السياسيين داخل الساحة

السياسية يطلبون مثلاً الوصول إلى السجن ؟! . . أليس فى ذلك منتهى العجب ؟!

● وهل عقوبة السجن ترتبط بحياة السياسى المعارض فقط . . أم من الممكن أن تصيب كذلك السياسى المؤيد ؟! .

●● من الممكن أن تصيب السياسى المؤيد إذا رأى الحاكم الفرد أنه قد خرج عليه أو أن هناك مؤامرة أو دسيسة قد أوقعت بينهما وهنا تكمن خطورة الحاكم الفرد . . باعتباره خطرا يهدد كل الناس . . فهو خطر عام لاينجو منه . . فمهما أوتى من حكمة ومن بصيرة ومن عقل ومن نوايا حسنة . . فثق حتى ولو كان ملاكاً منزلاً من السماء . . فإن هذا الملاك سوف يفسده الحكم الشمولى وينتهى به إلى أن يتحول إلى شيطان رجيم . . وهذه تجربة ليس فيها استثناء واحد . .

● هل ترى أن يكون وزير الداخلية من رجال الشرطة . . أم من الطبيعى أن يكون رجلاً سياسياً ؟! .

●● رأيى أنه يجب أن يكون من رجال السياسة . . وليس من رجال الشرطة ولعلك تعلم أنه فى الدستور الأمريكى حتى وزير الدفاع . . هو منصب سياسى . . وليس منصباً فنياً . . بمعنى أنه لايجب أن يكون من رجال العسكرية . . بل لابد وأن يكون مدنياً . . وهذه كلمة سياسية عظيمة . . لأن رجل السياسة يستطيع أن ينفذ سياسة وبرنامج الحزب . . أما الجانب الفنى فى أى مجال من مجالات الحياة بخلاف البوليس والشرطة فله رجاله . . يقومون بالسهر عليه فى ضوء سياسة الحزب الحاكم التى ينفذها الوزير السياسى . . وهذه تكون فرصة طيبة للفنيين فى أى وزارة كى يمارسوا أعمالهم فى حرية لخدمة الناس ، تحت رعاية الوزير السياسى .

● إذن لابد وأن يكون منصباً سياسياً ؟

●● بالفعل لابد وأن يكون كذلك . ولدينا مثل على ذلك . . هو أن أعظم عهد لوزارة الداخلية ولمكاسبها . . كان أيام الرجل السياسى . . فؤاد سراج الدين وبشهادة الجميع . .

● ماذا يفعل السياسى إبراهيم فرج . . حين يخرج من خلف القضبان . . إلى كرسى الوزارة ؟! .

●● أولاً : أن هذا لم يحدث بالنسبة لى . . ولكن إذا حدث ذلك فإن معناه . . ، أن الديمقراطية قد عادت . . وأن الحرية قد بدأت ترفرف على مصر . . وأن حزب الوفد قد تمكن من العودة مرة أخرى إلى الحكم . . وعلى فكرة هذا لن يحدث إلا فى حالة واحدة فقط وهى أن الشارع المصرى قد ازداد وعيه السياسى . . وأصبح قادراً على الاختيار . . لأننى حين أعود إلى الوزارة فسوف أعود من خلال حزب الوفد دون غيره .

● وهل من الممكن القول . . بأن عقوبة السجن للسياسى إبراهيم فرج قد أثرت على آدائه الوظيفى فيما يتعلق بنشاطه السياسى ؟! .

●● هذه العقوبة لم تؤثر أبداً . . لأن السجن لايكون فى هذه الحالة . . مجرد عقوبة . . بل مسألة انتقامية وعملية ثأرية بين الحاكم الفرد وبين الرجل الديمقراطى الحر الذى ينتمى إلى حزب . . ويصر على ارتباطه بهذا الحزب . . حتى ولو كلفه ذلك السجن ! . . وبشكل عام فإن السجن بالنسبة لى كسياسى لم أعتبرها عقوبة . . بل بالعكس كانت تعطينى تدريباً نفسياً وبدنياً وتجعلنى أكثر قوة عن ذى قبل ، وأكثر من ذلك تؤصل بداخلى احترام الحرية وتقديس الديمقراطية .

● وهل توقعتم أثناء عملكم السياسى الطويل . . أن يزج بكم فى السجن سواء قبل ٢٣ يوليو أو بعده ؟!

●● إننى توقعت ذلك فقط بعد حدوث الثورة . فقد بينت الدلالات التى شاهدناها أنهم فى طريقهم للحكم الشمولى ـ وأن الديمقراطية التى كانوا ينادون بها ـ اكتشفنا أنها ديمقراطية وهمية المقصود بها تخدير الشعب . . ولعلنى أتذكر تلك العبارات التى بدأوا فى ترويجها آنذاك . . مثال ذلك ما طلبوه منا من أن نطهر أنفسنا ! . ثم لجنة الدستور ، وإجراءات أخرى كثيرة عرفنا منها المصير الذى ينتظرنا كسياسيين .

وعلى ذكر حكاية الأحزاب وسبب إلغائها دعنى أحكى لك . . لماذا ألغى ضباط الثورة هذه الأحزاب فى ١٦ يناير ١٩٥٣ . . لقد كنا فى ذلك الحين نترافع أمام محاكم مجلس

الدولة بخصوص القانون الذى أصدره سليمان حافظ فى عام ١٩٥٢ لتنظيم الأحزاب . وقد أعطى لنفسه الحق بموجب هذا القانون فى أن يعترض على من يرى أنه غير صالح لعضوية هذا الحزب ! . والغريب فى الأمر أنه قد اعترض على رئاسة النحاس باشا لحزب الوفد وعلى عضوية عبد الفتاح باشا الطويل كعضو فى الحزب أيضاً ! . وذلك لأنهما ملوثين فى نظره! . وطبعاً كان السبب الحقيقى مجموعة رواسب قديمة فيما بينه وبين عبد الفتاح الطويل أيام وجودهما فى الاسكندرية . . وهى المدينة التى أتيا منها .

إذن كانت هذه العملية فى الأصل عملية انتقامية ! . لذلك رفعنا دعوة أمام مجلس الدولة معترضين على نصوص هذا القانون . . وشارك معنا فى الدفاع عن هذه القضية محامون كبار . . إيماناً منهم بعدالة ما نراه . ونظراً لما قدمناه من دفوع حقيقية كادت المحكمة أن تأخذ برأينا وترفض رأى الحكومة . . لذلك أجلت النطق بالحكم إلى آخر يناير عام ١٩٥٣ . .

وفى ١٦ يناير عام ٥٣ . . أصدرت الثورة قرارها بحل الأحزاب ! . فقد شعروا أن الأحزاب لابد قادمة من جديد وبقوة . . خاصة وأن الجماهير كانت تتابع هذه القضية . . وكانت تحرص على حضور هذه الجلسات داخل مجلس الدولة .

إن رجال الثورة حين شعروا باتجاه المحكمة لتأييد وجهة نظرنا فى إلغاء قانون الأحزاب الذى وضعته الحكومة . . لذلك أقبلت على هذه الخطوة . وبعد ذلك بقليل اعتقلوا فؤاد سراج الدين ثم عقدوا لنا محكمة الثورة . . وقدمونى لمحكمة الثورة مع فؤاد سراج الدين . وبهذه المناسبة دعنى أحكى لك واقعة ترتبط بهذه المحاكمة وبأسبابها .

● تفضل . . ياريت . .

●● حدث فى يونيو عام ١٩٥٣ أن نهرو قد قرر زيارة مصر . . وقبل أن يقوم بهذه الزيارة ، أرسل إلى سفيره بالقاهرة بضرورة أن يقابل مصطفى النحاس باشا . وهو السياسى «سردار بنى كار» أحد السياسيين الهنود العظماء فى مصر فى ذلك الوقت . فقد كنت أعرف هذا السياسى من قبل وأنا فى منصب وزير الخارجية . . ولذلك أرسل إلينا

برقية تحمل رغبة «جواهر لال نهرو» فى مقابلة زعيم الحزب مصطفى النحاس باشا أثناء زيارته القادمة لمصر . . وطلب منى تحديد موعد لهذه الزيارة .

هذه الواقعة حدثت بعد صدور قانون حل الأحزاب . تقريباً بعد نصف عام . . وعلى الفور نقلت هذه الرغبة إلى النحاس باشا الذى اعتذر عن إتمام المقابلة . . عارف ليه ؟! حتى لا يسبب أى حرج لرجال الثورة . فليس هناك داع لهذه الزيارة وأبلغنى أن أشكر السفير الهندى . . وبالفعل قابلت سفير الهند وأبلغته اعتذار النحاس باشا . . وشكره لرئيس وزراء الهند . . وأوضحت له أن السبب مرتبط بعدم إحراج حكومة الهند مع ضباط الثورة . حيث تمر مصر الآن بظروف استثنائية .

ولم يمض على هذا الاعتذار سوى ثمانية وأربعين ساعة فإذا بالسفير الهندى يبحث عن مكتبى الذى افتتحته للعمل بالمحاماة فى ميدان سليمان باشا عن طريق أحد الصحفيين وعلى ما أذكر كان اسمه «قاسم جودة» . . أو أحمد قاسم جودة . . وكان يعمل آنذاك فى إدارة العلاقات العامة بسفارة الهند بالقاهرة . . وقد حمله السفير الهندى رسالة خاصة لى . . وكنت على علاقة بهذا الصحفى وأعرفه شخصياً . . المهم جاءنى إلى المكتب حاملاً رسالة شخصية من السفير الهندى . . فإذا بالرسالة تحوى برقية من نهرو يعتذر فيها عن إتمام زيارته لمصر إذا لم يقابل النحاس باشا ! . ويرجو إبلاغ النحاس باشا بذلك .

وعلى ذلك أخذت البرقية وتوجهت إلى منزل النحاس باشا كى أقنعه بإتمام هذه المقابلة . . وإلا بالفعل سيلغى نهرو زيارته لمصر . . عندئذ سوف يقولون إننا السبب ! . واقتنع النحاس باشا بوجهة نظرى . . وحدد له بالفعل يوم الخميس لمقابلته فى منزله الموجود الآن أمام منزل فؤاد سراج الدين . . هذا المنزل الذى يوجد به الآن مقر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . وطلب منى أن أكون فى استقبال رئيس وزراء الهند حين يصل إلى القاهرة . وبالفعل حدث ذلك وظللت ملازماً للضيف حتى مقر إقامته بأحد فنادق وسط القاهرة .

وفى يوم الخميس الذى حدده النحاس باشا . . جاء نهرو ويصحبه السفير الهندى بالقاهرة . . وكنت أنا رابعهم .

وقد اتضح من الحديث . . أن النحاس باشا كان صديقاً شخصياً لوالد نهرو . . زعيم

حزب المؤتمر الهندى . . ودار الحديث فى هذه المقابلة وكان أغلبه عن ذكريات النحاس باشا مع والد نهرو . . وكنت أنا أترجم للنحاس من اللغة الإنجليزية حيث لم يكن ملماً بها .

ومن بين ما قاله نهرو للنحاس باشا فى هذه المقابلة ـ ولعله كان أحد أسباب محاكمتنا أمام محكمة الثورة ـ أرجوك أن تنصح أصدقاءك من رجال الثورة بعدم العبث بالديمقراطية . . وأن استمرار الحريات هو خير ضمان بقائهم قبل أن يكون ضماناً لغيرهم .

المهم انتهت المقابلة . . وبعدما سافر نهرو حاكمونا أمام محكمة الثورة . ودعنى أؤكد لك . . أن هذه الزيارة كانت من أسباب محاكمتنا . . لأنهم سألوننى عنها فى المحكمة . . لقد كان من بين الأسئلة والتهم التى وجهت إلىّ . . أننى كنت أدافع عن الحريات تحت ستار الشيوعية ، أو أننى أدافع عن الشيوعية تحت ستار الحريات . . والسبب على ما أعتقد أننى كمحام كنت أترافع عن بعض اليسارين فى مصر وعلى ما أذكر كان منهم رجل يدعى «عبد المحسن حموده» . . لذلك قالوا إننى يسارى . . تصور !! كانت التهمة الأولى أننى يسارى . . أما التهمة الثانية والتهمة الحقيقية أننى اتصلت بدولة أجنبية . . وعارف مين الدولة دى . . كانت الهند ! وكنت حتى فترة طويلة أثناء المحاكمة لم أكن أعرف أنها الهند . . فقد قالوا لنا . . إنها دولة أجنبية وبس . . وأخيراً عرفت أن المقصود . . هو زيارة نهرو للنحاس باشا . . وكان وقتها المدعى العام هو زكريا محيى الدين . . أما أعضاء المحكمة فكان منهم أنور السادات . الذى حين سألته عن حكاية الاتصال بالدولة الأجنبية هذه . . قال لى بالحرف الواحد : إن رجال السفارة البريطانية ورجال الجيش الانجليزى كانوا مجتمعين فى مدينة فايد فى مؤتمر . . وكانوا يتحدثون عن السياسة المصرية . . وفى هذا المؤتمر جاء ذكر اسمك ! . فرددت عليه . . أرجوك أن تذكر ما قلته . . لقد لعنت أبوهم ! . وعلى فكرة ربما تكون أنت الذى أرسلت جاسوساً علينا فى هذا المؤتمر . . وربما أيضاً يكون الشخص الذى بعثته لايعرف الإنجليزية ! . فصرخ من هذه العبارة وطلب من المحكمة حمايته من لسان إبراهيم فرج ! .

وحين أراد السادات كعضو فى المحكمة أن يهدىء من الموقف . . قال لى : إنت مش

قابلت نهرو !؟ . وعلى فكرة المحكمة كان يرأسها عبد اللطيف بغدادى . . وعضوية السادات وحسن إبراهيم . . المهم وكان أكثرهم تحفظاً فى الحديث هو البغدادى . ولما سمع حسن إبراهيم عبارة السادات الأخيرة . . أضاف بقوله : وكمان شتمتونا فى المقابلة دى !. وهذا بالطبع كان غير صحيح بالمرة . . وربما نُقل إليهم الحديث على سبيل الخطأ . . وتساءلت : كيف يطعن رئيس وزراء سابق ووزير خارجية مصر . . فى بلدهما . . ؟!

ونسيت أن أحكى لك . . إن اللقاء الذى تم بين النحاس باشا وبين نهرو كان يوم إعلان الجمهورية . . وفى هذا اللقاء . . أمرنى النحاس باشا أن أقول له بالانجليزية ما معناه « إننى سعيد لأننى قد عشت حتى رأيت مصر جمهورية !! . . وهذا صحيح لأنه كان من المعروف أن الملك فؤاد ومن بعده كان ابنه الملك فاروق يتهمان الوفد بأنه ضد الملكية .

● نريد أن نعرف من ابراهيم باشا فرج . . ماهو تعريف السجن من وجهة نظره كرجل سياسى بالنسبة لرجل السياسة ؟!

●● السجن فى نظرى رداً على سؤالك هو فى الواقع ازدراء . . وتعذيب وتحقير . ولكننا نتغلب على هذه المساوىء كسياسيين بقوة العزم . . والصبر . . باعتبار أن هذه العقوبة جزء من تجارب لابد وأن تصاحب رحلة رجل السياسة فى حياته العملية .

ولا أنكر أنها تعتبر بالنسبة لكثير من السياسيين ميزة . . وكانت هكذا بالفعل بالنسبة لى . . وهذه الميزة ارتبطت بحب القراءة والاطلاع . . والغريب هنا أنه لايجوز لك كسجين أن تقرأ أى كتاب إلا بعد أن يوافق عليه ضابط السجن ! .

ولقد كانت لى شخصياً علاقات متنوعة ومتعددة بالكثير من سفارات دول العالم بحكم عملى كوزير للخارجية . سفارة الهند . . التى زودتنى بهدايا من الكتب من الهند وتاريخه . ولعلك تتعجب حين تعلم كيف كنت أهرب هذه الكتب . . فقد كان هناك قدر من التعاطف بينى وبين بعض ضباط السجن . . بجانب أن الأغلبية من هؤلاء كانوا أشبه بأميين خاصة فيما يخص اللغة الأجنبية . وعلى فكرة جميع هذه الكتب مازالت موجودة عندى وعليها ختم إجازتها من إدارة السجن !! .

● بالمناسبة . هل نطمع فى الحصول على بعض المتعلقات الخاصة بكم أثناء تواجدكم فى السجن ؟!

●● لديك صورة . . تضمنى أنا وفؤاد سراج الدين . . بملابس السجن . . كفاية (٣)

● أقصد غير هذه الصورة . .

●● أحاول أن أبحث لك عن غيرها . ولكن دعنى أعود لاستكمال الجواب على سؤالك الخاص بتعريف السجن . . لقد كانت فترة قضاء العقوبة فترة نافعة ومفيدة . . خاصة حينما انضم إلينا فؤاد باشا الذى ساهم هو الآخر فى إثراء عملية القراءة بما لديه من مطبوعات لا أعرف حتى هذه اللحظة كيف كان يحصل عليها . إننى مدين لفترة السجن بما لدى من معلومات فى شتى فروع المعرفة .

● نريد أن نعرف من معاليكم . . علاقتكم سياسياً وشخصياً بكل من محمد نجيب وعبد الناصر . . والسادات ؟ . .

●● أولاً . . قابلت محمد نجيب عام ١٩٥٢ . . عن طريق آل أبو الفتح الذين كانوا يسعون إلى إجراء مصالحات بين الثورة وبين رجال حزب الوفد . . فقد أبلغونا . . أن الضباط مستعدون أن يتعاونوا معكم بشرط قيامكم بزيارة تأييد لهم فى مقر رئاسة الوزراء . . ووافق النحاس باشا على إتمام هذه الزيارة بشرط أن تفرج الثورة عن كل المعتقلين السياسيين . . خاصة من رجال حزب الوفد . وتم التداول فى هذا الأمر . . وكان الوسيط هو أحمد أبو الفتح الذى اتصل بنا فيما بعد وأبلغنا أن محمد نجيب موجود الآن فى بيته على عشاء عمل وكان معه عبد الناصر . . واتفق معه على تنفيذ هذين الأمرين . . فيما يخص الإفراج عن المعتقلين وقيامنا بزيارته فى مجلس الوزراء . لذلك تأكدت من «أبو الفتح» من صحة الخبر الخاص بالمعتقلين حتى يتسنى لنا إبلاغ عائلاتهم . . خشية أن يتراجعوا . .

وفى الصباح الباكر أبلغت النحاس باشا بالأمر وقد أيدنى فى إبلاغ أسر المعتقلين بهذا

(٣) الصورة موجودة فى آخر الكتاب مع غيرها من الصور .

الخبر . ولما التزموا بها وعدونا به . . توجهنا صباحاً إلى مجلس الوزراء أنا والنحاس باشا للاجتماع مع اللواء نجيب وفى هذا اللقاء . . تحدث معه النحاس باشا فى أمرين : الأول تكذيب رواية على ماهر فيما يخص موقف حزب الوفد من تعيين رجل عسكرى فى مجلس الوصاية . . أما الأمر الثانى فهو : أن تحذروا إلغاء الأحزاب . . وأرجو أن تفهموا أن هذا التحذير ليس مرتبطاً بشخصى كرئيس لحزب الوفد . . بل أقوله من واقع مسئوليتى الوطنية تجاه هذه الأمة .

● وهل حضر هذا الاجتماع ضباط آخرون من رجال الثورة ؟! .

●● على ما أتذكر حضره عبد اللطيف البغدادى ، وعبد الحكيم عامر وأظن حسن ابراهيم ، ولم يحضره عبد الناصر . . وبعد هذه الزيارة بيومين وعدونا برد الزيارة . . وبالفعل توجه وفد من رجال الثورة برئاسة محمد نجيب وعضوية عبد الناصر وآخرين إلى بيت النحاس باشا . . وقد ضم هذا اللقاء من رجال الوفد غير النحاس باشا أنا وعبد الفتاح الطويل .

هذا بالنسبة لمحمد نجيب . . أما عبد الناصر . . فلم ألتق به لقاءات شخصية . . وكل ما هنالك أنه كان يحضر اجتماعات نجيب مع رجال الوفد . . كما حكيت من قبل .

● . . والسادات يا فندم . . كم مرة قابلته ؟! .

●● قابلت السادات أثناء محاكمتى أمام محكمة الثورة . . وكان وقتها عضو هذه المحكمة . . وأظننى حكيت عن هذه الواقعة من قبل . ولم أقابله بعد ذلك .

● هل ترون أن يكون من اللائق . . أن يتم اعتقال رجل السياسة فى سجون المجرمين والقتلة واللصوص ؟! .

●● يا مولانا . . . . إن اعتقال السياسى ينبغى أن يلغى من قاموس السياسة تماماً . . أما إذا كان ولابد من إبعاد السياسى عن عمله السياسى . . فهناك وسائل أخرى وأماكن محترمة غير اعتقاله فى الأماكن التى ذكرتها . . هناك تحديد إقامته فى منزله . . هناك سجون خاصة تليق بحياة السياسى وتاريخه الطويل فى خدمة وطنه . . بشرط أن يتوافر فى هذه

الأماكن احترام آدمية هذا السياسى . . وهنا لانطلق عليه سجنا أبداً . لأن الهدف ليس العقاب . . وإنما الإبعاد .

● وهل هناك فروق واضحة بين اعتقال السياسى . . واعتقال المفكر ؟!

●● ليست هناك فروق فى الحالتين . لأنه ما دمنا لا نوصى باعتقال السياسى . . فأيضاً لايجب اعتقال المفكر . . لأننى أرى ضرورة أن يتمتع المفكر باستقلال تام فيما يراه من آراء وأفكار . . ويجب أن ينال مايناله السياسى من حريات . . لأن الفكر أنواع . . والسياسة تدخل ضمن هذه الأنواع . . فلا يجوز مطلقا الحجر على المفكر بتقييد حريته وسجنه . . مادام يدعو من خلال آرائه السلمية لصالح الأمة . . ويجب فى هذه الحالة أن يكون الحكم فى نهاية الأمر على مستوى هذا المفكر ودوره . . للأمة . . تماماً كما يجب أن يكون لها أيضاً الحرية فى تحديد الحزب السياسى الذى من حقه أن يتولى قيادته .

● نرجو أن تسمح لنا . . كى نعود بكم إلى الوراء . . حين كنتم داخل السجن . ونسأل . . ماهى أهم الشخصيات السياسية أو الفكرية أو الشخصيات العامة التى تعرفتم عليها خلف القضبان ؟! .

●● آه . . تقابلت خلف القضبان مع إبراهيم عبد الهادى رحمة الله عليه . . والدكتور النقيب باشا . . وأيضاً مع سرى عامر . . وكريم ثابت . . ومع عدلى لملوم صاحب قضية الإقطاع . . وكانت العلاقات تستمر بيننا طوال فترة الاعتقال .

● ومن الصحفيين أو الإعلاميين . . هل تتذكرون أحداً منهم ؟!

●● أتذكر طبعاً . . لقد قابلت الصحفى عبد العزيز خميس فى سجن مصر .

● وهل مازال لديكم علاقات مع بعضهم . . خاصة بعد الخروج من الاعتقال ؟! .

●● أغلبهم انتقل إلى رحمة الله .

● ولا حتى أحد من أقاربهم أو أصدقائهم ؟!

●● لا أعتقد . . لأن السياسى الوفدى . . نسيج وحده . . بمعنى أن الآخرين ربما

يخشونه كسياسى حتى وهو داخل الاعتقال . . فما بالك وهو خارج هذه الأسوار العالية . . ؟! . لذلك كانت علاقاتنا بالآخرين تنقطع بمجرد الخروج من السجن . . ماعدا علاقات تقوم على المجاملات فى المناسبات . . ثم تضمحل شيئاً فشيئاً حتى تختفى . . ولكن بالنسبة لرجال الوفد فيما بينهم . . لايمكن أن تنقطع الصلات بينهم أبداً سواء داخل السجن أو خارجه . . وفى مقدمة هؤلاء فؤاد باشا سراج الدين . طبعاً .

● . . نرجو ألا نكون قد أثقلنا عليكم بهذه الأسئلة ونريد أن نعرف استكمالاً للمشوار ما رأيكم فى سجون مصر زمان . . وأيضاً وضعها الآن ؟! .

●● سجون مصر زمان والآن فى مستوى سيىء ومستوى بدائى . . ولابد أن يعدل هذا المستوى بشكل جذرى . . وأن تتغير بصورة إنسانية وآدمية . . وعلى فكرة . . لوائح سجون مصر الآن من وضع الإنجليز عام ١٨٨٥ . . معنى ذلك أنه قضى عليها أكثر من مائة عام . . رغم أنها كانت أى هذه اللوائح . . تعدل من آن لآخر تعديلات طفيفة ولاتناسب تطور الأيام . . وتطور الجرائم . وربما كان رأى الانجليز وتصورهم من وراء وضع هذه اللوائح اللانسانية . . وخاصة الرجل الذى وضع هذه اللوائح وكان اسمه «ويتنج هام» .

إن هذه اللوائح تناسب الجرائم التى كانت ترتكب فى ذلك الوقت . . وطبعاً بعيداً عن السياسيين . لأنهم لم يفكروا لحظة فى اعتقال السياسى فى مثل هذه الأماكن . لقد كانوا يعتقدون أن هذه اللوائح تناسب المجرمين فى بلد أمى مثل مصر آنذاك . . وحتى هذه اللوائح كانت أيامها فوق المناسب . . فالمسجون يدخل هذه السجون ويجد بداخلها المأكل والملبس وكل شىء . . فربما كان هذا هو السبب . . لكننا فى الواقع لابد وأن نسمو إنسانياً بالسجن . . وأن نفرق بين المسجون السياسى والمسجون العادى . . فكيف ينظرون إلى السياسى كمجرم مثل بقية المجرمين من اللصوص والقتلة وتجار المخدرات . ؟! ودعنى أحكى لك واقعة مرتبطة بشخص فؤاد باشا سراج الدين وقد حضرتها آنذاك .

لقد بحثوا طويلاً عن ملابس السجن مقاس فؤاد باشا ، ولما لم يجدوا أعطوه بدلة ، كان منظرها يهلك من الضحك . . ونظراً لمكانة فؤاد باشا باعتباره وزيرا سابقا . . فقد فصلوا

له بدلة سجن جديدة . . واستغرق تفصيلها ثلاث ساعات . . فكانت أسرع بدلة فى التاريخ . ويمكن أن يحكى لك تفاصيل هذه الحكاية فؤاد باشا حين تلتقى به .

ولك أن تتخيل مدى ما كنا نقاسيه داخل هذه الجدران العالية . . كنا ننام على «البرش» ولدينا بطانية قذرة . . فكيف لنا أن نعيش وكنا مرضى فى مثل هذه الأحوال المعيشية اللاإنسانية ؟! .

● وفى تصوركم . . هل هناك سبيل آخر للتعامل مع السياسى المعارض غير اعتقاله فى السجون ؟! .

●● دعنى أقول . . إنه لا سبيل فى العالم الثالث إلا الديمقراطية . . وهى التى تصلح من شأنها فى كل شىء . . فى السجن وفى الاقتصاد وحتى فى شكل التعامل مع السياسى المعارض إنما غير ذلك لايمكن . . ولاحظ أن استخدام السجن فيه شبهة انتقام . . فكيف تعتقل رجل السياسة وتسجنه وتعامله هذه المعاملة اللاإنسانية . . كيف ينام على «البرش» . . وتغطيه بأسوأ غطاء فى الدنيا ؟! . إن التاريخ يجب أن يسجل على هؤلاء هذا العار الذى ارتبط باسمهم نظراً لموقفهم من السياسى المعارض .

● معنى ذلك أنكم ترون أن هذا السبيل الذى نسأل عنه . . لايمكن أن يتواجد إلا فى ظل الديمقراطية ؟! .

●● من المؤكد . . لابد وأن يعيش السياسى المعارض فى ظل الديمقراطية الحقيقية متمتعاً بحريته وكيانه . وألا يعاقب على نشاط سياسى أو على فكرة أو على موقف مادام لايرتبط بجريمة أو جناية يعاقب عليها القانون العام .

● هناك مسألة أخلاقية ترتبط بعمل رجل السياسة داخل الحزب . . هذه المسألة تدعونا كى نسأل : هل من حق الحزب أن يبلغ السلطات المعنية بالأمن عن السياسى الذى انشق عن مبادىء الحزب من أجل اعتقاله ؟! .

●● هذا لايليق . . وكل ما يملكه الحزب فى هذه الحالة أن يفصل هذا العضو باعتباره شخصاً قد خرج عن التزامه الحزبى وأصبح لايؤمن بمبادىء الحزب الذى ينتمى إليه . .

إن كل مايستطيع أن يفعله إنسانياً . . وديمقراطياً أن يفصله من الحزب . . وقد حدث مع حزب الوفد مثل هذه الأمور منذ تكوينه عام ١٩٢٢ وحتى اليوم . . سعد باشا فصل الأحرار الدستوريين من حزب الوفد . . وهكذا . .

● **وهل يعنى فصل العضو ؟! . . أن تنشأ خصومة بينه وبين الحزب الذى فصله ؟! أم ماذا ؟**

●● مع الأسف . . يوجد نوع من الخصومة . . أو بالفعل تنشأ مثل هذه الخصومات . . لأن العضو الذى يخرج عن مبادىء حزب معين ويتم إنهاء عضويته يخرج فعلاً كى يحارب هذا الحزب . . ويقدم مبادىء هذه الخصومة . . ويعمل على تنميتها جماهيرياً . والسبب فى كثير من الأحوال أنه يعتبر مثل هذا الفصل نوعاً من الإساءة الشخصية له .

من هنا تجده يخرج من الحزب ليحاربه . ودعنى أقول لك أن السياسى الوحيد الذى ربما لم يعتبر الفصل من الحزب نوعاً من الخصومة هو السياسى الكبير أحمد ماهر باشا . حيث كان يؤمن بالحرية إيماناً حقيقياً . . ويعتبر أن خروجه عن الحزب ليس معناه بداية خصوم . ودليلى فى ذلك حكاية سمعتها وأنا أعمل فى وزارة الداخلية كسكرتير شخصى للنحاس باشا . . فقد حدثنى حسن رفعت باشا فى إحدى الرحلات التى ضمتنا سوياً . . وكان وقتها على ما أذكر عام ١٩٤٥ . . وأحمد ماهر رئيس وزراء مصر . . أن رئيس الوزراء قد عرضوا عليه تقارير أمنية خاصة بتحركات النحاس باشا . . فثار ثورة عارمة وطلب ألا تعرض عليه مرة أخرى مثل هذه التقارير الخاصة بالنحاس باشا أو بزوجته «زينب الوكيل» . . وكانت تلك هى الأخلاقيات السياسية السليمة .

● **وكيف تعود مثل هذه الأخلاقيات مرة أخرى ؟!**

●● وفى تصورى أن مثل هذه التقاليد لاتعود مرة واحدة . . بل خطوة خطوة . . لأنك كما تعرف فإن الهدم يكون أسرع من البناء . . ولابد أن تعود هذه الأخلاقيات فى ظل الديمقراطية . . وهى تحتاج إلى تدريب وتمرين داخل الأحزاب وخارجها . وفى العادة لابد وأن تبدأ هذه الأخلاقيات داخل الحزب . . لأن الشعب دائماً هو المتلقى لذلك ومن المفروض أن يتعلم . . ومن سيعلمه سياسياً سوى الحزب . . ؟! .

● وعلاقة إبراهيم باشا فرج بالملك فاروق . . كيف كانت ؟! . . بصفته الحزبية والشخصية ؟!

●● كانت علاقتى به . . علاقة عمل من واقع وجودى وزيراً فى الخارجية . . وهذه العلاقة نشأت حين كنت أقدم إليه السفراء الجدد المعتمدين لدى مصر من مختلف دول العالم . لذلك تعددت اللقاءات بيننا بصفتى السياسية والحزبية . . وليس بصفتى الشخصية .

● لو أن رئيس الحكومة أو رئيس الدولة . . الذى أصدر أوامر اعتقالك قد خرج من الحكم . . وتوليتم أنتم المنصب بدلاً منه . . فهل سوف تعاملونه مثلما عاملكم بعقوبة السجن ؟!

●● المعاملة الخاصة بالاعتقال ترتبط أساساً بالذين لايؤمنون بالديمقراطية . . وبالذين يعبثون بها وينتقمون من خصومهم . . أما بالنسبة لى . . حين أكون فى الحكم . . فسوف يجد السياسى المعارض الذى سجننى من قبل أنه يعيش فى رحاب الحرية . . لأننى لا أملك أن أسجنه مادمت أحترم الدستور . . حتى ولو كنت متأثراً بدافع الضعف الإنسانى مما سببه لشخصى من آلام وإهانات . . إننى بالفعل لا أملك ذلك مادامت هناك ضمانات قانونية ودستورية أؤمن بها . ولعلنى حين أقدم على هذه الخطوة فسوف أكون بالفعل قد خرجت عن مبادئى . . وهذا لم ولن يحدث إطلاقاً .

● وفى تصوركم . . كيف يتمكن السياسى المخضرم من الإفلات من عقوبة السجن؟! .

●● المسألة مسألة أسلوب ومنهج . . حيث يستطيع السياسى أن يعرب عن أفكاره بصورة لاتثير هذا الخصم الذى يتربص به من أجل اعتقاله وسجنه . وأنا أرى بشكل عام أن وضع أى قيد على حرية السياسى بحيث تجعله يعدل من مفاهيمه ويحدُ من نشاطه للإفلات من عقوبة السجن . . يعتبر خطأً فادحاً ! . فهو تغير تشكيل حياة السياسى .

وبالتالى لايجب أن يكون . . ولايصح أن يغير مفاهيمه خوفاً من هذه العقوبة .

● **وهل تؤثر عقوبة السجن فى أفكار رجل السياسة . . ؟! .**

●● بمعنى إيه ؟!

● **أقصد هل يغير السياسى أفكاره بعد أن تناله هذه العقوبة ؟!**

●● المبادىء والأفكار السياسية لاتتغير سواء داخل السجن أو خارجه . ولايمكن لمثل هذه العقوبة أن تنال من أفكاره . بل بالعكس قد يساعد السجن على تطور هذه الأفكار.

● **وهل من الممكن أن يستمر السياسى على علاقة بالحياة السياسية حتى وهو خلف القضبان ؟! .**

●● بالطبع يستطيع إذا تمكن من ذلك .

● **وبالنسبة لإبراهيم باشا فرج . . هل كنتم على اتصال بالحياة السياسية المصرية . . وأنتم خلف القضبان ؟! .**

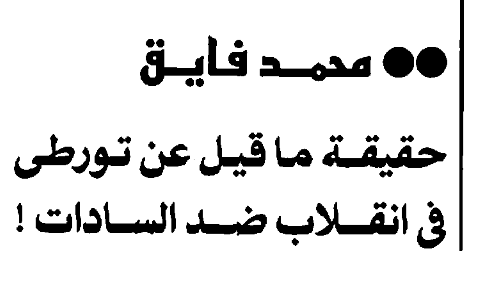
●● طبعاً . . لم أنقطع . . وكنت على اتصال بهذه الحياة عن طريق مكاتبات نهربها بطرقنا الخاصة . وعلى سبيل المثال حين علمنا أنا وفؤاد باشا بأنه يجرى خارج السجن ترتيب جمع أموال للنحاس باشا وزوجه بعد فرض الحراسة على أموالهما . . واستطعنا أن نتصل ببعض زعماء الوفد الكبار آنذاك . . لجمع تبرعات شهرية محددة نخصصها لأسرة النحاس باشا . وقد تمكنا من تهريب خطاب بهذا المعنى للنحاس باشا ذاته نعرفه فيه بأسماء هؤلاء السياسيين . . وحددنا له فيه اسم «جميل سراج الدين» أخو فؤاد باشا . وبالفعل نجحنا فى هذه الوسيلة للاتصال بكبار رجال الوفد . . وظلت هذه الطريقة سرية وغير معروفة لمدة حتى عرفها عبد الناصر عام ١٩٥٥ . . فأصابته بنوبة من الصرع . . وأرسل صلاح الشاهد كى يتأكد من ذلك من بيت النحاس . . الأمر الذى جعل عبد الناصر يرفع معاش الباشا إلى ٤٠٠ جنيه فى الشهر .

❊ ❊ ❊

وكانت هذه هى آخر كلمات هذا الحوار الذى انتهى بدقات خفيفة على باب إبراهيم فرج . . فقد تعدت الساعة الثالثة ظهراً . . ومطلوب أن يذهب إلى منزله الآن . . فى سيارة فؤاد سراج الدين الخاصة . . حيث كنا نسجل هذا الحوار فى مكتبه بحزب الوفد .







محمد فايق

حقيقة ما قيل عن تورطى فى انقلاب ضد السادات !

هذا الحوار تأخر إجراؤه لأكثر من شهرين بناء على طلب الضيف . . وهو السياسى المصرى محمد فايق الذى تولى منصب وزير الإعلام لأول مرة فى تاريخ مصر بعد ما كانت تسمى وزارة الإرشاد القومى فى عهد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر . وقد ظل هذا الرجل فى منصبه عدة سنوات حتى قدم استقالته بعد رحيل جمال عبد الناصر . . إلا أن مصيره كان خلف القضبان . . وكما يقول لحظه العاثر فقد قضى عشر سنوات كاملة وراء الأسوار العالية . وما كاد يخرج من سجنه بعد هذه الفترة الطويلة حتى أعيد إليه من جديد والسبب اشتغاله بمهنة نشر الكتب !! .

ولعلنا مازلنا نتذكر جميعاً ما أشيع عن حركة مايو عام ١٩٧١ وما صاحبها من إجراءات شملت كل مؤيدى عبد الناصر . . لقد كان محمد فايق من بين هؤلاء الذين اتهموا مباشرة فى هذه الحركة باعتباره كان الوزير المسئول عن الإعلام والإذاعة والتليفزيون فى ذلك الوقت . . وهو الجهاز الذى تردد فى هذا الوقت بأن أعوان عبد الناصر قد منعوا الرئيس السادات من دخوله و إلقاء إحدى خطبه . والوزير محمد فايق يؤكد عدم صحة هذه الواقعة ، وأنه

لم يشترك فى مثل هذا العمل الذى أشيع أنه مؤامرة لسبب بسيط جداً . . أنه وفور رحيل عبد الناصر قدم استقالته للرئيس السادات . بل أكثر من ذلك وكما يؤكد أيضاً أن قوات الحرس الجمهورى قد حاصرت منزله ابتداء من اليوم الثانى عشر من مايو عام ١٩٧١ . . وبعد أربعة أيام صدرت الأوامر باعتقاله وتقديمه للمحاكمة .

المهم بعد مطاردة من جانب كاتب هذه السطور للضيف السياسى والإعلامى محمد فايق . . تمكنا أخيراً من توفيق المواعيد فى آخر اتصال تليفونى . . وكان المكان المحدد هو دار النشر التى يملكها هذا السياسى منذ أن قرر بعد خروجه من المعتقل أن يهجر السياسة إلى عالم الثقافة . وهى الدار التى كانت السبب المباشر فى إعادته للمعتقل بعد ثلاثة أشهر من الإفراج عنه فى سبتمبر عام ١٩٨١ .

ولقد حاولت من خلال السؤال والانتظار لتلقى الإجابة أن أغوص فى أعماق ذلك الرجل الذى تشعر من أول اتصال تليفونى بأنه يعرفك منذ سنوات طويلة . وحتى بمجرد أن تلقاه تتجدد هذه الألفة ويعيش بداخلك طويلاً . . وكثيراً ما كان يعرف ما تقصده من وراء السطور المطروحة . . فيرد بإجابة المباشرة دون لف أو دوران ، ولم يكن ينقصه فى ذلك الصدق أو التأكيد . . لأنه كان يشعر بأنه يقول كلمته للتاريخ .

وعلى الفور حين دخلت مكتبه . . طلب أن نبدأ . . بعدما قرأ بسرعة قائمة الأسئلة أثناء تناولنا القهوة . .

❊ ❊ ❊

● فى البداية نريد أن نقدم بعض المعلومات السريعة عن نشأة وحياة السياسى المصرى محمد فايق ؟!

●● شوف رغم أننى لا أحب أن أتحدث عن نفسى ، إلا أننى أقول لك إننى من مواليد مدينة المنصورة . وظللت بها حتى المرحلة الثانوية ، ثم انتقلنا إلى القاهرة فحصلت على الثانوية العامة من مدرسة جاردن سيتى . وفى عام ١٩٤٦ تقدمت بأوراقى للالتحاق بكلية الطب لكننى علمت بعدها أن الكلية الحربية قد فتحت أبوابها بعدما كانت مغلقة

لفترة طويلة . . وعلى الفور سحبت أوراقى من كلية الطب إلى الكلية الحربية . وقد تخرجت منها عام ١٩٤٨ ، حيث حضرت حرب فلسطين كضابط عسكرى ومن بعد هذه الحرب وفى عام ١٩٥٢ قامت الثورة التى كانت إيذانا بتغيير كل شىء فى مصر . ثم فى عام ١٩٥٣ انتقلت للعمل بالمخابرات العامة مسئولاً عن إسرائيل ثم بعد ذلك مسئولاً عن الشئون الأفريقية وكانت تتضمن بالطبع شئون السودان . وفى جهاز المخابرات نفسه كونًا قسماً خاصاً بالشئون الأفريقية والسودان . وفى عام ١٩٦٠ انتقلت للعمل بجوار الرئيس جمال عبد الناصر كمدير لمكتبه للشئون الافريقية . ومن خلال هذا الموقع بدأت العمل من أجل حركات التحرر الأفريقية التى كان يساندها جمال عبد الناصر . وهذا العمل كان يتطلب منى باستمرار السفر إلى الدول الإفريقية لإنجاز مهمات خاصة على هذا الطريق .

وكما تعلم كانت فلسفة الثورة قد بدأت تتضح فيما يتعلق بالشئون الخارجية المصرية التى كانت تدور فى فلك ثلاث دوائر . . الدائرة العربية ثم الدائرة الإسلامية وأخيراً الدائرة الأفريقية التى أخذت منا اهتماماً خاصاً لأنه يقع بها الدائرتين الأخريين أضف إلى ذلك فقد كانت أفريقيا تحتل جانباً هاماً من اهتمامات السياسة المصرية الخارجية .

وفى عام ١٩٦٥ عينت مستشاراً للرئيس عبد الناصر للشئون الأفريقية والآسيوية ، لمدة عام واحد . . وكنت بدرجة نائب وزير . ثم صدر قرار تعيينى وزيراً للإرشاد القومى عام ١٩٦٦ حتى عام ١٩٧٠ . وفى هذا العام تم اختيارى وزير دولة للشئون الخارجية . . وقد ظللت بهذا المنصب حتى رحيل عبد الناصر . . والغريب أنه بعد وفاته اختارنى السادات وزيراً للإعلام . . وقد ظللت بهذا المنصب حتى يوم الاعتقال . . أو قبله بأيام حين قدمت استقالتى من هذا المنصب . . لذلك تقدر تقول إننى كنت أول وزير يحمل لقب وزير الإعلام بعد تغييره من الإرشاد القومى .

● ليسمح لنا الأستاذ محمد فايق أن نستوضح منه موقفه من الانقلاب الذى اتهم فيه من جانب السادات . فهل نطمع فى ذلك ؟! .

●● طبعاً . . كما تعلم فإن وزير الإعلام هو المهيمن على كل وسائل الإعلام مثل الإذاعة والتليفزيون . . وبطبيعة الحال حين يتم حدوث أى انقلاب فإن أولى الخطوات هى

الاستيلاء على هذين الجهازين . وهذا لم يحدث حين كنت وزيراً لأننى قد قدمت استقالتى من هذا المنصب ، وأقمت فى منزلى . ومع ذلك اتهمنى السادات بأننى كنت أدبر للاستيلاء على هذه الأجهزة الإعلامية . وهذا حقيقة غير صحيح .

● وماذا عن أحداث ١٥ مايو ؟!

●● بالنسبة لـ ١٥ مايو فإن ما تم نشره فى حينه عن ذلك كان فيه تشويه كبير . لأن الذى قام بالانقلاب هو السادات لإزاحة كل معاونى جمال عبد الناصر . . والسبب أنه كان يريد إحداث تغيير شامل فى سياسة مصر . . وكان على رأس هذا التغيير للأسف هو أنه لن يحارب لاعتقاده أنه كان يمكن أن يحل مشكلة الاحتلال الإسرائيلى بدون حرب ! . ولم يكن أمامه لتحقيق ذلك سوى التخلص من أنصار جمال عبد الناصر . . على أمل أن تساعده أمريكا فى حل قضية الاحتلال بدون حرب . وكان ذلك فى رأينا تصوراً ساذجاً للغاية . . وقد ثبت خطؤه حيث اضطر أخيراً لخوض الحرب عام ١٩٧٣ . ولعل ذلك كان أحد الخلافات بيننا وبين السادات . وأحب أن أوضح لك نقطة فى غاية الأهمية وهى أن المجموعة السياسية التى اعتقلها السادات عام ١٩٧١ لم تكن مجموعة سياسية ذات فكر واحد . . بل كانت مختلفة الأهواء وأيضاً لم تكن تخطط للقيام بعمل ضده وبشكل جماعى على الإطلاق . . ولكن كان كل واحد له رأى مع أنه كان يضمهم تبعية واحدة . فقد كانوا جميعاً من أعوان جمال عبد الناصر . أيضاً لقد ثبت أن بعض هذه المجموعات السياسية لم تكن تخطط ضده . . ولم يكن بعضها على اتصال ببعض فى ذلك الوقت .

لقد حاول السادات أن يخلق قصة وهمية حين قبض على هؤلاء السياسين جميعاً . . وهى قصة محاولة الانقلاب إياها . وكان يهدف من وراء ذلك التخلص من كل العناصر التى كانت تؤيد عبد الناصر متصورا أن أمريكا من الممكن أن تحل له مشكلته مع إسرائيل لو تخلص من هذه المجموعة بعدما رحل عبد الناصر نفسه . وفى رأيى الشخصى أقول لك إن ذلك كان تفكيراً ساذجاً إلى أبعد الحدود ، حيث اضطر فى نهاية الأمر إلى أن يحارب إسرائيل عام ١٩٧٣ . وعلى فكرة لقد كان عبد الناصر سوف يحارب إسرائيل فى نهاية عام ١٩٧٠ لولا وقوع مذبحة الأيلول الأسود . . ودعوته لمؤتمر القمة العربى الذى توفى فى أيامه الأخيرة

كما نعلم بذلك جميعاً . إننى أؤكد لك أن خطة الحرب كانت جاهزة فى أوراق عبد الناصر الخاصة وأن موعد المعركة بالضبط كان فى شهر سبتمبر عام ١٩٧٠ ولولا هذا الحادث العارض الذى أخرها . . ثم وفاة عبد الناصر نفسه . وعندى تفاصيل أخرى عن ذلك الأمر ، فقبل أحداث أيلول الأسود صحب عبد الناصر الفريق فوزى إلى مرسى مطروح لاستعراض آخر ملامح الخطة من أجل المعركة .

هذا جانب . . وهناك جانب آخر يخصنى شخصياً فى هذا الأمر وهو أننى لم أكن فى صراع شخصى مع السادات على الإطلاق . . ولكنى عندما شعرت أننى غير قادر على الاستمرار معه وفقاً لسياسته الجديدة قدمت استقالتى فوراً . وكان ما بيننا فى الأساس هو خلاف فى الرأى على مسألتين الأولى : الحرب مع إسرائيل ثم الاتحاد مع ليبيا . لقد كنت من أنصار عدم إتمام هذه الوحدة فى هذا الوقت بالذات . . لأننى كوزير إعلام كنت مسئولاً عن إعداد الجماهير للحرب ضد إسرائيل وللمعركة القادمة . فكيف أغير هذه السياسة وأحوال الاهتمام إلى الوحدة ؟! . ولقد تصورت وقتها أنه يريد الدخول فى هذه الوحدة كى يهرب من المعركة ضد إسرائيل . ويغض النظر عن أن ذلك صحيح أو غير صحيح . . فقد كان الخلاف بيننا فى الأساس هو خلاف فى الرأى ليس إلا !

● هل ما زلتم تتذكرون لحظة اعتقالكم فى مايو عام ١٩٧١ ؟!

●● طبعاً فاكر ده كويس . ولم يحدث هذا الاعتقال بشكل مفاجىء لأنه كان هناك أمر بتحديد إقامتنا فى منازلنا . وعلى ما أتذكر أنه قبل يوم ١٥ مايو بعدة أيام تم محاصرة منزلنا بعربات مصفحة وقوات من الحرس الجمهورى . يمكن ده حصل يوم ١٣ مايو . . وبعدها بأيام نقلونا إلى المعتقل ، ربما يوم ١٦ مايو . . ولعلى هنا أسجل لك أن الضباط المحاصرين لمنزلنا كانوا فى غاية الأدب والاحترام معللين ذلك بأنها أوامر عليا وتكليف رسمى . . ومع ذلك كانوا يسمحون بزيارات عائلية لنا وبالدخول والخروج . ثم بعد ذلك بأيام صدر قرار الاعتقال . وده حدث فى أثناء النهار .

● قبل أن نقترب من أسوار المعتقل العالية . . وأسلاكه الشائكة وقبل الدخول خلف هذه الأسوار هل لنا نسأل سيادتكم عن موقعكم الآن على خريطة السياسة المصرية ؟

●● أنا الآن أؤدى دورى وفقاً لخبرتى من خلال دار النشر التى أملكها . . حيث أهتم بالجانب الثقافى والسياسى . وأحاول من خلالها أن أقدم فكراً راقياً للمثقف المصرى والعربى سواء لمؤلفين عرب أو أجانب . وبخلاف دار النشر فأنا الآن الأمين العام للمنظمة العربية لحقوق الإنسان . . وهذه هى رسالتى الثانية فى ميدان الحياة السياسية فى مصر . أما الجانب الثالث من نشاطى السياسى فقد كان متبلوراً فيما قمت به داخل القارة الأفريقية ومساعدة حركات التحرر الإفريقى . ويمكن ده كان دورا قوميا هاما وكبيرا . ولعلى أعود وأذكر لك أن سبب ارتباطى بحقوق الإنسان هو ما لقيته خلف القضبان خاصة بالنسبة لى . . فقد كنت وزيراً مسئولاً . ، ومع ذلك لم أكن أملك حق الاستقالة . . هذه الاستقالة التى بسببها دخلت خلف الأسوار العالية وقضيت عشر سنوات من عمرى ! . لقد سبب لى هذا الموقف شعوراً بوجود خلل كبير لابد من القضاء عليه . ولعلى حين فكرت فى ممارسة حقوق الإنسان . لم يكن دافعى أبداً هو السادات كشخص . . ولكن كان دافعى الأساسى هو ذلك الخلل المنتشر فى العالم الثالث كله . وبالتالى البحث عن الحقوق الشرعية لأى إنسان فى ظل المواثيق الدولية التى تنص على حقوق الإنسان .

أما النشاط الرابع أو المجال الأساسى هو أننى باعتبارى شخصية عامة أقوم بإلقاء عدة محاضرات . . وأحضر العديد من اللقاءات الدولية على مستوى قارتى آسيا وأفريقيا . هذا النشاط يتبلور بشكل عام فى النشاط الدولى والشئون العربية . وأخيراً صلتى بالحزب الديمقراطى العربى الناصرى . ورغم أننى عضو بالمكتب السياسى الآن . . إلا أن دورى قد انتهى عند رؤية تكوين هذا الحزب الذى يعبر من خلاله الناصريون عن رؤيتهم للحياة خاصة فيما يتعلق بالمستقبل . وليس فيما يخص حياتنا السلفية أو الماضية . . إننى بالفعل لم أؤمن بهذه السلفية . لاعتقادى أن عبد الناصر نفسه كان صاحب رؤية مستقبلية . وهذا هو دور الحزب الناصرى الآن . ولقد تمكنا من خلال هذا الحزب أن نوقف حملة العداء الشديد التى تراكمت بفعل الهجمة الإعلامية ضد عبد الناصر خاصة أيام السادات . إننى أعود وأؤكد لك أن ما نعنيه بالناصرية هنا هى نظرة مستقبلية وليست نظرة سلفية . وهذه نقطة مهمة جداً الآن . . لأن كل الأحزاب السياسية الموجودة على الساحة تحاول أن تعيش فى الماضى وفقاً لمبادىء السلفية المعروفة . وأنا أعتقد أن الناصرية الصحيحة هى المستقبل

وفقاً لمعتقدات وتصورات عبد الناصر نفسه الذى كان يؤمن بالتقدم والمستقبل .

● حين نقترب من الأبواب السوداء . ونقف بالقرب من السياسى محمد فايق وهو خلف القضبان . ونهمس فى أذنه : كم مرة دخل فيها السجن ؟ . . فماذا يقول ؟!

●● دخلته مرتين . . الأولى عشر سنوات . . والثانية عدة أشهر ! . لقد قضيت داخل السجن فى المرة الأولى عشر سنوات كاملة وفقاً لمحكمة الثورة التى عقدها لنا السادات فى مايو عام ١٩٧١ حيث خرجت أيضاً فى مايو عام ١٩٨١ . وكما هو معروف عقد لنا السادات محاكمة استثنائية برئاسة حافظ بدوى وعضوية حسن التهامى وقد اطلق عليها محكمة الثورة رقم كام لا أتذكر . . وأثناء محاكمتى لم يكن لديهم أى دليل ضدى! . ليس أنا فقط بل . . كانت هناك أحكام مسبقة على آخرين بالإعدام . . ثم خففت إلى المؤبد وهذه الأحكام كانت لها قصة رواها لنا محمد عبد السلام الزيات . . حيث كان السادات قد جهز هذه الأحكام ولولا أن أحد القضاة قد هدد بالانتحار لكانت نفذت فوراً . أو على ما أتذكر كان اسمه بدوى حمودة ، وكان فى ذلك الوقت رئيس المحكمة العسكرية . لقد كان الاتهام باطلاً فى أساسه . . وكل ما هنالك أننا قد اختلفنا فى الرأى فقط سواء فى الوحدة أو فى أشياء أخرى . ودعنى أذكر لك مثالاً على ذلك أن الدكتور لبيب شقير قد تم اعتقاله لمعارضته الوحدة مع ليبيا لأنها أضاعت السودان الذى لم تسمح ظروفه فى هذه الأوقات من الانضمام للوحدة . وكان رئيسها فى هذه الآونة جعفر نميرى . يعنى تقدر تقول إن السادات حاول من خلال هذه المحاكمة أن يقضى على كل أعوان عبد الناصر .

أما المرة الثانية . . فلها قصة غريبة . . وقد بدأت بعد ما خرجت بعدة أشهر . لأننى بعد ١٥ يوماً من خروجى من السجن كنت قد قررت التوقف عن ممارسة النشاط السياسى . . لذلك فكرت فى افتتاح دار للنشر . . وهى هذه الدار الموجودة الآن . . ويبدو أن هذا المشروع قد استفز السادات كما علمت فيما بعد . . فقد صرح لمن حوله . . أننى وخلال ١٥ يوماً فقط رجعت أمارس حياتى العملية من جديد فقرر إعادتى إلى السجن مرة أخرى . . وكان ذلك فى ٥ سبتمبر عام ١٩٨١ ضمن اعتقالات سبتمبر المشهورة . . والغريب أنه لم يوجه لى أى اتهام هذه المرة . . ولك أن تتصور أن تعود إلى سجن مرة أخرى بعد

الإفراج عنك وبعد أن قضيت فيه عشر سنوات ! فكيف يكون شعورك؟! . وهناك موقف فى ذهنى قد ارتبط بهذه المرة حين سألنى المدعى الاشتراكى : لماذا سجنت؟!. لقد تصورت أنه يمزح ! . وإلا كيف يسألنى عن شىء المفروض أنه يكون على علم به! .

ولحسن حظى أن هذه المرة لم تطل كثيراً . . فقد استمرت فقط ثلاثة أشهر .

● **وكم سجنا زرتموه خلال هذه الفترات المتنوعة ؟! .**

●● سجون كثيرة . . بدأنا بسجن « أبو زعبل» ثم القلعة ثم السجن الحربى . . ثم سجن طرة ثم مزرعة طرة الذى افتتحناه نحن كأول زبائن ! . وأخيراً ملحق مزرعة طرة الذى قضيت فيه العشر سنوات الأولى . . ثم عدت إليه فى المرة الثانية وبداخلى شعور غريب لأن السجين السياسى حين يدخل السجن معتقلاً لايعرف متى يخرج ؟ .

● **وماذا كان شعورك حين دخلت نفس السجن فى المرة الثانية ؟! .**

●● حين فوجئت بهذا الحجم الكبير من المعتقلين . عرفت على الفور بأن هذه الحبسة هى حبسة هزلية . وإلا كيف يتم اعتقال كل سياسيٍّ ومثقفى مصر . لقد كان من المستحيل كما تصورت آنذاك استمرار مثل هذا الوضع .

وفى هذه المرة التقيت بفؤاد سراج . وكنت لأول مرة أراه وجهاً لوجه فأخذنى بالأحضان .

● **هل هناك علاقة بين العمل السياسى وبين عقوبة السجن ؟!**

●● للأسف الشديد كلما تخلفت الدول كلما كانت العلاقة شديدة جداً بين العمل السياسى وبين عقوبة السجن . . لأن المفروض أن العمل السياسى فى حقيقته ليس له علاقة بالسجن . ولكن فى العالم الثالث تجد أن معظم السياسيين الكبار لهم دور فى السجن لأن ذلك نوع من اختلاف فى الرأى .

● **وهل من الممكن أن نعتبر هذه العقوبة ضريبة العمل السياسى فى هذه البلدان؟! .**

●● لا أستطيع أن أقنن هذه العلاقة بهذا المعنى وأقول إن هذه العقوبة هى ضريبة . .

ولكن الذى يعمل بالسياسة فى دول العالم الثالث ويتمسك برأيه وينظر إلى المستقبل بمنظوره السياسى . . هنا تأتى المتاعب . . أما الذى يغير لونه فله قصة أخرى . لذلك فى الغالب تجد أن لفظ المسجون السياسى منتشر للغاية فى هذه الدول المتخلفة . أما فى الدول المتقدمة فلا وجود للمسجون السياسى على الإطلاق . إن السياسى ومع اختلافه فى الرأى لايجوز سجنه أبداً لأن هناك مكاناً لاحترام الرأى . . وهنا نعود مرة أخرى إلى حديث حقوق الإنسان . إن الاتفاقيات الدولية لهذه الحقوق ألا يسجن إنسان بسبب رأى يقوله أو يعتنقه . وهنا تكمن المشكلة . . لأن هناك دولاً لاتحب أن يكون لك رأى مختلف عن رأى السلطة الحاكمة .

● معنى ذلك لابد وأن يتوقع السياسى أن تصيبه لعنة هذه العقوبة ؟! أم ماذا ؟! .

●● إذا كان من النوع الذى يدافع عن رأى معين ويتمسك به ويعمل من أجله فى داخل الحياة السياسية عليه أن يتوقع أن تصيبه هذه العقوبة . ويمكن هنا ألا نقول إنه لابد بمعنى التصميم ولكن بشكل عام المخاطر موجودة . بل وتخص حياة السياسى حين يتمسك بموقفه المعارض . وعلى ذلك فليس هناك ضرورة لوجوده فى السجن بشكل مطلق . . فقد تساعده الظروف رغم أنه يعيش فى مثل هذه الدول كى يفلت من هذه العقوبة . لذلك ليس هناك نوع من التقنين فهى تخضع لعدة ظروف منها ظروف المجتمع وظروف الشخص السياسى نفسه . بل وظروف نظام الحكم . ولدينا حالات كثيرة حدث فيها اختلاف فى الرأى ولم يؤد هذا الخلاف إلى عقوبة السجن . ويمكن نقدر نقول لو أن عصر عبد الناصر كان ولايزال قائماً لما كنت قد دخلت السجن . . إذ تغير نظام الحكم وأسلوب الحكام هو السبب . أو لو أن السادات حين جاء إلى الحكم واختار نفس أسلوب عبد الناصر لما دخلنا السجن أيضاً . وفى مثل حالات الخلاف فى الرأى أيضاً لم يكن السجن ليحسمها . . بل هناك إجبار السياسى على الاستقالة أو تغيير الوزارة أو شىء من هذا القبيل وطبعا بعيدا عن شبح القضبان والأسوار العالية . وبالنسبة لى شخصياً فأنا أعتبر أن حظى بالفعل كان حظاً غير موفق . . فقد رحل عبد الناصر وجاء السادات وأنا دخلت السجن !! وبشكل عام من الممكن ألا يتم مثل هذا الظرف الطارىء وبالتالى من الممكن ألا يكون بالضرورة دخول السياسى المعارض السجن لمجرد خلاف فى الرأى . .

● وفقاً لتجربة السياسى الكبير محمد فايق خارج القضبان وخلفها . . هل ينقطع رجل السياسة عن عمله السياسى وهو خلف القضبان ؟! أم ماذا ؟!

●● هذا الأمر يتوقف على الشخص نفسه . فالسجن إما أن يكسر السياسى أو يزيده صلابة . وإذا كسر رجل السياسة تنتهى حياته داخل حلبة السياسة، وينتقل إلى العيش فى الظل! . أما إذا لم يكسر فالعكس هو الصحيح، وبالنسبة لى شخصياً . . فإننى حين قدمت استقالتى من وزارة الإعلام كنت قد عقدت العزم على ترك العمل السياسى . . وكان ذلك بإرادتى الشخصية للدرجة التى أبلغت فيها زوجتى قبل إعلان الاستقالة بأننا سوف نعود إلى ممارسة حياتنا كما كانت ونتمتع بها بعيداً عن حياتنا السياسية . أيضاً أبلغتها بأنه سيكون هذا الصيف هو صيف الاستمتاع بعيداً عن العمل السياسى . ولكن وضعى فى السجن جعلنى أتمسك بالعمل السياسى أكثر . . حتى وبعد أن خرجت بعد قضاء مدة العقوبة قررت أن أتحسس حياتى داخل حلبة السياسة أولاً قبل التعمق فيها مرة أخرى. لكننى مع مرور الوقت اكتشفت أن كل كلمة أو حركة تؤديها تؤخذ على أنها سياسة. وبالتالى فإن وجودك داخل السجن كرجل سياسة متمكن ولم يصبك السجن بسوء . . يؤدى حتماً إلى الاستمرارية . بالإضافة إلى ذلك لقد كنا داخل السجن سياسيين أيضاً ولم ننقطع عنها أبداً . لقد كنا نحلل الأحداث . . بل ونشارك فيها ولو بالرأى . . وكان معنا السيد المرحوم على صبرى والسيد شعراوى جمعه وبعض السياسيين الناصريين الآخرين . أيضاً أيام السجن تمكنت من الانتهاء من تأليف كتاب أحدث دوياً هائلاً وقتها وهو عن علاقة عبد الناصر بالقارة الأفريقية .

ولعلك تتعجب من أن هذا الكتاب نشر فى أكثر من جريدة عربية مسلسلاً وأنا خلف القضبان ، ونجحت بمجهود ذاتى من تهريبه خارج السجن كى ينشر فى هذه الصحف . ثم وبعد خروجى من السجن طبعت هذا الكتاب وانتهت طبعاته حيث لم يتبق منه الآن نسخة واحدة .

● حين نعود إلى الحياة السياسية مرة أخرى بعدما خرجنا بعيداً عن تلك الأسوار العالية كى نسأل : هل منصب الوزير فى الأساس ينظر إليه على أنه منصب سياسى أم منصب تنفيذى ؟! .

●● بكل تأكيد هو منصب سياسى . . وأنه حين تنقلب مهمة الوزير إلى مهمة تنفيذية فإن ذلك يعد خللا كبيراً فى الحكم . لأن الوزير مهمته فى الأساس مهمة سياسية وليست مهمة تنفيذية . مع أننا لابد وأن نأخذ فى الاعتبار أن هناك جزءاً تنفيذياً موجوداً فى حياة الوزير ولكن هذا الجزء ليس أساسياً فى عمله . . وإذا ما تخلى الوزير عن كونه رجل سياسة . . معنى ذلك أن هناك خللاً كبيراً فى نظام الحكم .

● وبالمناسبة هل ترون أن يكون وزير الداخلية من رجال الشرطة أم من المدنيين باعتباره منصباً سياسياً ؟! .

●● ليس هناك قاعدة فى هذا الاختيار . . لكن يجب أولاً ولابد أن يكون وزير الداخلية منصباً سياسياً والمفهوم مفهوما سياسيا . فإذا كان لدينا ضابط شرطة تتوافر فيه رؤية سياسية بجانب إلمامه بمسائل الأمن فما المانع من أن يجمع بين العملين ؟! . معنى ذلك أن النظرة لوزير الداخلية كمنصب وزارى سياسى لايجب أن تقتصر على مفهوم استيعابه للمسائل الأمنية فقط . لأن هذا المفهوم القاصر على الأمن بدون ربطه بالأمور السياسية الأخرى فى الدولة يعتبر نوعاً من القصور والخلل . لذلك لا يجب عند البحث عن شخصية تصلح لهذا المنصب ألا يقتصر على مفهوم الأقدمية أو الرتبة العسكرية . بل يمتد إلى الأفق السياسى وما لديه من ثقافة سياسية .

فى الوقت نفسه لايجوز أن تحرم ضابط شرطة لمجرد كونه يعمل بالأمن من تولى هذا المنصب بحيث تتوافر فيه الرؤية السياسية الواضحة . لأن منصب وزير الداخلية فى الأساس لابد وأن يكون منصباً سياسياً .

● متى يتم اعتقال رجل السياسة وبشكل عام ؟!

●● فى الأساس لايجوز اعتقال رجل السياسة إلا إذا كان قد ارتكب جريمة فى حق وطنه يعاقب عليها القانون المدنى . أو تورط فى أية جريمة يعاقب عليها نفس هذا القانون . وفى تصورى أن رجل السياسة لايجب مطلقاً أن يسجن حتى لو يرتكب مثل هذه الأخطاء التى يعاقب عليها القانون العام . لأنه من المفروض ألا يقدم رجل السياسة على ارتكاب مثل هذه الأفعال . أما إذا ما كان الاعتقال بسبب الخلاف فى الرأى فلا يجب أبداً أن نعتقله

لمجرد وجود هذا الخلاف . بجانب ذلك دعنى أقول لك إن اعتقال السياسى يعبر فى الأساس عن عجز الحاكم والسلطة الحاكمة .

● وهل هناك من الطرق المشروعة التى يمكن للسياسى اللجوء إليها كى يفلت من عقوبة السجن ؟! .

●● المسألة هنا تبدو معكوسة . . لأنه لو هناك دولة تحترم حقوق الإنسان وتحترم تعددية الرأى والتعددية السياسية ، المفروض أن يكون السياسى فى أمان كامل . ويعمل فى ظل هذا الأمان . . وبالتالى لايكون فى حاجة إلى البحث عن طرق يفلت بها من عقوبة السجن . لأن الوضع الطبيعى هو ألا يتعرض السياسى لا للحبس ولا للاعتقال . . أما الوضع الشاذ فهو العكس حيث يسجن السياسى وينكل به ويتم تعذيبه . ولعلى أتمنى لكل حاكم ألا يكون هدفه الأساسى هو إدخال خصومه السياسيين خلف القضبان . لأنه بالتالى يتخلى عن دوره القومى فى خدمة من مكنوه من أن يحكمهم . لذلك يجب أن يكون الهدف الأساسى الذى يسعى إلى تحقيقه كل رجل سياسى هو الهدف القومى والهدف الوطنى ومصلحة الشعب . إننى أعتبر أن هذه مسئولية تاريخية خطيرة والتخلى عنها يعد تفريطاً فى حقوق من إختاروه . والشيء الوحيد الذى يكون أمامه فى مثل هذه الحالات إما أن يستقيل أو يقبل من يختلف معهم . من ناحية أخرى إننى ضد لجوء السياسى إلى العنف لتحقيق مصالحه الشخصية كأن يلجأ إلى انقلاب أو تمرد عسكرى أو خلافه . كما لا أتخيل أن رجل السياسة المؤمن بالمبادىء أن يلجأ لمثل هذه الأساليب .

● هل تعرضتم لأى نوع من التعذيب خلف القضبان ؟! .

●● لم يحدث ذلك . . بل بالعكس كانوا يحاولون منعنا من التحدث عن مشاكلنا وحياتنا . لأن التعذيب لايتم داخل السجون إلا من أجل الحصول على اعتراف المسجون أو المعتقل مع أنه شيء لايجوز على الإطلاق لأنه ضد كل مواثيق حقوق الإنسان . إلا أن بعض الجهات تلجأ لمثل هذا التعذيب لانتزاع معلومات غير موجودة لديهم . أما فى حالتنا كان العكس هو الصحيح . فقد كانوا يبحثون عن كيفية إسكاتنا خلف القضبان . وبالتالى لم نتعرض لا للتعذيب ولا للضرب . أضف إلى ذلك أنه مازالت فى مصر حتى

داخل السجون مجموعة من التقاليد أساسها احترام الرجل العام والرجل صاحب المنصب . وبالنسبة لنا بالذات فقد كان هناك اهتمام بنا غير عادى على مستوى بعض رؤساء افريقيا وبعض الأوساط الدولية . لذلك كانوا يخشون أن يتسرب عن معاملتنا أى نوع من أنواع القسوة أو التعذيب الذى لم نتعرض له . وبشكل عام المعاملة كانت معقولة . . وكل ما هنالك هو قسوة السجن التى كانت تحتم عليك الانقطاع كلية وخلف القضبان عن حياتك الاجتماعية والأسرية .

● لقد ذكرتم لنا فى سياق الحوار أسماء بعض الشخصيات السياسية التى تعرفتم عليها خلف القضبان . . فهل كانت هناك شخصيات أخرى بخلاف هؤلاء ؟! .

●● دعنى أقول لك إنه حتى السياسيين الذين التقيت بهم خلف القضبان دامت بيننا عِشرة وود وحب استمر طويلاً . . وتعرفت على هؤلاء السياسيين من الداخل . . على سبيل المثال حين التقيت بالدكتور فؤاد مرسى صاحب الوجه المتجهم دائماً ، اكتشفت فيه الإنسان الحنون الرقيق الذى يخاف على كل من حوله وكأننا أولاده . . أما بالنسبة للمسجون العادى فقد صادفنا نوعيات كثيرة جمعتنا معهم لقاءات . على سبيل المثال تجار المخدرات الذين عرفت عنهم أشياء لم أكن أتصورها فى يوم ما . . أيضاً هؤلاء الذين يحملون فوق أكتافهم قضايا الثأر كان لهم معنا حضور أدى بنا إلى أن نفهم عالمهم الخاص الذى اكتشفت أنه عالم مخالف تماماً لما نعرفه . . ولعلى أضرب لك هنا مثالاً واحداً على ذلك وهو أن أغلب المتهمين فى هذه القضايا لم يرتكبوها . . ؟! طبعاً . . لقد صادفنا شباباً صغيراً عرفنا أنهم قد حملوا التهمة نيابة عن آبائهم خوفا من ضياع مستقبل الأسرة باعتبار الأب هو عائلها الوحيد . وسبب معرفتنا بهؤلاء هو أن بعضهم كانوا يتطوعون لخدمتنا خلف القضبان . وكانت تدور بيننا مناقشات وحوارات فهمنا منها هذه الأمور . إن ما تعرفنا عليهم فى هذا الخصوص هم شباب وقعوا ضحية مفاهيم خاطئة مازالت منتشرة عندنا . أيضاً بخلاف هؤلاء وهؤلاء . . لقد صادفنا نوعية جيدة من رجال البوليس الذين كانوا يحملون لنا كل الود ، بل والتعاطف وحسن المعاملة والفهم .

● وبالنسبة للسياسيين . . هل مازالت بينكم وبين الذين التقيت بهم فى السجن علاقات حتى الآن . ؟!

●● نعم هناك بالفعل علاقات . . مثل علاقتي الآن بالدكتور اسماعيل صبرى عبد الله الذى كنت أعرفه من قبل . . لكننى عرفته جيداً داخل القضبان . أيضاً الدكتور فؤاد مرسى كما حكيت لك . أيضاً عبد الفتاح باشا حسن وكذلك الاستاذ هيكل . . رغم أننى كنت أعرفه من قبل إلا أننا فى داخل السجن تعارفنا أكثر واقتربنا من الواقع أكثر . . رغم أنه وقت أن كنت بالسجن فى المرة الأولى كان هو لايزال يعيش بالقرب من السلطة إلا أنه قد لحق بنا خلف القضبان فى المرة الثانية أيام اعتقالات سبتمبر .

● لأن السياسى القدير محمد فايق قد عايش تجربة السجن عملياً لمدة عشر سنوات فى الماضى وبصفته موجوداً الآن على رأس المنظمة العربية لحقوق الإنسان . . ما رأيك فى سجون مصر الآن . . وماهو السبيل لإصلاحها ؟! .

●● إننى أتمنى أن تكون نظرة المسئولين على السجون أفضل مما هى عليه الآن . أيضاً أتمنى أن أرى السجون تتبع وزارة الشئون الاجتماعية أو العدل . فلا تزل بعض المفاهيم داخل السجن تخالف حتى اللوائح التى وضعتها وزارة الداخلية نفسها . لكن بشكل عام إذا ما قارنا السجون فى مصر بالسجون فى بعض البلاد العربية ، . حتماً هناك فرق كبير لصالح السجون فى مصر رغم مايتردد عما بها من تجاوزات . والحقيقة أننى لايجب أن أقارن مصر بغيرها من دول العالم الثالث فى هذا الأمر بالذات لأنه يجب أن أقارن بين مصر وبين غيرها من الدول المتقدمة . وبشكل عام أستطيع أن أقول لك إن النظرة العقابية مازالت تحكم السجون فى مصر خصوصاً بالنسبة للسياسيين . للدرجة التى كانت تجعل السياسى حين يتم التشديد عليه فى المعاملة لأنه سياسى . . يزعق وينادى من خلف القضبان أنه تاجر مخدرات أو مجرم وليس رجل سياسة !! أيضاً داخل السجن هناك التفرقة الطبقية بمعنى أن من يملك المال والسجائر خلف القضبان يعيش حياة تختلف عن حياة الآخرين الذين لايملكون . . ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى انخفاض مستوى معيشة السجانين الذين ينتظرون مثل هذه الإتاوات ـ إن جاز هذا التعبير ! ـ للدرجة التى تجعلنى أقول بالفعل إن ما يملك الأموال يعيش خلف القضبان ملكاً . أما من لا يملك فتهدر آدميته ويعيش معيشة الكلاب ! . لذلك تجدنى أطالب بتغيير تلك النظرة للسجن فى مصر .





●●على سلامة :

من الذى اعتدى على زكى بدر تحت قبة مجلس الشعب ؟!.

لعلك سوف تشاركنى إحساسى بأهمية إجراء مثل هذا الحوار . . ضمن سلسلة الحوارات الأخرى التى تضمها هذه الأوراق . . عن تجربة السياسيين المصريين المعاصرين خلف القضبان . . مع السياسى المخضرم على سلامة . . عضو مجلس الشعب عن حزب الوفد . . وصاحب أشهر المعارك التى نشبت تحت قبة مجلس الشعب منذ سنوات غير بعيدة والتى راح ضحيتها اللواء زكى بدر وزير الداخلية الأسبق .

والإحساس بهذه المشاركة من جانبك عزيزى القارىء نابع أساساً من الحرص على الوقوف على بقية ملامح الصورة التى تبين أحوال هؤلاء السياسيين على اختلاف مواقعهم السياسية وانتماءاتهم الحزبية خلف الأسوار العالية . بحيث لا تقتصر الصورة فقط على هؤلاء السياسيين الذين تولوا مناصب وزارية متنوعة ومتعددة . . أو الذين تولوا مناصب قيادية داخل أحزابهم السياسية .

ولقد اكتشفت فى ذلك السياسى المخضرم على سلامة سياسيا من الدرجة الأولى حتى

قبل أن أقابله لإجراء هذا الحوار . . ولعل المتابع مثلنا لما كان يحدث تحت قبة مجلس الشعب فى السنوات القليلة الماضية يشهد بذلك . . سواء فيها يتعلق بالقضايا العامة . . أو القضايا السياسية التى كان له باع طويل فى تفجيرها أو فى مناقشتها . .

وقد ارتبط اسمه أكثر بواقعة الاعتداء على الوزير زكى بدر داخل مجلس الشعب . وما أحاط هذه الواقعة من ملابسات أدت فى نهاية الأمر إلى خروج عضو من أعضاء مجلس الشعب عن حزب الوفد من المجلس النيابى بعد رفع الحصانة عنه من قبل لجنة القيم . .

وبالنسبة لحديث هذا الحوار . . فلسوف نترك الكلمات حين يدور شريط التسجيل تقدم الرجل وفكره السياسى ودوره سواء داخل حزب الوفد الذى ينتمى إليه منذ أكثر من ستين عاماً . . أو خارج الشارع السياسى . . فالأسئلة كثيرة ومتنوعة . . بعضها شخصى والبعض الآخر يلف ويدور حول التجربة الشخصية السياسية داخل السجن وخارجه بالنسبة لعلى سلامة . .

وبعد فأرجو الاستئذان لإدارة جهاز التسجيل . . وسماع ما فى الشريط . . ومن ثم محاولة نقل كل ما فيه بتفاصيل أكثر . . وهذه العملية قد تستغرق ساعة أو أكثر . . لا يهم . . فالمطلوب الآن هو نقل السؤال بصوتى . . والإجابة بصوت ضيفنا الأستاذ على سلامة . .

❊ ❊ ❊

● الأستاذ على سلامة السياسى القدير . . مكتوب على لوحة مكتبك . . وكيل وزارة بالمعاش . . هل هناك تعريفات أخرى تخصكم بخلاف ذلك ؟ ! .

●● فى الواقع أنا بدأت عملى السياسى عام ١٩٣٥ . . مشاركاً فى المظاهرات أيام وزارة توفيق نسيم باشا . . والتى انتهت بتكوين الجبهة الوطنية . . وكنت وقتها طالباً بالمدارس الثانوية . هذه الجبهة تكونت من جميع الأحزاب . . وأنا كنت وفدياً . . ومازلت وفدياً منذ ذلك التاريخ البعيد حتى اليوم . ولعلنى أفخر اليوم ولسنوات طويلة قادمة بأننى كنت أحد الذين ساهموا فى عودة حزب الوفد من جديد إلى الحياة السياسية . .

● وكيف تم ذلك يا أستاذ على ؟!

●● لقد كنت عضواً بمجلس الشعب عام ١٩٧٨ عن دائرة شبرامنت جيزة . وكنت أحد ثلاثة أعضاء برلمانيين دخلوا مجلس الشعب مستقلين ولكننا كنا ننتمى لحزب الوفد القديم . حيث لم يكن هناك أحزاب وقتها . . كانت هناك فى ذلك الوقت تنظيمات سياسية معروفة باسم « المنابر » . وهؤلاء الثلاثة هم : عبد الفتاح باشا حسن وزير الشئون الاجتماعية الأسبق ، وطلعت رسلان نائب الشرقية ونائب شبرامنت جيزة على سلامة .

وفى ظل قانون الأحزاب الجديد . . فقد قمت بدور تجميع توقيع أكثر من عشرين نائباً كما نص على ذلك القانون كشرط لعودة حزب الوفد إلى الشارع السياسى . وكنت داخل مجلس الشعب أقوم بجمع هذه التوقيعات من الأعضاء الراغبين فى الانضمام للحزب حتى يعود إلى الحياة السياسية . من ناحية أخرى كنت فى ذلك الوقت الذراع اليمنى للزعيم فؤاد سراج الدين فى هذا الصدد . .

● بهذه المناسبة دعنى أسألك . . هل كانت بينكم وبين فؤاد سراج الدين اتصالات من أجل هذه المهمة . . أم كان ذلك مبادرة شخصية منك ؟! .

●● إن صلتى بفؤاد سراج الدين لم تنقطع منذ تعرفت به كوزير للزراعة عام ١٩٤٢ . . وكانت هذه المعرفة قد تمت فى ميدان السياسة أيضاً . . لأن مكرم عبيد فى هذا الوقت المبكر كان قد ألف الكتاب الأسود ضد مصطفى باشا النحاس . . الأمر الذى جعل فؤاد باشا سراج الدين يرد عليه رداً عظيماً . ولعلك والكثير يعلمون مدى بلاغة مكرم باشا فى أسلوبه وعباراته . . فى هذا الوقت كنت أعمل موظفاً بوزارة الزراعة . . وكنت رئيساً أيضاً للجنة الوفد فى قريتى منذ عام ١٩٣٥ . وبمناسبة نجاح فؤاد باشا فى رده على مكرم عبيد ، انطلقت مع العديد من موظفى وزارة الزراعة من أجل تهنئة فؤاد باشا ذلك الوزير الشاب الذى لم يكن سنه فى ذلك الوقت قد تعدى الثلاثين عاماً . وقد دعتنى وطنيتى وحبى للوفد أن أنطلق فى موقف خطابى أمام فؤاد باشا للإشادة به وبموقفه السابق . . ومن هنا نشأت الصلة بيننا . وظلت هكذ حتى يومنا هذا رغم تعرضها لبعض الصعاب بحكم موقعى فى العمل العام كموظف . . خاصة لدى بعض الزملاء الذين

كانوا يحقدون على هذه العلاقة التى نشأت فى ذلك الوقت بين الوزير وبين أحد الموظفين .

● قبل أن نعود للحديث بسؤالكم عن قصة رجوع حزب الوفد الجديد إلى الشارع السياسى لاستكمال ما بدأناه منذ لحظات . هل لنا أن نعرف تاريخ مواقعكم المختلفة داخل حزب الوفد القديم ؟! وخاصة قبل ٢٣ يوليو ؟!.

●● قبل هذا التاريخ بالذات كنت قد وصلت داخل الحزب إلى منصب سكرتير لجنة السودان كلجنة متخصصة ومنبثقة عن الحزب . ومن خلال هذا الموقع حضرت الكثير من الاجتماعات المصرية السودانية أيام إسماعيل الأزهرى رئيس حزب الاتحاد السودانى . وكانت صلتى بالوفد كحزب مستمرة حتى بعد انتهاء موعد العمل الرسمى لقد كنت يومياً . . أتوجه إلى مقر النادى المصرى التابع للحزب .

● وأين أنتم الآن داخل حزب الوفد الجديد ؟! .

●● الآن . . أنا أعمل سكرتيراً عاماً مساعداً لحزب الوفد الجديد ورئيساً للجنة الشئون الاجتماعية واللجنة العامة لمحافظة الجيزة . .

● وداخل الحياة العامة . . أين أنتم الآن ؟! .

●● أنا خرجت على المعاش وكيلاً للوزارة بهيئة الأوقاف المصرية . وهى صفتى حالياً فى الحياة العامة . .

● لو أردنا أن نستكمل قصة دوركم فى عودة حزب الوفد الجديد . . فماذا تقول ؟! .

●● لقد لعبت الظروف دورا جميلاً فى استمرار علاقتى بفؤاد سراج الدين . . لأننى كما ذكرت لك أن هذه العلاقة لم تنقطع على مدى هذا العمر الطويل . . وقد نصحنى عام ١٩٧٦ ألا أدخل مرشحاً مستقلاً لمجلس الشعب كى لا أتعرض لمشاكل باعتبارى عضوا قديما فى حزب الوفد . . ولكن ومع إصرارى على خوض التجربة لإيمانى بمبادئى السياسية أقنعته بضرورة أن أخوضها .

وهذه كانت أول دورة برلمانية أشارك فيها . . والحمد لله فقد نجحت ضد منافس لنا

كان من الشباب الذى رفع آنذاك لافتات الاتحاد الاشتراكى ودوره فى الحياة السياسية وكأنما كان يتهكم على وجودى داخل هذه الانتخابات باعتبارى من السياسيين القدامى . . وقد أثبتت المعركة الانتخابية أن حزب الوفد لا يزال له رصيد كبير فى الشارع السياسى . . رغم ما أخذ يردده ذلك المنافس من أننى أنتمى إلى الأحزاب المتعفنة ! .

ورغم أنه فى أخريات الأيام وقبيل الانتخابات بساعات معدودة عرض علىّ أن نلعب لعبة التزوير . . فرفضت . . وبالتالى نجحت . لقد أخذت أردد وقتها أن ممثل الشعب الذى كان ينتمى إلى الأحزاب المتعفنة قد نجح . . وسقط صاحب مبادىء الاتحاد الاشتراكى .

وبعد هذا النجاح المبهر . . كنت وما زلت على علاقتى الأولى بفؤاد سراج الدين . وقد اقترحت أن أجتمع به أنا ومجموعة من السياسيين القدامى الذين نجحوا مثلى فى مجلس الشعب كمستقلين . . من أجل عودة حزب الوفد . . وبعد عقد هذا الاجتماع بدأت فعلاً فى جمع التوقيعات المطلوبة التى كان يشترطها قانون الأحزاب فى ذلك الوقت من أعضاء مجلس الشعب . ولا أنسى تلك العبارة التى سمعتها فى ذلك الوقت من المهندس سيد مرعى رئيس مجلس الشعب فى ذلك الوقت . . من أننى أجمع توقيعات لعودة حزب على سلامة !! فاعترضت بشدة وقلت له : إنها عودة حزب الوفد . . وليس حزب على سلامة ! .

ولعلى هنا أقول لك وبكل أمانة أننى رغم نجاحى تحت قبة البرلمان فى الفوز بجمع أكثر من عشرين توقيعاً لعودة الحزب فلم أسع لعضوية الهيئة العليا للحزب فى ذلك الوقت . ولم يترك ذلك أى أثر فى نفسى . . لأننى كنت أسعى بكل قوتى لعودة الحزب حفاظاً على مبادئنا السياسية . إلا أن فؤاد سراج الدين قد اختارنى كأحد اثنين سكرتارين مساعدين للحزب . . أنا والسياسى القدير كرم زيدان . وفى الانتخابات الأخيرة داخل الحزب تم انتخابى ضمن خمسين عضواً بالهيئة العليا للحزب . . وكان ترتيبى الثالث فى الأصوات ومن ثم رشحت نفسى مرة أخرى سكرتيراً مساعداً للحزب وإلى الآن .

● **وكم دورة كنتم فيها عضواً برلمانياً عن حزب الوفد ؟! .**

●● ثلاث دورات . . هى دورة ١٩٧٦ و ١٩٨٤ و ١٩٨٧ . وفى الدورة الرابعة التى أجريت عام ١٩٧٩ . . وهى المرة الثانية فى الترتيب العام نجحت بالفعل . . ولكننى لم أدخل المجلس . . وهذا راجع لأن السادات قد خطط ألا يدخل البرلمان أى عضو من أعضاء حزب الوفد لموقفه من اتفاقية كامب ديفيد . لذلك حرمنا جميعاً ما عدا عضو واحد فقط هو الشيخ المرحوم صلاح أبو إسماعيل الذى كان الوفدى الوحيد . . والذى كان المتحدث باسم الوفد تحت قبة البرلمان فى ذلك الوقت .

● وبمناسبة الحديث عن عضويتك لمجلس الشعب . . نريد أن نعرف بالتفصيل قصة المعركة اليدوية التى نشبت بينك وبين وزير الداخلية الأسبق زكى بدر ؟! .

●● هذه المعركة كانت بدايتها عام ١٩٨٥ . . فى آخر دورة لمجلس الشعب وكنت عضواً فيها عن حزب الوفد . . وتعود هذه القصة إلى اعتداء أحد ضباط نقطة بوليس الكوم الأحمر على أحد المواطنين فى شهر مارس من عام ١٩٨٥ وكنا وقتها فى شهر رمضان . . الأمر الذى أدى بالوزير زكى بدر . . وزير الداخلية آنذاك بحشد حملة من رجال البوليس لمحاصرة هذه القرية . . وتأديب الأهالى عقاباً لهم على التحرش بهذا الضابط . ولك أن تتصور معنى حملة تأديبية يقوم بها رجال البوليس . . فقد انتهكوا الأعراض وفتشوا المنازل ليلاً وتم اعتقال العشرات من أبناء هذه القرية . وهذه القرية تقع ضمن دائرتى الانتخابية .

المهم انتظرت لحين فك هذا الحصار . . واستطعت الحصول على العديد من التسجيلات التى تثبت انتهاكات رجال البوليس وتعدياتهم على الأهالى وممتلكاتهم . ثم أخذت مندوباً صحفياً من جريدة « الوفديين » التى كانت تصدر عن فرع الحزب بالجيزة من أجل أن نسجل كل هذه الانتهاكات . .

ولقد تمكنت من جمع أدلة اتهام دامغة عما ارتكبه رجال البوليس فى هذه القرية . وتقدمت بناء على ما جمعته باستجواب لوزير الداخلية فى مجلس الشعب ، وشاركنى فى هذا الاستجواب ثلاثة أعضاء آخرين . . إلا أننى كنت أول من تقدم بهذا الاستجواب . . وعلى ما أذكر كان هؤلاء هم المرحوم صلاح أبو إسماعيل ومختار نوح من حزب العمل وعضو آخر لا أذكر اسمه وكان أيضاً ينتمى لحزب العمل .

وفى الجلسة المحددة لنظر الاستجواب تحدثت عن هذه الواقعة بما لدى من أدلة ومستندات وصور وتسجيلات صوتية . وهاجمت وزير الداخلية زكى بدر هجوماً كبيراً . . وبعد الانتهاء من إلقاء كلمة الاستجواب توجهت إلى الوزير لتبادل التحية . . معبراً عن الفرق بين العلاقة الشخصية وبين العمل السياسى . . وهذا السلوك قد أثار دهشة العديد من بقية الأعضاء الذين أكدت لهم نفس المعنى وأن الاحترام المتبادل بيننا واجب . ثم تبعنى بعد ذلك بقية الأعضاء الذين تحدثوا فى نفس القضية .

● وماذا عن واقعة الاشتباك بالأيدى ؟!

●● بعد إلقاء الثلاثة الأعضاء بياناتهم . . تحددت جلسة كى يرد فيها الوزير زكى بدر على ما قدمته من اتهامات صريحة للشرطة فى استجوابى السابق . وفى اليوم التالى . . فعلاً تقدم الوزير للرد على هذا الاستجواب . وبدأ يتحدث . . فبدرت منه عدة تجاوزات تمس الأعراض والبيوت لبعض الشخصيات التى لم يكن لها علاقة بهذا الموضوع . . مثل فؤاد باشا سراج الدين والشيخ صلاح أبو إسماعيل . مما أثارنى وفجر بداخلى الغضب . وللحقيقة والتاريخ أقول إننى المسئول الأول عن إشعال الثورة ضد وزير الداخلية تحت قبة مجلس الشعب فى هذه الآونة . . فقد قمت من مكانى وتوجهت إلى منصة رئيس المجلس المرحوم الدكتور رفعت المحجوب . . كى أطلب منه التدخل لوقف تجاوزات الوزير فى الألفاظ والعبارات . وتعالت الأصوات من ورائى خاصة لأعضاء المعارضة وكان فى مقدمتهم إبراهيم شكرى رئيس حزب العمل وبعض زملاء حزب العمل . . وكان أيضاً الزميل عضو حزب الوفد طلعت رسلان الذى تقدم من المنصة التى كان يلقى فيها الوزير كلمته وصفعه بالقلم على وجهه . .

● من ضرب من يا أستاذ على ؟! .

●● بقولك الأستاذ طلعت رسلان عضو مجلس الشعب عن حزب الوفد هو اللى تقدم من الوزير زكى بدر وصفعه على خده !! . عندئذ ثارت القاعة واشتعلت الثورة . وتدخل رئيس المجلس لإنهاء هذا الموقف . وفى اليوم التالى تم عرض الأمر على لجنة القيم التى قررت فوراً وللأسف إسقاط عضوية طلعت رسلان من المجلس . .

وكانوا فى ذات الوقت يريدون إسقاط العضوية عنى باعتبار أنى كنت المتسبب فى هذه الثورة . . إلا أن الأعضاء قد دافعوا عنى باعتبارى لم أتجاوز القول إلى الفعل ! . وأن واقعة الاعتداء كان طرفها العضو طلعت رسلان فقط . وهكذا تم إسقاط العضوية عن زميلى عضو مجلس الشعب وعضو حزب الوفد . . وكنت أنا المتسبب فى ذلك . . رغم أننى نجوت من مذبحة لجنة القيم .

● كم مرة دخل فيها السياسى على سلامة السجن . . ولماذا ؟! .

●● رغم طول فترة اشتغالى بالعمل السياسى التى بدأت منذ عام ١٩٣٥ . . ومما يجدر الإشادة به أننى لم أدخل السجن طوال فترة العهد الملكى . وكل ما أصبت به عقاباً على عملى السياسى هو نقلى من مقر عملى من القاهرة إلى أسوان . . وده كان عام ١٩٤٥ . . وكان ذلك أول عقاب لى مقابل عملى السياسى بعيداً عن الاعتقال .

وقد كان كثير من السياسيين يرفضون تنفيذ النقل ويستقيلون من أعمالهم . . ولكننى رفضت هذا المبدأ . . وقبلت الانتقال فى سبيل هذه المبادىء السياسية التى كنت وما زلت أؤمن بها . . طوال مدة خمس سنوات . . التى كانت مدة هذا النقل .

بخلاف ذلك تم القبض علينا فى ذلك العهد أيضاً للتحقيق معنا فى قسم عابدين . . واستطعت أن أقنع المحقق ببراءتى . فقد كنت فى زيارة خاصة لأحد أقاربى . . لذلك أفرجوا عنى بعد ساعات . . أما بعد ثورة يوليو فقد تم اعتقالى مع بداية هذه الثورة أو هذه الحركة . . عام ١٩٥٢ . . وعلى ما أعتقد فإن هذا الاعتقال قد تم إما فى أواخر يوليو أو أوائل أغسطس . . والسبب كان ذلك الاجتماع الذى عقدناه فى مقر شباب الوفديين لتأييد حركة ضباط الجيش !! لقد كنت أحد خطباء هذا الاجتماع الذين أعلنوا هذا التأييد المبكر. ومع ذلك تم اعتقالى . . لأننى قد اكتشفت أن ما نقل إلى هؤلاء الضباط عنى هو هجومى على الثورة ! . وهذا بالفعل لم يحدث . وبالفعل وفى أثناء التحقيق ثبت عكس ما نقل إليهم . . لذلك أطلقوا سراحنا بعد انتهاء التحقيق بعدة ساعات أيضاً .

أما أطول فترة اعتقال قضيتها خلف القضبان . . فكانت بسبب الاشتراك فى إحياء ذكرى النحاس باشا فى ١٠/ ١٠/ ١٩٦٥ . . أى بعد رحيل زعيم الوفد بأربعين يوماً أو

يمكن أكثر من ذلك بأيام . وكانت هناك نية مبيتة لاعتقالى فى احتفالات ذكرى الأربعين للسياسى العظيم النحاس باشا . . ولكننى لم أحضر هذه الاحتفالات بناء على نصيحة لأحد الأصدقاء . ثم أطلقوا سراحى فى ١٤/ ١١/ ١٩٦٧ . . أى ظللت مسجوناً لمدة ٢٥ شهراً وثلاثة أيام .

● وهل تم اعتقالكم هذه المرة . . بعد إجراء محاكمتكم . . ؟!.

●● على الإطلاق . . بل إنهم حتى لم يسألونى عن شىء . . لقد اعتقلونى أيضاً بدون إبداء الأسباب ؟! .

● وما هى السجون التى قضيتم فيها هذه الفترة من الاعتقال ؟! .

●● لقد قضيت هذه المدة فى سجون القلعة . . ثم سجن طرة . . يعنى تقدر تقول إننى قضيت هذه الفترة ما بين القلعة وطرة . . أما بقية زملائى الذين تم اعتقالهم قبلى بأيام فقد ذهبوا إلى سجن الفيوم . . ثم إلى أبى زعبل ثم سجن طرة . .

● وهل كانت هذه هى المرة الأخيرة ؟! .

●● بالفعل كانت كذلك . . مما جعل العديد من زملائى السياسيين يعتبروننى سعيد الحظ . . حيث لم أذق السجن طوال فترة عملى الطويلة داخل الشارع السياسى سوى هذه الفترة البسيطة . . بالقياس إلى غيرى من السياسيين حتى من أعضاء حزب الوفد . وكانوا كثيراً ما يقولون إننى لا بد وأن أدفع ثمن عملى السياسى . . وها أنا قد دفعته ولكن فى أقل الحدود !! .

● هل هناك علاقة بين العمل السياسى وبين عقوبة السجن ؟!

●● لا بد أن يتوقع كل من يشتغل بالسياسة أن تصيبه هذه العقوبة . ولا بد كذلك أن يضع فى ذهنه أنه من الضرورى أن يدخل خلف القضبان . خاصة إذا كان يقف فى خندق المعارضة . أما إذا كنت مؤيداً فلا يمكن أن أتصور أن تدركنى هذه العقوبة .

● وهل ارتباط هذه العقوبة بالعمل السياسى . . يعتبر من أسس الحياة الديمقراطية؟!

●● على الإطلاق . ولا يجب الربط بين العمل السياسى وبين عقوبة السجن لأنها ليست من سمات العمل الديمقراطى الصحيح . . فالسياسى ليس مجرماً حتى يُسْجَن . . ولكنه صاحب رأى وصاحب عقيدة . . وأى سياسى أنا أعتبره رجلا وطنيا . . وحتى لو أن الحاكم قد اعتبر المعارض خطراً عليه ويجب التخلص منه بسجنه . . فنحن نرحب بذلك ، بشرط أن يكون هذا السجن فى أماكن تليق به وبعمله وبأفكاره ووطنيته . ويمكن أن نطلق عليه سجن السياسيين . وما يدعونى إلى المطالبة بذلك . . تلك المعاملة السيئة واللاإنسانية التى كنا نلقاها خلف القضبان . تماماً مثل المجرمين من المرتشين واللصوص والقتلة . . بل لقد كنا نعامل أسوأ من هؤلاء ! ! .

إذن يجب أن يعاد النظر فى ذلك ، ونعود إلى ما كان قبل الثورة من إجراءات كانت تقتصر فقط على تحديد إقامة رجل السياسة إذا ما كان الحاكم يريد تحجيم نشاطه أو التخلص من معارضيه . ولكن لا يجب فصله عن حياته الأسرية والعائلية . وأنا شخصياً قد عانيت من هذا الفعل . . فقد مرت بى أحداث وبأسرتى لم أعلم بها إلا بعد خروجى . لقد كان السياسى منا خلف القضبان مثل الميت الحى .

○ الأستاذ على سلامة . . دعنا نعيد على مسامعك سؤالاً قد أجبت على جزء منه . . ولم تكمل بقية الإجابة . . هذا السؤال تقول كلماته : وهل عقوبة السجن من الممكن أن تنتظر السياسى المؤيد . . ؟! . . أم هى فقط قاصرة على السياسى المعارض ؟! .

●● وكيف تنتظر مثل هذه العقوبة السياسى الذى يؤيد الحاكم ؟! . إن هذا الحاكم تكون كل مهمته أثناء وجوده على كرسى الحكم هو إسكات أصوات المعارضة . . لذلك تجد السياسى المؤيد بعيدا تماماً عن مثل هذه العقوبة . إلا فى حالة واحدة فقط وهى إذا ما كان بين هذا السياسى المؤيد وبين السلطة الحاكمة خلافات جانبية سوف تؤدى إلى أن يكشف هذا السياسى أسراراً تمس هذه السلطة . وهناك فى تاريخنا الحديث عدة أمثلة . . منها ما وقع للمشير عبد الحكيم عامر . . وكمال الدين حسين . . والمرحوم عبد العظيم أبو العطا . . وهؤلاء هم فقط الذين عرفنا حكاياتهم من واقع ما أذيع . . لكن من المؤكد أن هناك حالات كثيرة بهذا الشكل لم يفصح عنها .

● إننا نقترب كثيراً يا على بك من صلب أسئلتنا السياسية . . حين نقول : هل من الملائم وفقاً لمبادئك الحزبية أن يكون وزير الداخلية من رجال الشرطة ؟ أم أنه منصب سياسى بحت ؟! .

●● أنجح وزير للداخلية على الإطلاق كان فؤاد سراج الدين وهو رجل مدنى ورجل سياسة . . وبشكل عام نجد أن الديمقراطية تفترض أن يكون الوزير رجل سياسة . . وهناك مئات من الأمثلة التى كانت سائدة وفقاً لهذا المفهوم قبل ٢٣ يوليو بخلاف مثال فؤاد سراج الدين . . لقد تولى وزارة الصحة أحد المستشارين . . وهو لم يكن أبداً من الأطباء ! . وحتى وزير الحربية لم يكن من ضباط الجيش . وكلنا نذكر الوزير « مصطفى نصرت » الذى يرجع إليه الفضل فى إنشاء المصانع الحربية .

ودعنى أقول لك إن النظم الشمولية التى مرت بمصر فى فترة ما بعد ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ هى التى أصلت بداخلنا مفهوم الوزير المتخصص وغير السياسى . والدافع الذى كان وراء هذا السلوك هو انعدام الممارسة السياسية داخل الشارع السياسى وبالتالى اختفاء الكفاءات السياسية . . مما جعل حكومات الثورة تلجأ للمتخصصين فى كل فروع الحياة من أجل أن تعيينهم فى مناصب الوزراء . وهؤلاء ليسوا إلا موظفين فقط . . ينفذون ما يملى عليهم دون اعتراض أو مناقشة .

ولو عدنا للوراء قليلاً نجد أن الوزير السياسى كان يختلف كثيراً عن الوزير الموظف . . وذلك حين يختلف مع الحكومة أو تفرض عليه سياسة داخل وزارته تخالف مبادئه السياسية . . فلا يكون أمامه من طريق سوى الاستقالة . ولكن بالله عليك قل لى كم وزيرا منذ قيام الثورة حتى الآن قدم استقالته ؟! طبعاً لا أحد ؟!! . وللأسف إن كل هؤلاء يتم طردهم . . ويقال إنهم قد استقالوا ! . وفى الحقيقة أنهم طردوا وأُقيلوا . .

وخلاصة القول : . . إنه لا بد وأن يكون منصب الوزير منصباً سياسياً بحتاً ، وفى ظل حياة ديمقراطية صحيحة . ولا يمنع أبداً فى إطار هذه الممارسة أن يكون من بين هؤلاء السياسيين رجل متخصص فى الطب أو فى الزراعة . . ويتم تعيينه أو اختياره فى هذا التخصص . أيضاً بشرط أن يكون أولاً رجل سياسة ، وقبل أن يكون رجلاً متخصصاً .

ودعنى أذكر لك مثالاً آخر على هذه النظرة الديمقراطية الواسعة خاصة داخل حزب الوفد .. فقد رفض النحاس باشا اختيار حيدر باشا وزيراً للحربية لسببين : الأول منهما : أن الفريق حيدر باشا لم يكن وفدياً .. وثانياً : أن هذا المنصب لا بد وأن يتولاه رجل السياسة .. والقوات المسلحة كجهاز قومى لا علاقة لها بالسياسة .. وكذلك رجل الشرطة . كان ممنوعاً عليه الاشتغال بالسياسة . ومعنى أن يكون الوزير رجل سياسة .. لأنه ينفذ سياسة حزبه الذى يرأس الحكومة .. فإذا لم يوفق فى ذلك على رئيس الحكومة أن يستبدله بوزير آخر على نفس مبادىء حزبه .

● **ما هو تعريف عقوبة السجن من وجهة نظر رجل السياسة ؟! .**

أولاً يجب أن أؤكد لك على شىء مهم جداً .. وهو لا بد وأن تبتعد النظم السياسية على اختلاف أشكالها عن سجن واعتقال رجل السياسة وهذا الأمر يحترمونه جيداً فى البلاد الديمقراطية. ولا تجد سياسياً يسجن إلا فى الدول المتخلفة ودول العالم الثالث . لأن عقوبة السجن فى الأساس تتعارض مع قيم ومبادىء الديمقراطية .

وبشكل عام نجد أن السجن فى نظم الحكم الشمولى ، ينطوى على أداة عقاب لرجل السياسة المعارض من أجل إسكات صوته أو التخلص من معارضته .

● **وهل هناك دور يمكن أن تؤديه عقوبة السجن فى حياة رجل السياسة ؟! .**

●● كما ذكرت لك من قبل .. أنه فى ظل الحكم الشمولى الذى يستوجب عقوبة السجن لرجل السياسة ، ومع التسليم بأهمية هذه العقوبة بالنسبة للحاكم الفرد .. فيجب عليه توفير أماكن خاصة يتم فيها تحديد إقامة رجل السياسة .. لأنه من المفروض أن يكون الهدف الأساسى من وراء هذه العقوبة .. هو فصل رجل السياسة عن عالمه ومؤيديه .. وبالتالى للحد من نشاطه ومعارضته . وأن يكون له داخل هذا السجن الخاص مطلق الحرية فى أن يمارس حياته العائلية كما يجب أن تكون وأن يمارس أنشطته المختلفة من قراءة ورسم وأيضاً الاستماع إلى الإذاعات وخلافه .

أيضاً يجب أن تكون له الحرية فى أن يكتب من داخل هذا السجن كما يشاء .. بل

ويكون على علاقة بحزبه وجماعته السياسية . . بشرط ألا يختلط بالجمهور . . وهذا هو المفهوم الصحيح لمثل هذه العقوبة فى حالة إقرارها . . والأخذ بها . لأن رجل السياسة فى الأساس رجل فكر ومبادىء ولا يجب حرمانه منها أو الانفصال عنها .

ولعل هذه صورة وردية لما يجب أن يكون عليه السجن . . ولكن ما لقيناه فى ظل سجون الثورة . . شىء غير إنسانى بالمرة . . ولن أغالِىَ حين أقول لك . . إن رجل السياسة فى ظل هذه السجون قد تحول إلى حيوان . . كل عمله اليومى أنه يأكل ويشرب ويُعذب أيضاً !! .

● هل هناك صلة بين اعتقال رجل السياسة . . وبين المفكر ؟! .

●● كل منهما صاحب رأى . . لذلك تجد بالفعل هناك علاقة وصلة وثيقة . . وحين ندعو إلى عدم اعتقال رجل السياسة . . فنحن كذلك ندعوا فى الوقت نفسه لعدم اعتقال رجل الفكر . لذلك تجد حتى العقوبة واحدة والغرض منها كذلك واحد . . وهى إسكات الصوت المعارض للحاكم . وهنا لا بد من التعامل مع السياسى بنفس الأسلوب الذى يتم فيه التعامل مع المفكر ! . مع أن هناك فارقا واحدا فقط بين رجل السياسة والمفكر . . هذا الفارق يتضح فى أن السياسى يزيد على المفكر من حيث الممارسة الحزبية . . والسعى إلى تحويل المبادىء إلى واقع ملموس من خلال الالتحام بالجماهير . . ونقل ما تعانى منه إلى حيز الاهتمام . .

● الأستاذ السياسى المخضرم على سلامة . . هل ما يزال يذكر بعض الشخصيات التى التقى بها خلف القضبان ؟! وهل ما زالت بينكم وبين أحد هؤلاء إن . . وجد علاقات حتى الآن ؟! .

●● فى البداية أحب أن أقول لك . . إن إقدام أى حاكم على اعتقال أى رجل سياسة . . هو بحق يرتكب فى حق نفسه أولاً أكبر جريمة . . لأن الجو خلف الأسوار العالية وداخل هذه المعتقلات . . وخاصة إذا كان عدد المعتقلين كبيرا كما يحدث فى كثير من الأحيان فهو يمثل مجتمعاً متكاملاً يموج بالغليان والسخط . . وبالتالى يفرز المزيد من الرغبة فى الوقوف فى وجه ذلك الحاكم الذى أتى بهؤلاء إلى خلف هذه القضبان . إن المعتقلات كثيراً ما تتحول إلى مجتمعات متكاملة الأركان ، وهنا نقترب كثيراً من سؤالك عن أهم ما يقابله الإنسان من شخصيات فى ظل هذه الظروف .

إنك بالفعل تقابل العديد من الناس من مختلف التخصصات والمهن ويبدو ذلك بصورة واضحة أثناء الفسح وأوقات الترويح عن النفس ، رغم أنك كثيراً ما تعيش لمدة تصل إلى عشرين ساعة بين أربعة جدران ! . وبالنسبة لى فقد تعرفت على الكثير من الإخوة السياسيين الشيوعيين ومن الإخوان المسلمين . . أذكر منهم الشيخ عبد الحميد كشك وهو من الرجال المعتدلين . أيضاً لن أنسى أبداً الأستاذ الكبير محمد شوكت التونى الذى تعرفت عليه فى عنبر النشاط المعادى ! .

● وماذا يعنى عنبر النشاط المعادى ؟! .

●● هذا العنبر . . أو هذا السجن قد خصصوه لكل السياسيين الذين كانت الثورة تجد فيهم نشاطاً ضد الثورة وضد ما تقوم به من أعمال . . ولم يكن الأستاذ شوكت التونى وحده داخل هذا العنبر ممن تعرفنا عليهم بل هناك كان أيضاً الأستاذ على عبد العظيم المحامى. وهناك بخلاف ذلك قائمة طويلة من الشخصيات السياسية والشخصيات العامة التى كانت لنا معها علاقات خلف القضبان مثل المفكر الراحل الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى . . وزوج الدكتورة درية شفيق وأخيه كان أستاذاً جامعياً . وللأسف لا أذكر أسماءهما الآن . ودعنى أقول لك إنه على مدى هذه السنوات الطويلة . . من عام ١٩٦٧ وحتى الآن فقد ضعفت ذاكرتى بحكم السن المتقدم .

● وهل من هؤلاء من ظللتم على علاقة بهم حتى بعد الخروج من وراء القضبان ؟! .

●● الأستاذ المرحوم شوكت التونى الذى استمرت العلاقة بيننا بشكل عظيم حتى يوم رحيله . فقد أهدانى كل مؤلفاته . . والشئ الجميل حقاً أننى ما زلت على علاقة ببعض أفراد أسرته . . ومنهم ابنه الدكتور حسن التونى . . الذى أعاد طبع كتب والده وأهدانى منها أيضاً .

● ومن خلال الممارسة والمشاهدة . . ما رأيكم فى سجون مصر الآن ؟! . وماذا ترون لإصلاحها ؟! .

●● السجون الموجودة الآن لا تصلح مطلقاً للآدميين . . ودعنى أضرب لك مثالاً

واحداً على تأثير هذه التجربة فيما يخصني كمشاهد وكممارس لهذه التجربة . لقد قاطعت اللحوم لمدة ٢٥ شهراً وأنا خلف القضبان . . ولك أن تتصور ما يقدمونه لك على أنه لحوم! .

● هل لنا أن نقطع هذا الحديث المسترسل . . كي نسأل . . كم كان عمرك حين تم اعتقالك عام ١٩٦٥؟! .

●● بحساب الطرح والجمع . . كان سني ٤٨ سنة . أما حين نعود لاستكمال حديث السجون أقول لك . . إن الأمر بهذا السوء لم يكن قاصراً على الأكل فقط . . بل أيضاً على النظافة . فهل يُعقل أن يغسلوا الأواني في بئر به ماء عفن !! . لقد شاهدت ذلك بنفسي . الأمر الذي جعلني أعيش طوال فترة الاعتقال على الجبنة والزيتون والطعمية والحلاوة . . وأحياناً « جرجير » أو أي نبات أخضر آخر ! . وما أنقذنا من هذه المشكلة إلا السماح بفتح أماكن لبيع الأغذية خلف القضبان بالفلوس . وأنا أعتبر أن مجرد السماح بمثل هذه الأكشاك خلف هذه القضبان . . كان عملاً طيباً جداً من إدارة السجن !! .

● وهل كنتم تبلغون بقرار العفو عنكم أو الإفراج بشكل مسبق ؟! . أم ماذا ؟! .

●● أبداً . . لم يحدث ذلك . . بل إنك كما يتم اعتقالك . . يتم العفو عنك أو الإفراج . . ولعل المعتقل حين يدخل السجن يعتبر نفسه ميتاً فلا يدري متى يخرج من هذا القبر . .

● وما هو سبب الإفراج ؟! .

●● أعتقد أنه كان نزوة من الحاكم . . تماماً كما كان الاعتقال ! . ولكنْ هناك ظروف خاصة قد أكدت هذه النزوة . . وهي وقوع نكسة ١٩٦٧ التي دمرت عبد الناصر من الداخل وحطمته بعد هذا التاريخ . فقد وافق على العفو عنا وخروجنا بعد وقوع هذه النكسة بأربعة أشهر فقط . أيضاً تصادف الإفراج عنا يوم عيد شهداء مصر الذين استشهدوا في نوفمبر من عام ١٩٤٥ . وهناك على ما أعتقد سبب آخر لا يعرفه سوى رجال حزب الوفد . . وهو رحيل زوجة النحاس باشا . . حيث اعتقد رجال الثورة أنه برحيل هذه السيدة الفاضلة ، فقد انقطعت صلتنا بالنحاس باشا وبالتالي فلا خوف

عليهم من إطلاق سراحنا !! . ولعلنى أقول لك إن مثل هذا التصرف كان يدل دلالة قاطعة على الفكر الهابط للحاكم الفرد .

● لم تقل لنا حتى هذه اللحظة . . كيف يتم إصلاح السجون ؟!. لذلك نريد استكمال الإجابة وقد كانت ضمن السؤال السابق . . !.

●● ببساطة شديدة أقول لك حين تسود الديمقراطية سوف ينصلح حال مصر كلها وكل المجتمع وليس حال السجن فقط . فإن الديمقراطية فى الحقيقة هى المدخل الصحيح لإحداث أى نوع من الإصلاحات فى مختلف المجالات . وبالديمقراطية يشعر الحاكم بنبض الجماهير ويحاول أن يحققها بكل ما يملك . . عندئذ سوف يسأل نفسه عن الهدف من وراء عقوبة السجن حتى للمجرم العادى . . إنها لا بد وأن تكون من أجل تقويمه وإصلاحه . حتى يعود من جديد إلى المجتمع مواطناً صالحاً ! . وليس من أجل تعذيبه والانتقام منه . وإذا كانت هذه النظرة تخص المجرم العادى فلا بد كذلك وأن يعدل هذا الحاكم فى ظل هذه الديمقراطية عن سجن السياسى . . لأنه ليس مجرماً . . بل هو رجل وطنى .

● وهل هناك طريق آخر يمكن أن يسلكه الحاكم للتعامل مع ا لسياسى المعارض غير وضعه داخل السجن ؟!.

●● فى ظل النظام الشمولى . . لا سبيل للحاكم الفرد إلا السجن لاعتقال خصومه . . وإلا لا بد لهؤلاء الخصوم من التحول لتأييده . أما حين تسود الديمقراطية فهناك العديد من الطرق التى يجب أن يتم التعامل بها مع السياسى المعارض غير عقوبة السجن . ولا بد للحاكم كذلك فى ظل الديمقراطية ألا ينظر إلى المعارض على أنه عدوه وخصمه . . بل يجب أن تكون المعارضة هى الجناح الثانى للحياة الديمقراطية . ولعل أقصر الطرق نحو تحقيق التكامل بين جناحى الديمقراطية أن يتم عقد لقاءات دورية بين رجال الحكومة وبين غيرهم من المعارضين من أجل إتمام الصورة المطلوبة للحياة الديمقراطية .

● دعنا يا أستاذ على نعود إلى الحديث عن القيم الأخلاقية فى العمل السياسى ونسأل

. . هل من حق حزب الوفد أن يبلغ السلطات الحاكمة عن أى عضو ينشق عنه لاعتقاله والزج به خلف القضبان ؟! أم ماذا ؟!.

●● لا يجب أن يحدث ذلك . . وينحصر الموقف حين يخرج أى عضو على مبادىء حزبنا أن يتم فصله . . لأنه قد أصبح نشازاً داخل الحزب . وبالنسبة لحزب الوفد هناك خطوات لا بد من اتباعها قبل تخلى الحزب عن العضو . . أولاً هناك لجنة للتحقيق مع العضو الذى خرج عن المبادىء المعروفة وهى لجنة القيم . وإذا ما تم إثبات هذا الخروج يتم عرض الأمر على الهيئة العليا للحزب التى تقرر فصله . وبالتالى التخلى عنه .

● هذا عن أهم الإجراءات . . أما من حيث النتيجة . . هل يتم الإبلاغ عنه من أجل اعتقاله . . عقاباً على هذا الخروج . . وهذا الانشقاق ؟!.

●● لا يحدث ذلك أبداً . . لسببين : الأول أن الانشقاق والخروج عن مبادىء الحزب والاختلاف مع هذه المبادىء لا يعتبر نوعاً من العداء . . وثانياً : أن القيام بهذا العمل قد يفهم منه إرضاء للحاكم . . وهذا لا يحدث فى العادة . . وعلى أية حال أحب أن أقول لك . . إن ما تصفه فى سؤالك عن التبليغ عن عضو الحزب المنشق لا يمت بصلة لأية أخلاق سياسية ويتنافى مع الأخلاق الكريمة ، التى يجب أن تكون المصدر الأول والأخير لأخلاق رجل السياسة .

● وهل يتحول عضو الحزب المنشق فى هذه الحالة إلى خصم للحزب ولأفكاره ؟!.

●● هذا من شأن الرجل السياسى المنشق وحده . ودعنى أقول لك : إن هناك سياسيين قد خرجوا على مبادىء أحزابهم بالاستقالة أو بالفصل . . إلا أنهم قد يستمرون على ولائهم لهذا الحزب . . لأنهم قد أحسوا بما ارتكبوه حين انشقاقهم الأول . . وهناك سياسيون من نوع آخر قد انشقوا بإرادتهم فكثيراً ما يتحولون إلى خصوم سواء بالانضمام إلى حزب جديد هو على خلاف مع الحزب الذى كانوا ينتمون إليه . . أو بالعمل على تكوين حزب جديد خاص بمبادئهم . وبالنسبة للنوع الأول من السياسيين الذين يظلون على ولائهم لحزبهم . . من الممكن أن يقرر الحزب مرة أخرى إعادتهم إليه . وفى هذه الحالة لا يكون العضو خصماً للحزب أبداً .

● **وهل حدث مثل ذلك داخل حزب الوفد ؟! .**

●● طبعاً حصل . . مثلما حدث مع ياسين سراج الدين . .حين تم فصله من الحزب . . فلزم الصمت ، وعاد وقدم اعتذارا عما بدر منه . . فعادت عضويته إليه من جديد .

● **وفقاً لخبرتك السياسية الطويلة . . متى يتم اعتقال رجل السياسة ؟! .**

●● لقد قلت لك من قبل إننى ضد الاعتقال . . ولكن فى حالة وجود النظم الشمولية . . لا أستطيع أن أقول لك متى ؟! . . ولكن الحاكم صاحب القرار هو الذى يعرف وفقاً لمفهومه الهابط الذى قاده إلى هذا الفعل . .

● **ومتى يتم مثل هذا الاعتقال وفقاً لمبادىء حزب الوفد ؟! .**

●● نحن فى حزبنا لا نقر إجراء الاعتقال . . وحتى لو عاد الوفد إلى الحكم ، وارتكب مثل هذا الإجراء . . أقول لك هذا على سبيل المثال وليس فى الواقع . . سوف أدافع عن هذه الاعتقالات وأقف ضدها حتى داخل حزب الوفد نفسه . والسبب يرجع إلى حبى لهذا الحزب ولرغبتى فى ألا تزل قدمه فى إجراء أرفضه ، ويتنافى مع مبادئى .

● **وبالمناسبة . . دعنى أقول للسياسى على سلامة . . وهل لو أنك أصبحت رئيساً للحكومة التى قررت اعتقالك . . فهل تسلك نفس سلوك رئيس الحكومة السابق . . وتأمر أنت باعتقاله؟! .**

●● الرجل المؤمن سياسياً لا بد وأن يكون صادقاً مع نفسه ومع الناس . . فلا بد لذلك أن أكون صادق أولاً مع نفسى . . وأنا رجل مبادىء . . فكيف أتخلى عن هذه المبادىء لمجرد أنى جلست على كرسى السلطة .

● **[مقاطعاً] . . حتى ولو على سبيل إرضاء ذاتك . . لا يحدث ذلك ؟! .**

●● مطلقاً . . لأننى فى هذه الحالة سوف أكون فى بداية السقوط نحو الهاوية . كما أن ذلك يعتبر نوعا من الانفصال بين نؤمن به وبين ما ننفذه فى الحياة . ورجل السياسة الناجح لا يمشى وراء أهوائه أبداً . بل يسير وفقا لمبادئه السياسية . إننى لا أتعرض له أبداً . . ولا أعامله بمثل ما عاملنى . .

● وهل مثل هذا الموقف يتم بناء على مبادىء السياسى على سلامة الشخصية أم بناء على مبادىء حزب الوفد ؟! .

●● إنه يتم وفقاً لمبادىء حزب الوفد . . الذى يرفض الإقدام على اعتقال أحد من خصومه ، حتى ولو على سبيل التشفى والانتقام لما ارتكب فى حق أعضائه . ولدينا دليل تاريخى قوى على هذا السلوك الذى اتبعه حزب الوفد . . ففى عام ١٩٥٠ حين تولى الحكم . . قرر الإفراج عن جميع المعتقلين ، وكان أغلبهم من الإخوان المسلمين . . وكانوا فى ذلك الوقت خصوماً للوفد . أيضاً لقد رفض النحاس باشا أيام الحرب العالمية الثانية وبناء على طلب من الإنجليز اعتقال على ماهر باشا . . لقد رفض هذا الطلب . . ولم يعتقل على ماهر . وإذا ما لجأ حزب الوفد لاسلوب الاعتقال . . فإنه بذلك يسلك سلوك أحزاب الأقلية الضعيفة ، وأسلوب الحاكم الخائف . وهنا يكمن الفرق . . فالحاكم القوى يرحب بأصوات المعارضة ولا تقلقه . . والعكس هو الصحيح .

● وكيف يتمكن السياسى المعارض من الإفلات من عقوبة السجن ؟! .

●● فى نظر التخلف وحكم الفرد لا يستطيع السياسى أن ينجو من هذه العقوبة . . اللهم إلا إذا كان سياسياً منافقاً . ولكن رجل السياسة الصادق مع مبادئه لا بد وأن يتعرض لهذه العقوبة . وبالتالى لا يكون هناك مفر من الإفلات منها . وبهذه المناسبة أقول لك إن رجال السياسة الذين يرضون الحاكم من أجل الإفلات من هذه العقوبة هم ليسوا حزبيون على الإطلاق . . وإنما هم منافقون .

● ماذا يفعل رجل السياسة خلف الأسوار العالية . . هل ينقطع عن أفكاره ومبادئه وعالمه الخاص . . أم ماذا ؟! يفعل ؟! .

●● طالما السياسى خلف الأسوار العالية صادقاً مع مبادئه ومع أفكاره ومؤمنا بأهمية هذه المبادىء . فلا بد ألا ينفصل عن واقعه . . بل بالعكس . . إنه يفكر فى اليوم الذى يخرج فيه حتى يواصل مشواره من أجل تدعيم مبادئه فى الشارع السياسى . لأن وجوده خلف القضبان قد حرمه مؤقتاً من الاتصال بحزبه وبرجاله إلا فى حالات قليلة . والسياسى داخل السجن يمنع عنه كل شىء . . وكل أدوات الاتصال . . حتى أدوات

الكتابة والتعبير . . إذ نظراً لما هو فيه فإنه يعتبر نفسه فى هدنة مؤقتة يعيد فيها حساباته إلى حين الإفراج عنه وعودته من جديد إلى حزبه وإلى مبادئه .

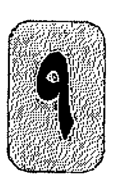
● الأستاذ على سلامة السياسى القدير . . هل لنا أن نختتم هذا الحوار المرهق بسؤال تقول كلماته . . هل عقوبة السجن تؤثر على استكمال مسيرة رجل السياسة . . بعد فترة الإفراج عنه ؟! وتؤدى به إلى الانسحاب من الحياة السياسية ؟! .

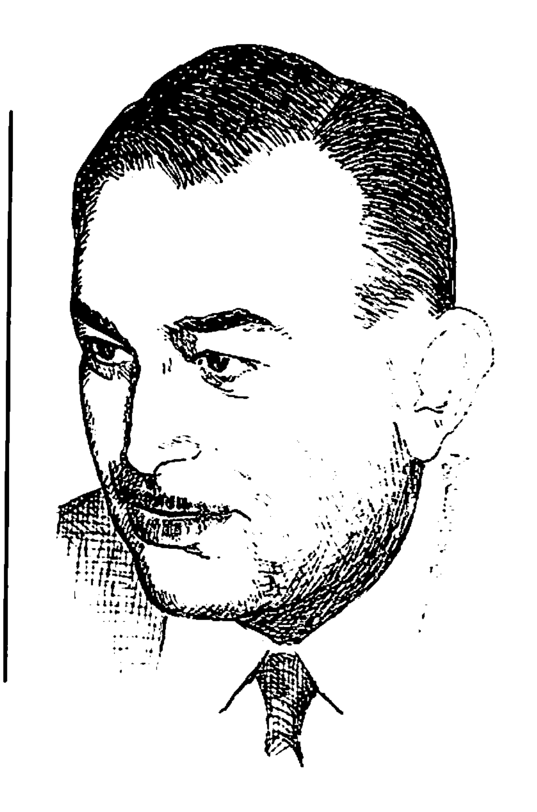
●● إذا كان هذا الرجل سياسياً صادقاً مع نفسه ومع مبادئه وأهدافه الوطنية والحزبية . . لا ينسحب أبداً . . وبالتالى لا يمكن لمثل هذه العقوبة أن تترك أى أثر بحيث تجعله يتراجع عن مشواره السياسى .

أما إذا كان مدعياً . . وضعيفاً فى مبادئه وفى انتمائه . . وأيضاً منافقاً . . أقول لك . . إنه مريض . . وبالتالى ينسحب من المشوار . وهنا أؤكد لك أن هذه العقوبة لا تثنى رجل السياسة عن المضى قدماً داخل الشارع السياسى . . بل بالعكس تقويه وتزيد من إصراره . وهناك أمثلة عديدة فى حياتنا السياسية على هذا وعلى ذاك .

فى نهاية هذا الحوار . . نكرر الشكر لك . . ونعدك بأن ننقل هذه الكلمات المسموعة والمسجلة عبر هذا الشريط إلى كلام مقروء .

❁ ❁ ❁





●● على صبرى(*) :

قضيت بالسجن عشر سنوات وأنا على درجة رئيس جمهورية !!

حين تنتهى كلمات هذا الحوار الذى أجريناه على الورق مع السياسى الكبير على صبرى نائب رئيس الجمهورية . . نكون قد وضعنا أقدامنا وأقلامنا وأوراقنا بالقرب من آخر محطة من محطات حكاية السياسى والسجن . هذه الحكاية الطويلة التى استغرق عرض مشاهدها كل أوراق هذا الكتاب . .

ولقد سعدت كثيراً حين عثرت على هذا الكم الكبير من المعلومات التى مكنتنى من وضع يدى على مفتاح شخصية هذا السياسى المصرى . . الذى بدأ حياته الوطنية فى أسرة انغمست فى العمل السياسى منذ ثورة ١٩١٩ . . مما دفعه إلى السير فى نفس الطريق رغم أنه قد اشتغل فى بداية حياته العملية ضابطاً بالجيش . . ثم ما لبث أن انخرط فى الشارع السياسى خاصة فى الفترة التى أعقبت قيام ثورة ٢٣ يوليو . . حتى بات من المتعارف

(*) تم كتابة هذا الحوار . . بالاستعانة بمذكرات السيد على صبرى التى أملاها للأستاذ الدكتور غالى شكرى .

عليه داخل أكثر الأوساط السياسية شهرة سواء فى مصر أو فى خارجها أن ضابط الطيران العقيد على صبرى كان حلقة الوصل بين ضباط الثورة وبين السفارة الأمريكية من أجل تحييد انجلترا وضمان عدم تدخلها لصالح الملك فاروق لحظة وقوع أحداث الثورة .

وقد نجح فى ذلك العمل نجاحاً مبهراً . ولعل هذا الدور الكبير الذى لعبه منذ ذلك التاريخ هو الذى قربه من جمال عبد الناصر وجعله أحد رجاله خاصة بعد أن أظهر ولاءه لقائد الثورة حين نشبت أزمة مارس عام ١٩٥٤ . . وقد ظل هذا الولاء يتقدم خطوة خطوة حتى بلغت الثقة ذروتها لدى عبد الناصر حين اختار الفريق طيار على صبرى نائباً لرئيس الجمهورية مع أنور السادات . ولولا الظروف التى عاندته ووقفت ضده لكان قد حل محل أنور السادات فى كرسى الرئاسة . . ولتغير وجه مصر . . والله أعلم إلى أين !! . .

ولقد اعترف على صبرى نفسه بمعاندة الظروف له حين قال بالحرف الواحد : لم يكن أمام السادات سوى القيام بانقلاب عسكرى على القيادة الجماعية . . هذا الانقلاب الذى قاده السادات . . وساعده على نجاحه كل من الليثى ناصف قائد الحرس الجمهورى ومحمد حسنين هيكل ومحمد أحمد صادق وعبد السلام الزيات . . وقد تخلص منهم جميعاً الواحد تلو الآخر .

وعلى أية حال . . هناك الكثير من المعلومات والحقائق ربما يذيعها لأول مرة على صبرى بنفسه ويستطيع القارىء أن يضع يده على هذه المعلومات وهذه الحقائق من خلال تتبع واع لأسئلة هذا الحوار الذى تناولنا فيه حكاية نائب رئيس الجمهورية مع السجن . . وكيف بدأت تجربة اعتقاله وأسبابها . . وغير ذلك من الأسئلة والإجابات .

وأعود مكرراً القول . . بأنه بانتهاء كلمات هذا الحوار . . نكون قد وفينا الرحلة حقها . . تلك التى بدأت وانتهت خلف القضبان بدون التفرقة بين وزير أو رئيس أو نائب فى البرلمان . . فلم يكن لدينا من هدف سوى الوقوف على صدق التجربة التى عايشها هؤلاء السياسيون الذين استضفناهم عبر هذه الأوراق . .

والآن قد حان وقت تلاوة السؤال . . وانتظار سماع الإجابة . . من واقع ما كتبه على صبرى من مذكرات .

● فى بداية الحوار . . هل لنا أن نسأل السياسى على صبرى نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة (جمهورية مصر العربية الآن) عن الصفة التى يمكن أن يناديه به الناس فى الشارع . . فهل يقولون السيد نائب الرئيس . . أم سيادة الفريق ؟! .

●● لكل من هاتين التسميتين وجود فى مراحل حياتى . . فقد بدأت أولاً كرجل عسكرى ثم أنهيت حياتى رجل سياسة . ولكل من العملين قصة لا بد وأن أرويها لك كيف بدأت وكيف انتهت .

لقد بدأت حياتى العملية كرجل عسكرى . . رغم تكوينى السياسى المبكر سواء فى الأسرة أو فى الشارع السياسى . . وذلك لأننى قد التحقت بكلية الطيران التى دخلتها عن طريق الكلية الحربية . . وكنت من قبل ذلك طالباً بكلية الحقوق حيث التحقت بهذه الكلية فى عام ١٩٣٧ بعد حصولى على البكالوريا .

ولقد تصورت فى بداية الأمر أن التحاقى بهذه الكلية سيكون المدخل الطبيعى للعمل السياسى . . ولما كنت بطبيعتى لا أحب الدراسات النظرية . . فقد تركت كلية الحقوق فى بداية السنة الثانية . . ولأننى رياضى وأهوى الطيران ، فقد فكرت فى الالتحاق بدراسة الطيران . وبالفعل نفذت ذلك حين التحقت بالكلية الحربية عام١٩٣٨ ومنها إلى الطيران .

وحتى دخولى الكلية الحربية لم أكن قد انضويت بأى شكل تحت لواء فكرة سياسية بعينها بين التيارات التى كان يضطرم بها الفكر المصرى فى الأحزاب والجامعات . وقامت الحرب العالمية الثانية ، فتخرجنا بسرعة أى بعد عام ونصف . . لقد تخرجت ضابطاً حربياً لا ضابط طيار . . لأننى لم أكن قد أكملت دراسة الطيران وكنت من الطلاب الذين تم اختيارهم من الكلية الحربية لدراسة الطيران . وفى عام ١٩٤٠ كنت قد استكملت هذه الدراسة وأصبحت طياراً وبالتالى التحقت بالقوات الجوية .

أما بخصوص تكوينى السياسى الذى انتهت به حياتى خلف القضبان . . فقد كان كياناً سياسياً رسمياً . . مع أن الطريق إليه كان هو طريق العسكرية . . مع ملاحظة أننى لو لم يكن بداخلى هذا الاستعداد للانخراط فى العمل السياسى لكنت قد توقفت عند أى

حد من حدود هذا العمل . . وهذا الاستعداد قد أهلنى لمواصلة مشوار الحياة السياسية . . بدءاً من القيام بدور الوسيط بين رجال الثورة وبين السفارة الأمريكية لتأمين الثورة ضد أى تدخل أجنبى خاصة من جانب القوات البريطانية .

لقد كانت لى علاقات متعددة بالسفارات الأجنبية بحكم عملى فى المخابرات . وكانت طبيعة هذا العمل تقتضى أن أكون على صلة مستمرة بالملحقين العسكريين فى هذه السفارات . بالإضافة إلى ذلك فقد كانت لى علاقات شخصية مع الأمريكان أثناء سفرى فى بعثة عام ١٩٥١ إلى الولايات المتحدة الأمريكية . . التى دامت ٤ أشهر هناك عشتها فى قاعدة جوية . من هنا جاء تكليفى بالاتصال بالسفارة الأمريكية كى أبلغ رسالة تحذيرية كانت أشبه بالتهديد وموجهة إلى الإنجليز .

وفى عام ١٩٥٦ ، وبعد انتهاء العدوان الثلاثى على مصر بانتصار سياسى ساحق وبعد انتخاب جمال عبد الناصر رئيساً للجمهورية بدأت أولى خطواتى نحو العمل السياسى الرسمى . . إذ تم اختيارى وزيراً لشئون رئاسة الجمهورية وتركت إدارة المخابرات العامة . وبعد خمسة أعوام تم اختيارى رئيساً للوزراء فى الفترة من عام ١٩٦٢ حتى عام ١٩٦٥ . . ثم نائبا لرئيس الجمهورية من عام ١٩٦٥ حتى دخولى الاعتقال فى بداية فترة حكم السادات .

يعنى تقدر تقول هذه هى أهم المناصب السياسية والعسكرية التى تقلدتها منذ تخرجى من كلية الطيران وحتى دخولى السجن وخروجى من الحياة السياسية بقرار .

● نريد أن نعرف من السياسى على صبرى نائب رئيس الجمهورية . . أهم المصادر التى استمد منها فكره السياسى المبكر . . فهل يسمح لنا بذلك ؟! .

●● أول هذه المصادر كان عائلتى . . فلعل أدق تعريف لنشاطها تاريخياً أنها كانت عائلة ثورية أكثر منها عائلة أرستقراطية . منذ اشتراك أعضائها فى ثورة عرابى . . حيث كان جدى لأمى أمين بك الشمسى أحد أركان الثورة العرابية . . ثم الاشتراك أيضاً فى ثورة ١٩١٩ التى ساهم فيها خالى على الشمسى مع سعد زغلول .

إذن كان بيتنا عبارة عن بيئة سياسية تركت أكبر الأثر فيّ هذا التكوين المبكر . ومع مرور الأيام بدأ إحساسى الوطنى ينمو أكثر وأكثر فى ظل الأوضاع السياسية التى كانت تعيشها مصر فى ذلك الوقت . . لدرجة أننى كنت ما بين سن العاشرة والخامسة عشرة ، وحين كنا نسكن فى ضاحية المعادى . . رغم أننى ولدت بشارع الفلكى بالقاهرة . . قد عرفت أن مصر يستغلها الأجانب من كل الجنسيات وليس فقط الإنجليز . . بل كان فيها أيضاً إيطاليون ويهود . . وهؤلاء قد أقبلوا فى ركاب الإنجليز وأقاموا هنا فى ضاحية المعادى التى كانت ضاحية أجنبية . . فقد بنوا منازلهم على الطريقة الأوروبية . . كما أسسوا النوادى الرياضية الخاصة بهم . .

وكنت فى ذلك الحين ومن خلال تربيتى العائلية أشعر كما لو أننى غريب فى بلدى . وكانت هناك على الجهة الأخرى من شريط سكة حديد حلوان « مترو الأنفاق الآن » المعادى الأخرى أو المعادى البلد . . وكانت قرية مصرية تماماً . وحين كنا ننتقل من المعادى السرايات إلى هناك كنت تشعر وكأنك قد انتقلت إلى عالم آخر ! . وكان هذا الفارق الصارخ يدفعنى للتساؤل المبكر حول أوضاع الأجانب وأوضاع أهل البلد .

وهناك مؤثر آخر يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمؤثر السابق . . وهو التحاقى بمدرسة « الفرير » حيث قابلت فيها خليطاً من البشر وكانوا أكثرية أجنبية وأقلية مصرية . لقد كان جو المدرسة جوا فرنسيا خالصا لذلك شعرت وأنا داخل هذه المدرسة بالغربة تماماً كما كنت أشعر بها وأنا أعيش فى حى المعادى .

أما المؤثر القوى الذى أتذكره فى بناء وجدانى وتفكيرى أثناء الدراسة هو مؤثر « الثورة الفرنسية » . لقد كانت دراستى التفصيلية لها ومعايشتى لمبادئها وأحداثها تتم بمختلف وسائل التربية والتعليم . وبهذه المناسبة فقد أحببت الأدب الفرنسى حباً عظيماً . . لذلك تجدنى قد دخلت كلية الحقوق كمدخل للعمل السياسى . . ولما صدمنى النشاط السياسى بالجامعة آنذاك أصابتنى خيبة أمل من لعبة العلاقات العامة التى كانت تحكم الحياة الحزبية داخل الجامعة ، حتى أننى رأيت المصلحة الوطنية كما لو أنها كانت ستارا يخفى المصالح الشخصية أو العائلية . . مما زاد فى اقتناعى بموقف والدى الرافض من

الحزبية وعزز موقفى نهائياً منها . لذلك كان هذا الجو هو بداية تفكيرى فى ترك الحياة الجامعية والالتحاق بالحياة العسكرية ، كما سبق وحكيت لك .

وبصفة عامة لقد كانت لدى انطباعات وأحاسيس ومشاعر وطنية واجتماعية . . ولكن لم تكتمل هذه كلها كفكرة واضحة متبلورة إلا بعد ثورة ٢٣ يوليو .

● وهل لنا أن نعرف بمناسبة ذكركم ثورة يوليو . . ما هو الدور الذى قمتم به قبل وبعد هذه الثورة . . ؟! .

●● فى البداية لا بد وأن أوضح لك أن الاتجاه نحو تكوين تنظيم الضباط والأحرار الذى قاد الثورة كتنظيم سياسى قد تبلور أثناء حرب فلسطين عام ١٩٤٨ . . فقد كان الفساد وأوضاع الجيش وغليان الشارع تدفع العسكريين إلى التفكير الجدى ـ أى التفكير المنظم ـ فى المستقبل . . وفى هذا الوقت كنت مديراً للمخابرات الجوية بالقوات المسلحة . . هذا المنصب الذى ظللت به حتى عام ١٩٥٢ .

وكان عبد اللطيف البغدادى هو قائد تنظيم الخلايا فى السلاح الجوى ، وكان معه جمال سالم أيضاً ممن كانوا يعملون آنذاك فى المجال السياسى داخل الجيش ومن داخل السلاح الجوى . وحين بدأنا فعلياً تنظيم الضباط بعد حرب فلسطين كان من السهل علينا فى السلاح الجوى أن نختار وننتقى المجموعات الصالحة لهذا التنظيم الذى انضم إليه البغدادى ومجموعته . كما انضم إلى التنظيم الجديد أيضاً جمال سالم وحسن إبراهيم من قيادات الطيران . هذا التنظيم الخاص بالضباط الأحرار هو الذى أسسه فى الحقيقة وقاده جمال عبد الناصر . ولم أكن قد رأيته حتى ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ . . وكان اتصالى المباشر بالبغدادى . . طيلة ثلاث سنوات ومنذ قيام التنظيم فى عام ١٩٤٩ حتى قيام الثورة . وهى المرحلة التى كنت فيها مديراً للمخابرات بسلاح الطيران .

وفى الفترة السابقة على قيام الثورة مباشرة نشطت أجهزة الأمن داخل الجيش وخارجه . . وذات مرة جمعنا حيدر باشا وزير الحربية فى مكتبه أنا ومدير المخابرات الحربية وبعض ضباط البوليس السياسى . وكان نشاط الضباط الأحرار قد أخذ يبرز خصوصاً بعد انتخابات نادى الضباط الذى نجح فيه مرشحونا . عندئذ أصدر لنا الوزير تعليمات

صارمة بضرورة تتبع وتعقب نشاط الضباط الأحرار . . ولم يكن البوليس السياسى قد اشترك من قبل فى مثل هذه العمليات ، باعتبارها من أمن القوات المسلحة .

وكنت داخل هذه الاجتماعات عين وأذن التنظيم حيث كنت أنقل إلى أعضائه وأوصل كل ما يجرى بداخلها . وما بين عام ١٩٤٩ و ١٩٥٢ وقعت أحداث كبيرة فى مصر كان أهمها عودة الوفد وإلغاء معاهدة ١٩٣٦ وحريق القاهرة . . حيث كانت احتمالات عودة الإنجليز إلى القاهرة كبيرة بعدما تمركزوا فى منطقة القناة . . وكان علينا إيقاف هذا الإجراء بسرعة ، وإعادة النظر فى حساباتنا . . إلا أن القرار فى تلك اللحظات كان بين جمال عبد الناصر ، فهو بمفرده الذى كان يمسك بالخيوط .

وفى ليلة الثورة كان علىَّ أن أبقى فى مكتبى بمبنى المخابرات الجوية كالمعتاد حتى تصلنى مكالمة تليفونية معينة . وفعلاً كانت القوات قد خرجت ونجحت فى الاستيلاء على القيادة حين رن جرس التليفون وإذا بالمجموعة تطلب منى التوجه إلى القيادة . . وكانت معى كلمة « السر » فذهبت إلى هناك بالفعل ودخلت على مكتب يجلس فيه عبد الناصر وبعض زملائه فتم تكليفى بتأمين الثورة خارجياً . . وذلك بالاتصال بالسفارات الأجنبية ، وخاصة السفارة الأمريكية . وكانت الساعة وقتها تشير إلى الثانية أو الثالثة صباح يوم ٢٣ يوليو ، ولم نكن قد استولينا بعد على القاهرة أو الإذاعة . . أخذت السيارة حيث قدتها بنفسى إلى منزل الملحق الجوى الأمريكى فى الزمالك ، فأبلغته برسالة الضباط الأحرار . ويبدو أن الجانب الأمريكى كان على علم مسبق بحركتنا هذه . . لأننى فوجئت فيما بعد بأن الملحق الأمريكى يخبرنى بأنه كان على علم مسبق بأن الثورة ستقوم ليلة ٢٣ يوليو !! .

ويوم ٢٦ أو ٢٧ يوليو عدت من جديد إلى مكتبى فى مبنى المخابرات الجوية . . وكانت مهمتى قد انتهت ، إلا أن عبد اللطيف البغدادى طلب منى التوجه إلى مقر قيادة الثورة كى أتسلم بجانب عملى هذا منصب مدير مكتب القائد العام للقوات المسلحة لشئون الطيران . . وكان فى ذلك الوقت هو اللواء محمد نجيب . .

● الكثير من المعاصرين لأحداث الثورة يعرفون دوركم فى أزمة مارس عام ١٩٥٤ . . فهل لنا أن نطلب من السياسى السيد على صبرى أن يعيد على مسامعنا قصة هذه الأزمة ودوره فيها ؟! .

●● السبب الرئيسى وراء هذه الأزمة التى أطلقوا عليها أزمة أو أحداث مارس عام ١٩٥٤ أنه قد نشأ حين وقع التناقض بين محمد نجيب وبين مسيرة الثورة . . لقد كان محمد نجيب قد أتى من منزله ليجد نفسه فى هذا المكان فأصبح كالتائه تماماً . ولم يكن له أية علاقة بالجوانب التنفيذية ، وكانت له كل مظاهر وشكليات القيادة .

أما العمل الأساسى فى مختلف جوانبه ومراحله فقد كان يتم بعيداً عنه . ولم يكن هو نفسه يهتم بذلك فى البداية ويراها من التفاصيل المتبعة . وعندما تطورت الأمور استقال عبد الناصر ومعه مجلس الثورة ، فوقع الانقلاب إثر هذا القرار من جانب مجموعة الضباط الأحرار . هذه المجموعة قد رفضت عودة المجلس إلى ثكنات الجيش وخرجت الوحدات من الأسلحة المختلفة معبرة عن ذلك . أما الذين أيدوا محمد نجيب فكانوا أساساً من سلاح المدرعات بقيادة خالد محيى الدين الذى عينه محمد نجيب رئيساً للوزراء دون التشاور مع عبد الناصر . . لذلك تحركنا على الفور مع بعض زملائى فى السلاح الجوى وصلاح نصر فى سلاح المشاة . . وعلى شفيق فى المدفعية وغيرنا ضد السلطة الجديدة التى بات يمثلها محمد نجيب وخالد محيى الدين .

وفى تقديرى أن اللقاء بينهما كان تكتيكياً . وفى الشارع كانت تتكون أغرب الجبهات من الإخوان والوفد والشيوعيين لإنهاء الثورة وعودة الأحزاب . وهى الجهة التى حركت المظاهرات للمطالبة بعودة محمد نجيب . ولكن فى النهاية الثورة انتصرت ، وأصبح جمال عبد الناصر رئيساً للوزراء وعينت أنا مديراً لمكتبه للشئون السياسية . حيث شاركت فى التمهيد لمباحثات الجلاء التى رأينا أنها لن تتم إلا بالطرق الدبلوماسية فقط .

● تردد كثيراً خاصة فى فترة ما بعد رحيل جمال عبد الناصر ، وما شهدت به أحكام القضاء المصرى . . أنه قد وقعت تجاوزات عديدة داخل السجون والمعتقلات المصرية فى فترة الستينيات ؟! . فهل لنا أن نطمع من سيادتكم توضيح كل ما يتعلق بهذا الموضوع؟! .

●● ما بين عام ١٩٦٢ و ١٩٦٥ كنت رئيساً لوزراء مصر . . وكان بعض أفراد من الإخوان المسلمين قد خططوا لاغتيال عدة شخصيات من بينها جمال عبد الناصر نفسه وعبد الحكيم عامر وزكريا محيى الدين وأنا . ولم يحدث خلال عملى وزيراً أو رئيساً للوزراء

أن وصلنى أى تقـرير عـن التعـذيب فى السجون المصرية ، ولـم يحـدث أن علم الرئيس عبد الناصر بهذا التعذيب إلا فى حالة واحدة . . تلك التى مات فيها شُهدى عطية الشافعى قائـد أحـد التنظيمات الشيوعية فى مصـر وكان هذا عام ١٩٦٠ . وقـد علم عبد الناصر بهذه الواقعة فى أثناء زيارة رسمية كان يقوم بها ليوغوسلافيا . ومنذ ذلك الحين توقف التعذيب على الفور . مع أننى لا أعتقد أن الضباط والمسئولين عن ذلك قد نالوا العقاب الكافى .

ولكننا فى عام ١٩٦٦ قبضنا على مجموعة من الشباب وقعت فريسة لتضليل أحد الأحزاب السورية وتنظيم آخر فى لبنان . . أما ما وقع غير ذلك وما نشر عنه فلا علم لنا به كما سبق وذكرت لك . .

● وهل معنى اختيار جمال عبد الناصر للقيادة الجماعية فى سنوات حكمه الأخيرة يدل على رغبته فى إبعادك عن منصب نائب الرئيس ؟! أم ماذا ؟ .

●● لم تكن علاقتى بجمال عبد الناصر مجرد علاقة عمل ، وإنما كان من أعز الأصدقاء . ولم يحدث قط فى حياته أن فكر أن يشغل أحد غيرى الموقع الذى كنت أشغله بالفعل . . والحقيقة أن القيادة الجماعية فى حياة عبد الناصر كانت عملية شكلية . . ولم تكن ممكنة على أى نحو ، فهو شخصية تاريخية بكل معانى الكلمة . وكانت اللجنة التنفيذية العليا هى صيغة القيادة الجماعية التى كان من المفترض أن تستمر بعد وفاته . بل وتصبح مضموناً لا شكلاً فقط .

وليس معنى ذلك ألا يكون هناك رئيس . فللرئاسة موقعها من القيادة الجماعية . ولكن هذه القيادة مسئولة بكاملها عن القرار السياسى الذى لن ينفرد الرئيس باتخاذه . وكان مستحيلاً لفرد مهما كان أن يتولى وحده المسئولية بعد غياب عبد الناصر . . هذه القيادة الجماعية هى التى يمكن أن تملأ الفراغ من بعده .

ولذلك فإننى فور وفاة عبد الناصر لم أفكر قط إلا فى « القيادة الجماعية » التى يجب أن تنجز أولاً معركة التحرير ضد إسرائيل . . وبعدها تختلف كما تشاء . ولكننى فى الوقت نفسه لم أكن أنا الذى اخترت السادات للرئاسة . . لأننى لم أكن مقتنعاً بكفاءته . . فهو لم

يسبق له أن تولى منصباً تنفيذياً هاماً سوى رئاسة مجلس الأمة . . ولذلك كان تصورى هو: لا بد من وجود قيادة جماعية برئاسة السادات حتى تصفية آثار العدوان . إننى لم أشارك فى اختيار السادات . وكذلك لم أعترض حرصاً على إنجاز المعركة .

● ومتى وقع بينكم وبين الرئيس السادات أول خلاف ؟! .

●● وقع أول خلاف بيننا بعد توليه الرئاسة . . وكان السبب هو انفراده بما أسماه فى ذلك الوقت « بمبادرة فبراير » عام ١٩٧١ . . حين أعلن فى مجلس الأمة كلاماً لم يحدث أن ناقشناه أو اتفقنا عليه . برغم أننا قبل ذلك بيوم واحد كنا مجتمعين فى مجلس الدفاع القومى حيث تناقشنا فى عدة أمور عسكرية . وفى آخر هذه الجلسة قال عرضاً إنه يفكر فى مشروع يبعد الإسرائيليين عشرة كيلو مترات عن قناة السويس ثم نعيد فتح القناة بعد تطهيرها للملاحة الدولية .

لقد قال هذه الكلمات فى نصف دقيقة كأية فكرة عابرة أو اقتراح لم يتبلور . ومع ذلك عارضته بشدة أنا والفريق فوزى وأيضاً الدكتور محمود فوزى رئيس الوزراء . ولم يستغرق ذلك أكثر من ثلاث أو خمس دقائق . على الأكثر وانتهى الموضوع . وبعد إعلانه عن هذه المبادرة فى مجلس الأمة وقع أول صدام مباشر بيننا . . حيث حدث بعد هذه الجلسة أن انفعلت عليه وهددت باستقالتى من منصب نائب رئيس الجمهورية لا كعضو فى اللجنة التنفيذية العليا . وبخلاف منصبى السياسى كنائب للرئيس كنت فى ذلك الوقت برتبة فريق طيار مساعد القائد الأعلى للدفاع الجوى . . وهذا المنصب هو الذى احتفظت به . . واعتذرت بناء على موقف السادات السابق من الاستمرار فى منصب نائب الرئيس .

● وهل توقفت الخلافات بينكم وبين السادات عند هذا الحد ؟! .

●● بالعكس . . لقد كان الموقف السابق كما قلت هو بداية خلافاتنا الطويلة معه . وقد تبع هذا الخلاف . . خلاف آخر أخطر وأقوى . . حين علمت من الصحف أن السادات على وشك أن يعقد اجتماعاً لإنجاز وحدة رباعية بين مصر وسورية وليبيا والسودان . .

ومثلما حدث معى من قبل فى الموقف السابق . . فقد كنت معه منذ يومين فقط ولم يأت

ذكر هذه المسألة على لسانه ، بل إننا وقتها كنا نتكلم فقط عن معركة ستبدأ بعد أسبوع !! . عندئذ أجريت اتصالاتى بزملائى أستفسر عما يحدث ، فلم أجد أحداً يدرى أى شىء . وبعد ظهر ذلك اليوم طلبوا منى التوجه إلى مطار القاهرة لمصاحبة السادات فى رحلة إلى طرابلس من أجل الوحدة . وقد سافرت بالفعل ولكننى عارضت هذه الوحدة لأننا على أبواب معركة قادمة .

وقد سمحت لنفسى وقتها بإبداء اعتراضى للقذافى ، وفهمت أنه أيضاً معارض ! ولكن كل من السادات والأسد قد ضغطا عليه ! . حيث وافق فى النهاية .

ولما عدنا إلى القاهرة ظلت معارضتى للوحدة قائمة وظهر ذلك جلياً أثناء اجتماع اللجنة التنفيذية العليا . . حيث وقف معى كل الأعضاء فى مقابل السادات والدكتور محمود فوزى . . ثم سيد مرعى ومصطفى أبو زيد وأحمد درويش وصدقى سليمان ! .

● وهل كان هذا الخلاف الأخير هو الذى أدى بك إلى السجن معتقلاً ؟! .

●● الموضوع لم يكن بهذه البساطة . . لأن السادات حينذاك لم يجد أمامه للتخلص من معارضيه سوى القيام بانقلاب عسكرى . فقد رأى أن لجوءه إلى المؤسسات الدستورية كان مستحيلاً ، بعد أن ثبت له أن الأغلبية الساحقة لا توافقه الرأى .

إذن لم يكن أمامه إلا أن يستقيل أو القيام بالانقلاب . ولقد استراح للإجراء الثانى . . حيث اتفق مع قائد الحرس الجمهورى اللواء الليثى ناصف لإنجاز هذا الانقلاب . وقد كان له ما أراد . . فقد أمر الليثى وقواته بتطويق منازلنا مساء يوم ١٣ مايو عام ١٩٧١ . ولتحديد إقامتنا . لقد شمل هذا الإجراء أنا وغالبية أعضاء الحكومة وقيادات التنظيم السياسى والبرلمان . وبعد هذا الإجراء أعلن هو عن قضية شكلية اتهمنا فيها بمحاولة منع رئيس الجمهورية من ممارسة سلطاته . وكما سبق وحكيت لك . . كنت وقتها أعيش فى منزلى بعدما قبل استقالتى من منصبى السياسى كنائب للرئيس .

● السيد نائب رئيس الجمهورية الأسبق على بك صبرى . . كم مرة دخلتم فيها السجن معتقلاً أو مسجوناً .

●● لم يسبق لى المرور بهذه التجربة حتى تم اعتقالى فى مايو عام ١٩٧١ . .

● وكم قضيتم فى هذا الاعتقال ؟! .

●● قضيت خلف القضبان عشر سنوات . . حيث تم الإفراج عنا فى عام ١٩٨٠ . وداخل هذه الأسوار العالية لم يكن معى سوى المبدأ والتحدى . فقد كنت بذلك أدفع ثمن وظيفتى .

● وماذا استفاد السياسى الكبير على صبرى من تجربة السجن . . خاصة وأنها كانت أول وآخر مرة !! .

●● فى السجن ، كانت القراءة هى كل شىء فى حياتى . . بل وأهم شىء . ولقد احتاج الأمر فى البداية إلى التأقلم ومن ثم احتاج منى إلى مجهودات كبيرة ، ثم انتهى إلى أننى تمكنت من الحصول على ما أحتاج إليه من كتب . . والقراءة لم تكن فقط لقتل الفراغ ، وإنما كانت وسيلة للخروج خلف الأسوار .

لقد كان هذا الأمر بالنسبة لى كهذا فعلاً . أى أننى كنت أشعر حين أقرأ كتاباً بأننى قد خرجت من السجن ، خصوصاً إذا كنت أقرأ الأدب . وخلف هذه الأسوار العالية . . كنت أقسم اليوم إلى قراءات مختلفة . وفى الصباح كنت أمارس بعض التمارين الرياضية من قبيل الحفاظ على الصحة . ثم أبدأ من القراءات الفنية والعميقة التى تحتاج إلى تركيز ذهنى . وبعد الظهر أقرأ فى المسائل الجديدة على اهتماماتى .

● وما هى أهم الأحداث السياسية التى مرت بكم خلف القضبان ؟! .

●● كانت بالفعل أحداث كثيرة . . فقد عشت خلف هذه القضبان عقداً كاملاً من الزمن . . فعلى سبيل المثال حرب ٧٣ التى سمعت بها من الإذاعة . . وبعد مرور عدة أيام بدأ القلق يساورنى من نتيجة هذه الحرب . . لقد كنت وقتها فى سجن طرة ، والراديو لا نسمع منه سوى محطة مصر ، والراديو « الترانزستور » ممنوع خلف الأسوار العالية . ولكننى وبمساعدة آخرين نجحت من الحصول « على الترانزستور » مهرباً من الخارج .

ومن يومها بدأت أستمع إلى الإذاعات كلها العربية والأجنبية . أما الحدث الثانى فكان مفاوضات السلام عند الكيلو «١٠١» . . وقد صرحت فى وقتها لمن حولى أن مثل هذه

المفاوضات ستكون بداية اعتراف مصر بإسرائيل . وبالفعل حدث ما توقعته . أيضاً علمت بزيارة السادات للقدس . . والحقيقة أننى لم أفاجأ بها . . ولكننى فوجئت برد الفعل الشعبى ، حيث تقبلها الناس من الشعب المصرى والشعوب العربية على السواء وبارتيـاح . . لقـد كنت حين أسمعه يقـول : إنه سيزور القـدس المحتلة كنت أعلق « إنه مجنـون »!! .

● وهل هناك أحداث شخصية بعينها وقعت لك خلف القضبان . . واستطعت مقاومتها . . رغم هذه العزلة ؟! .

●● لعلك تقصد بسؤالك هذا واقعة رسالة الاعتذار إياها ! .

● وما هى قصة هذه الرسالة ؟! .

●● أثناء وجودى خلف القضبان طلب منى السادات أن أكتب إليه اعتذارا وولاء ، وقد رفضت . وبدأ من ناحيته الضغط علينا . . هذا الضغط الذى أخذ أشكالاً فاضحة تجلت أقسى صوره فى محاولة الاستيلاء على الفيلا التى كنت أسكنها . . فلم أكن أملك سواها . . وكانت تقيم بها عائلتى أثناء وجودى فى السجن .

ومن قبل دخولى السجن . . حاولت المحكمة وبذلت جهوداً مضنية من أجل أن تثبت علينا شبهة استغلال النفوذ . . ولم تنجح فى ذلك . أقول رغم اكتشافهم صفحتى البيضاء فقد حاولوا من جديد الاستيلاء على هذه الفيلا وأنا خلف القضبان .

والحقيقة أن السادات كان يهددنى بهذا الإجراء من قبيل الضغط كما قلت لك حتى أرضخ وأكتب له « الاعتذار » . . ولكن هذا لم يحدث . وبالتالى أيضاً لم يتمكن من مصادرة فيلتى التى كانت تقيم بها أسرتى وأنا خلف القضبان .

● وفى نهاية هذا الحوار . . نريد من السياسى على بك صبرى أن يقدم لنا نفسه كشخصية مصرية . . من حيث النشأة والمولد والعائلة ؟! . فهل يسمح لنا بذلك ؟! .

●● لقد ارتبطت نشأتى الأولى داخل منزلنا . . كما سبق وحكيت لك بالبيئة السياسية التى اشتهرت بها عائلتى منذ اشتراك جدى لأمى فى ثورة عرابى . . ثم اشتراك خالى على

بك الشمسى فى ثورة ١٩١٩ . . ولكن الجديد بخلاف ذلك أن والدتى أيضاً قد شاركت فى ثورة ١٩١٩ مشاركة فعلية . . حيث خرجت فى المظاهرات النسائية التى اشتهرت فى هذه الآونة . كما كانت عضواً بارزاً فى اجتماعات السيدة صفية زغلول .

وبالطبع لم أكن قد ولدت حين قامت الثورة . فقد أتيت إلى الدنيا بعدها بعام واحد . . لأننى من مواليد أغسطس عام ١٩٢٠ . ولكن الاجتماعات لم تنقطع وكذلك الزيارات والذكريات . ومن هنا أصبح العمل العام يشكل طبيعة اهتماماتى وتكوينى منذ البداية ، أى من سنوات الصبا .

كما أننى دخلت مدرسة « الفرير » الفرنسية بباب اللوق عام ١٩٢٦ ، وحصلت منها على الشهادة الابتدائية . . ثم أمضيت بها عاماً آخر قبل الانتقال إلى مدرسة الخرنفش التى حصلت منها على الشهادة الثانوية . . ومنها إلى كلية الحقوق ثم إلى كلية الطيران .

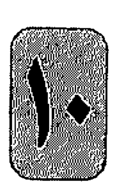
وكان أبى يعمل فى ذلك الوقت وكيلاً لوزارة الأوقاف . . كما كان حينذاك مشرفاً على شئون الزراعات والإيرادات . . وكان يملك أرضاً فى الفيوم كما كانت والدتى تملك أرضاً فى الزقازيق . . وقد ارتبطت كثيراً بوالدى الذى أخذ ينتقل فى كل ريف مصر من أجل العناية بأراضى الأوقاف الزراعية لذلك كنت ما بين سن العاشرة والخامسة عشرة قد تعرفت معرفة وثيقة على الريف المصرى من الدلتا شمالاً إلى المنيا جنوباً . لذلك تجدنى قد تأثرت كثيراً بقسوة الحياة فى هذا الريف وعبودية الدنيا فيه .

وبخلاف اهتمام أبى بزراعات الأوقاف فقد حصل على الدراسات العليا فى الهندسة من جامعة جلاسكو باسكتلندا فى بريطانيا . . ورغم ذلك فلم يمانع من أننى وإخوتى نتعلم فى المدارس الفرنسية .

هذا عن أبى وأمى . . أما بقية أفراد أسرتى فكانوا إخوتى . . وهم أخى الأكبر « حسين ذو الفقار » ، وكان طياراً أيضاً . . وهو الضابط الذى قاد طائرة عزيز المصرى التى سقطت بها أثناء أحداث الحرب العالمية الثانية فى مدينة قليوب . أما أخى الأصغر واسمه « عمر ذو الفقار » صبرى . . فقد كان صديقاً لحسين توفيق المتهم الأول فى قضية مقتل

الوزير « أمين عثمان » . . وهى نفسها القضية التى جمعت بين المتهمين وبين أنور السادات . . ولكن الأولى لم تثبت على أخى فأفرجوا عنه . ولعلك تلاحظ أننا نحن الإخوة كانت تفرق بيننا الميول السياسية .

* * *







دخلت المعتقل مرتين بسبب نشاطى السياسى

لو أن كاتب هذه السطور ، حاول بكل ما يملك من ألفاظ وكلمات وتعبيرات هى كل ثروته فى الحياة ، أن يقدم الشخصية السياسية المعنية بهذه الأوراق لواجه فى ذلك العديد من الصعاب . . وذلك لأن السادات كشخصية سياسية معاصرة ومنذ بداية حياته فوق المسرح السياسى ، قد ناله من هذه الألفاظ وهذه الكلمات والتعبيرات ما يجعل الكاتب يبحث أكثر عن كل ما هو جديد فى عالم اللغة على أمل أن يحرز نوعاً من التمييز على غيره ممن سبقوه ! . وكثيراً ما يفشل ولا يجد أمامه سوى ترديد ما سبق أن ردده غيره . . وقليلاً ما ينجح إلا فى سطور أو أوراق بعينها . .

وبوضوح أكثر نقول : إن السادات ومنذ أن خرج من قريته إلى أضواء القاهرة . . حاول ألا يغيب عن هذه الأضواء . . سواء داخل نفسه أو داخل الآخرين . . الأمر الذى جعله يعيش وسط الأحداث . . حتى وهو لا يزال فى سنّ الشباب المبكر . . وقد حالفه الحظ فى ذلك كثيراً . . إذ ارتبطت سنوات عمره بالعديد من الأحداث السياسية التى مرت بها مصر . .

أضف إلى ذلك أن السادات كان موضوعاً صحفياً مثيراً لفترات طويلة بدأت منذ طرده من الجيش واستمرت معه بدون توقف حتى اشتراكه فى أحداث ٢٣ يوليو ثم اختياره نائباً لجمال عبد الناصر . . وأخيراً رئيساً لمصر . . ليس هذا فقط . . بل إن فترة وجوده فى حكم مصر وعلى مدى العشر سنوات التى قضاها داخل قصر الرئاسة . . كان أكثر من موضوع صحفى مثير . . ليس فى مصر وحدها بل وفى معظم دول العالم . .

والأمر لم يقتصر على كونه ضيفا دائما على أوراق الصحف . . بل خرج من حيز هذه الأوراق إلى أوراق أقل حجماً ولكنها أطول عمراً وأكثر تأثيراً . . حتى بات من أهم موضوعات الكتب السياسية محلياً وعالمياً . .

ولكونه كان يحب الكتابة . . ويعشق التغنى بالألفاظ . . فقد كان كثيراً ما يختار مريديه من أصحاب القلم والفكر . . لذلك تجده فى أخريات أيامه قد جمع بين مدارس فكرية ولغوية وفنية متعددة . . حاول أصحابها أن يتقربوا إليه بما كان يحبه ويعشقه . . حيث الكلمة الجميلة والأسلوب الرشيق . . من هنا وجدت ووجد غيرى العديد من العقبات فى اختيار بعض الألفاظ التى لم يتطرق لها أحد . . وكما سبق وقلت . . فإننا قليلاً ما ننجح وكثيراً ما نفشل . . ويكفى فى هذا المجال أن كان رائد هذه الصحبة الفليسوف والمعلم وصاحب الأسلوب الذى لم أعثر على كلمة حق توفيه القدر والمكانة . . الكاتب الكبير أنيس منصور ! .

وعلى أية حال . . لم أعدم طريقة أو أسلوبا أو عبارات أحاول من خلالها تقديم هذه الشخصية السياسية العظيمة . . التى لن أجد حرجاً حين نصفه برائد الفكر السياسى العربى المعاصر . . إنه المناضل السياسى وضابط الجيش والفلاح وصاحب المزاج وعضو مجلس قيادة الثورة ورئيس مصر . . محمد أنور السادات . . وحوار نحاول من خلال أسئلته التى صنعناها خصيصاً لقصة حياته أن نتعرف على تفاصيل هذه الحياة فيما يخص موضوع هذه الأوراق عن السياسى والسجين الاعتقال . . وأشياء أخرى كثيرة تفسرها أحرف كلمات أسئلة هذا الحوار (*) .

(*) هذا الحوار تم إجراؤه مع الرئيس السادات . . من واقع ما كتبه فى قصة حياته .

● سيادة الرئيس محمد أنور السادات . . نريد أن نعرف كم مرة دخلتم فيها السجن . . ولماذا ؟! .

●● شوف . . أنا دخلت السجن والمعتقل مرتين اثنين وبس ! . وطبعاً فى كل مرة كان هناك دافع مرجعه الأساسى حبى للعمل السياسى الذى امتزج بتاريخ مصر منذ فترة مبكرة . . وحديثى لك عن تجاربى مع السجن حتماً سوف تجرنا للحديث عن عملى السياسى المبكر . .

● طبعاً يا فندم . .

●● من فضلك ما تقطعنيش . . .

● آسف يا فندم . .

●● أنا قلت لك إن حياتى بالنسبة للمعتقل ارتبطت بعملى السياسى الذى كان فى الأصل من أجل تحرير مصر من الاحتلال الإنجليزى . وعلى أية حال . . أقول لك أنا دخلت السجن مرتين . . المرة الأولى كانت فى عام ١٩٤٢ . . ودخلت فيها سجن الأجانب . . أنا فاكر اليوم ده كويس . . كان ليلة القدر فى ٢٦ رمضان . وكان سجن الأجانب فى ذلك الوقت للعمليات المتعلقة بمعركة الإنجليز فى الحرب العالمية الثانية . وقتها دخلت الزنزانة الخاصة بى وكانت فى الدور الأول . . وبعد قليل جاء المغرب وأحضر المراسلة الطعام فصليت وتناولت طعام الإفطار . . إلى هنا كانت حياتى عادية . ولم أكن بعد قد أحسست بالصدمة . . ولكن بعد أن أكلت ودخنت سيجارة وكان وقتها التدخين مسموح به فى سجن الأجانب دون بقية السجون . . بدأت حيرتى ورحت أتساءل . . ما هو الحل ؟! سوف أقضى مدة السجن ؟! . ولكنى ماذا سأفعل بنفسى بعد ذلك ؟! وقد جردونى من رتبى العسكرية ولم يعد لى عمل .

واستمرت التساؤلات واستمرت الحيرة . . ساعة . . ساعتين . . ثلاث ساعات . . لا أدرى . . وأنا أسير فى الحجرة من ركن لركن ومن حائط لحائط ولكنى لم أعثر على إجابة واحدة لكل هذه التساؤلات . . ولما تعبت جلست على الأرض وأسندت ظهرى إلى السرير

كما كنا نفعل فى القرية . ربما لأنى عندما أجلس على الأرض أحس أنى قريب من الطبيعة والفطرة ، وربما لأنى تعودت الجلوس على الأرض فى القرية . . لا أعرف . . ولكن فجأة خطرت قريتى على بالى . . كان مجرد خاطر ولكنه وضع كتلاً من الصخر والصلب بداخلى . . فقريتى قابعة فى حضن الدلتا وسوف أعود إليها ففيم القلق وفيم البحث عن مصير ! .

● والسبب كان إيه يا فندم فى هذه المرة ؟!

●● التعاون مع الألمان ضد الإنجليز . . ودى كانت البداية الحقيقية لنشاطى السياسى وأنا داخل الجيش . . وقبلها بسنوات قليلة كونت أول تنظيم سرى من الضباط . . وكان ذلك فى سنة ١٩٣٩ . . وكان ضمن أعضائه عبد المنعم عبد الرؤوف وكان يعتبر الرجل الثانى بعدى وعبد اللطيف البغدادى وحسن إبراهيم وخالد محيى الدين وأحمد سعودى حسين الله يرحمه . وحسن عزت والمشير أحمد إسماعيل .

ولم ألجأ إلى الخلايا السرية للدفع بهذا التنظيم نحو الثورة . . كما أننى لم أخطط لإحداث هذه الثورة على مدى زمن بعيد . . لقد كانت الأحداث وما أعقبها من ردود الفعل التى تمثلت فى انتصارات هتلر المتلاحقة وهزائم الإنجليز ، قد جعلت الباب أمامى مفتوحاً للعمل المباشر . . لهذا وجدتها فرصة للاتصال بالألمان بشكل مباشر عن طريق اثنين من الألمان عرفنى عليهما عبد المغنى سعيد . . وكانا فى حاجة ماسة لإصلاح جهاز لاسلكى تعطل معهما . . المهم نقلت الجهاز إلى بيتنا . . ولما قبض على الألمانيين بمعرفة المخابرات البريطانية اعترفوا علينا . . وجاءوا للقبض علىّ فى الفجر ! . ثم اعتقلونى فى ميس الضباط ومكثت به عدة أيام ، ثم سرعان ما أصدر الملك قرار بإعفائى من الخدمة العسكرية . . وأخذنى البوليس السياسى إلى سجن الأجانب .

● ذكرت سيادة الرئيس أنكم دخلتم السجن مرتين الأولى حكيتم لنا عليها . . أما الثانية . . فما هى قصتها ؟! .

●● قبل ما أحكى لك عن القصة الثانية . . لا بد أن تعرف كيف انتهت حكايتى مع السجن والاعتقال فى المرة الأولى . . كما ذكرت لك من قبل لقد قبضوا علىّ فى عام ١٩٤٢ . . وظللت خلف القضبان لمدة عامين وعدة أشهر . . انتقلت خلالها إلى عدة

سجون . . فقد انتقلنا من سجن الأجانب إلى معتقل « ماقوسة » بالقرب من محافظة المنيا بالصعيد . . وأخيراً استقر بنا المقام أنا وحسن عزت فى سجن معتقل الزيتون الذى انتقلنا إليه قبل أن تنتهى سنة ١٩٤٣ .

وأثناء وجودنا داخل هذا المعتقل . . انتصر الحلفاء وبدأت أعصاب الإنجليز تهدأ ومخاوفهم بدأت تزول فأقال الملك فاروق النحاس وعين بدلاً منه أحمد ماهر . . وكان فى ذلك الوقت من أقطاب الوفد المنشقين على الحزب ، وزعيماً لحزب جديد شكله هو «الحزب السعدى » .

وبمجرد أن تولى أحمد ماهر الحكم أفرج عن زملائنا فى المعتقل الذين ينتمون إلى حزب الكتلة . فقد كان هناك شبه ائتلاف بين حزب الكتلة والسعديين والأحرار الدستوريين . أما الوفد فقد كان وحده . . وقد أفرجوا أيضاً عن أعضاء حزب مصر الفتاة ممن كانوا معنا بالمعتقل . . الكل أفرج عنهم إلا نحن المعتقلين بناء على أوامر السلطات البريطانية . . وتساءلنا إلى متى سنظل فى المعتقل ونحن فى نهاية عام ١٩٤٤ والحرب قد اتضحت نتائجها؟ ! .

لا بد من عمل شىء . . حرضت زملائى فأضربنا عن الطعام . . ولكن بعد فترة لم يتحملوا الجوع فعادوا إلى تناول الطعام . أما أنا فلم أتناول الطعام مطلقاً فاضطروا حسب القانون إلى نقلى إلى مستشفى القصر العينى الجديد لكى أكون تحت العناية الطبية . هناك أوقفت إضرابى عن الطعام . . وبعد فترة قصيرة زارنى فى المستشفى زميلى حسن عزت الذى كان قد هرب من معتقل المنيا . وأفهمنى بضرورة تدبيرخطة لهروبى . . وفعلاً دبرنا الخطة .

وفى ساعة الظهيرة عندما يزدحم المستشفى بالداخلين والخارجين من آلاف الناس جاء حسن عزت بعربة « أوستن » صغيرة ووضعها تحت مظلة الأطباء ، ولم يوقف الموتور . . خرجت أنا إلى فناء المستشفى وخلفى الحارس وفى زحمة الناس استطعت بسهولة أن أتوارى عنه وبسرعة بلغت السيارة التى اختفت بى وبحسن عزت فى لمح البصر . . وبعد دقيقتين

وصلنا منطقة فم الخليج حيث الشقة التى كان قد جهزها حسن كمخبأ لى على بعد دقائق قليلة .

كان هذا فى أكتوبر عام ١٩٤٤ . . وبقيت مختبئاً هارباً من وجه العدالة إلى سبتمبر عام ١٩٤٥ عندما سقطت الأحكام العرفية وبسقوطها انتهى اعتقالى حسب القانون . وهذه ميزة سيادة القانون التى أحترمها وأدين بها . وهذه بالضبط كانت نهاية حكاية السجن الأول . . وطبعاً تريد أن تعرف كيف دخلت السجن فى المرة الثانية . . والسبب ! .

● **يا ريت يا فندم ! .**

●● شوف . . أنا بمجرد أن عاد كيانى كمواطن حر طليق . . كان أول عمل قمت به هو تكوين جمعية سرية . . من أجل مواصلة الكفاح السياسى . . فكيف تتحرر الذات بدون أن يتحرر الوطن ؟! . وكان ذلك فى سبتمبر عام ١٩٤٥ ولم يمض على خروجى إلى الحياة والحرية سوى أيام قليلة . . وعلى الفور بدأت الاتصال برجل يدعى « عمر أبو على » وهو شقيق زميلى سعودى حسين الطيار الذى سبق أن أرسلناه لروميل وضربت طائرته . . وقد عرفنى عمر بشاب اسمه « حسين توفيق » اتضح أنه كان يمارس قتل الإنجليز فى المعادى قبل أن ينضم إلينا . ولكن هل قتل حفنة من الإنجليز هو الطريق إلى تحرير مصر؟! طبعاً لا . . ربما كان هذا العمل مجرد تدريب ، ولكن المهم أن نتخلص ممن كانوا يساندون الإنجليز فى ذلك الوقت .

وكان على رأس هؤلاء فى نظرنا مصطفى النحاس باشا !! رئيس حزب الوفد الذى سقط فى نظرنا منذ أن فرضه الإنجليز بقوة السلاح فى ٤ فبراير عام ١٩٤٢ . فلا شىء يعادل خيبة الأمل التى يصاب بها الشباب فى زعيم كان يوماً مثلهم الأعلى . وفى نفس الفترة قررنا كذلك اغتيال أمين عثمان الذى تولى وزارة المالية طوال حكم النحاس . . بعدما فشلنا فى اغتيال النحاس باشا ذاته ! . ولم يكن هذا هو السبب فى إدانتنا لأمين عثمان . . فلم يكن له أى أثر يذكر فى سياسة الوفد أو على النحاس نفسه . . ولكنه كان أكثر من صديق للإنجليز! .

كان أمين عثمان فى ذلك الوقت قد كون نوعاً من الحزب السياسى أطلق عليه اسم

«رابطة النهضة» . . وكان مقر هذه الرابطة فى شارع عدلى وسط القاهرة . وكان لها ستة مبادىء أساسية ينص المبدأ الثانى منها على أننا مرتبطون بانجلترا ارتباطاً حتمياً . . فقد أعلن أن مصر وانجلترا قد تزوجا زواجاً كاثوليكياً ! . وكان هذا التصريح بمثابة حكم الإعدام عليه .

المهم أن حسين توفيق نجح فى يوم السبت ٦ يناير عام ١٩٤٦ فى إطلاق الرصاص على أمين عثمان فى مدخل العمارة التى يقع بها مقر « رابطة النهضة » . وعلى ما أذكر أنه استخدم بعض القنابل اليدوية لتفريق الناس حتى تمكن من الهرب وعاد إلى بيته فى مصر الجديدة . وكنت فى هذه الأثناء أجلس فى مقهى قريب فقمت على سماع الانفجار . . ثم انصرفت إلى منزلنا فى كوبرى القبة .

وطبعاً لم يمر الحادث بدون تدخل البوليس . . حيث تطوع أحد شهود الحادث وعلى ما أذكر كان اسمه « مرسى » وأعطى أوصاف حسين توفيق للبوليس . . وقد كان عندهم محل شبهة منذ أن كان يمارس قتل الإنجليز فى المعادى فذهبوا إلى منزل والده حيث كان يقيم فوجدوه على مائدة العشاء . . ولما سألوه أين كان وقت الحادث . . فشل فى الإجابة فقبضوا عليه على ذمة التحقيق .

وصمت حسين توفيق فى أول يوم وثانى يوم . . مما دفع بوكيل النيابة أن يوعز للصحف بالإشارة بأن الجريمة كانت لأسباب نسائية . وهنا انفجر حسين توفيق واعترف . . بالتفصيل . . وأخبر البوليس عن الجمعية السرية ودلهم على مخزن السلاح الذى كان فى جبل المقطم . ولقد تصورت فى بداية الأمر أن حسين توفيق قد أخفى أمر اشتراكى معه عن البوليس . . ولكن خاب ظنى . . فلم يطل الانتظار . . ففى الساعة الثانية من صباح ليلة ١١ ـ ١٢ يناير قرعوا الباب ودخلوا كما فعلوا معى فى عام ١٩٤٢ . ولكن هذه المرة لم يكن هناك بوليس من الإنجليز . . بل كان من البوليس المصرى .

وبعد تفتيش المنزل أخذونى معهم إلى سجن الأجانب . . تماماً مثل المرة الأولى !! .

وبعد التحقيق معى . . والمواجهة بينى وبين حسين توفيق الذى اعترف علىّ كمشترك معه فى الجريمة . . رحلونى إلى سجن قرة ميدان . . ومكثت هناك داخل الزنزانة

رقم٥٤ . . ونظرت حولى . . كل شيء مختلف اختلافاً تاماً عن سجن الأجانب . . فلا سرير ولا مائدة ولا كرسى ولا نور . . ولا أى شيء على الإطلاق . .

● فليسمح لى سيادة الرئيس أن أقطع عليه هذه الذكريات فيما يخص السجن وأحواله . . لأن هناك بالفعل سؤالاً يتعلق بذات الموضوع سوف يأتى فى حينه . . ولعلى أسأل . . بهذه المناسبة . . كم سنة قضيتموها داخل سجن قرة ميدان . . ؟!

●● أنا عشت فيه سنة ونصف كاملة ! . لا قراءة ولا كتابة ولا راديو ولا نور ولا أى شيء مطلقاً . ففى هذه الأثناء كانوا قد نقلوا بالتدريج جميع المتهمين فى القضية إلى سجن « قرة ميدان » . وطبعاً فى زنزانة منفردة إلا أننا كنا وما زلنا رهن التحقيق . وقد مرت سنة ٤٦ ثم جاءت ٤٧ ولم يكن فيها من جديد سوى أنهم حددوا لنا دائرة جنايات . وكان موقف المحامين فى هذه المرحلة طلب التأجيل مرة بعد أخرى ودعواهم أن القضية كبيرة وملفاتها كثيرة .

وعلى ما أذكر أنه أثناء وجودى بالسجن هذه المرة قامت حرب فلسطين . . وقد استغرقت محاكمتنا ثمانية أشهر . . فقد بدأت فى يناير عام ١٩٤٨ إلى أغسطس ١٩٤٨ . . وأذكر أنه عندما أتى البوليس ليأخذنا إلى المحكمة حاولوا وضع الكلبشات فى أيدينا فرفضت . . فاكتفى البوليس بوضعنا فى لورى كبير ليأخذنا إلى المحكمة ثم يعود بنا إلى السجن .

وقد انتهت المحاكمة فى أوائل يوليو عام ١٩٤٨ ثم جاء النطق بالحكم . . وكان ذلك فى أغسطس من نفس العام . . وعلى ما أذكر أن حكم البراءة صدر فى الظهر . . ولكن كانت التعليمات تقضى بالبقاء فى السجن حتى الساعة الخامسة مساء فعدت إلى السجن وبقيت هناك حتى خرجت فى نفس اليوم . .

يعنى تقدر تقول إن سنوات السجن فى المرة الثانية بلغت سنتين ونصفاً . . أى ما يقرب من ٣١ شهراً . . وهى تقترب كثيراً من سنوات السجن التى قضيتها فى المرة الأولى ! .

● نريد أن نعرف من سيادتكم . . أهم الشخصيات التى تعرفتم عليها داخل جدران السجن . . وهل استمرت العلاقة بينكم وبين هؤلاء حتى بعد الخروج ؟! .

●● فيه شخصيات كثيرة . . سياسية وغير سياسية . . قابلتها فى المرتين . . وعلى ما أذكر . . كان منهم حسن عزت وهو ضابط زميلى . . ومن أوائل الذين انضموا معى إلى أول تنظيم ثورى داخل الجيش . . وكمان كنا على صلة قرابة . . لأنه كان السبب فى زواجى من جيهان . . وكان معايا فى سجن الأجانب . . لكنه تمكن من الهرب من معتقل ماقوسة . . وساعدنى على الهرب أنا الآخر فى المرة الأولى كما حكيت ! .

وقد استمرت علاقتنا حتى بعد انتهاء فترة العقوبة فى المرة الأولى . . لأنى بعدما أنهوا خدمتى العسكرية . . ظللت بلا عمل . . الأمر الذى جعلنى ألجأ إليه . . وأشتغل معه فى المقاولات ! .

وفى معتقل ماقوسة تعرفت أيضاً على حسن جعفر الأخ غير الشقيق لحسين جعفر والجاسوس الألمانى « إبلر » . . ولم يكن لحسن أى دور فيما حدث ولكن رغم ذلك اعتقله الإنجليز من باب الاحتياط . وقد وجدت فى حسن شاباً دمث الخلق لطيفاً للغاية . وكان يعرف الألمانية والإنجليزية . . وكان له الفضل فى تعليمى الألمانية خلف القضبان .

أما فى سجن معتقل الزيتون . . فقد تعرفت على الصحفى المرحوم جلال الدين الحمامصى . . والشاب آنذاك موسى صبرى كامل . . وقد اشتركوا معى فى تربية الأرانب فوق سطح الزنزانة . ولا أنسى أبداً ذلك الصديق الذى كان من بلاد البلطيق . . وكان برتبة « كونت » . وقد اكتشفنا أنه يجيد الطهى خاصة طهى الأرانب . وقد عشنا فترة على تربية الأرانب وأكلها إلى أن جاء وقت أصابها المرض ، فتوقفنا عن تربيتها وبالتالى عن أكلها . .

ومن الشخصيات السياسية الأخرى التى تعرفت عليها فى معتقل الزيتون . . وكيل وزارة الداخلية فى ذلك الوقت . . الذى غضب عليه النحاس باشا فاعتقله رغم أنه كان محايداً ولا ينتمى إلى أى حزب . . وكان على ما أذكر ان اسمه أبو شادى وقد رأيته مرة أخرى بعد الثورة ، عندما فرضت عليه الحراسة . وكان ذلك تقريباً فى عام ١٩٦١ .

وبخلاف هؤلاء وهؤلاء . . هناك شخصية أخرى تعرفت عليها داخل معتقل الزيتون . . وإن كانت شخصية عنيفة . . إنه « قومندان المعتقل » . . الذى عرفت أنه قد فصل

من الخدمة أكثر من مرة لأنه كان عنيفاً مع المساجين . . ولولا أن عمه كان عضواً بمجلس الشيوخ عن حزب الوفد عن مديرية البحيرة لما رجع إلى منصبه مرة أخرى . . وعلى ذكر هذا القومندان . . فقد حدثت بينى وبينه مشادة عنيفة لا أذكر سببها الآن ولكن أذكر نتائجها جيداً . . فقد جمعت المعتقلين وأقمنا المتاريس ووضعناها كلها على السلم بحيث نمنع أى إنسان من الوصول إلينا فى الدور الثانى . . بعد ذلك بفترة قصيرة جاء القومندان إلى حجرتى وأخذ يهددنى وهو يحمل طبنجة فى يده . وده كان أحد الأسباب فى تفكيرى فى الهرب لأول مرة من معتقل الزيتون . . حيث تمكنا بالفعل من تنفيذ خطة محكمة وبها هربنا من المعتقل . .

وكان معنا المحامى الشاب آنذاك موسى صبرى . . أما طريقة الهروب فكانت أن فتحنا فتحة فى سقف حجرة الأرانب . ولم يكن هذا بالأمر الصعب فالسقف كان من الخشب . . وفى اليوم الذى حددناه نصبت السلم وتسلقته وحفرنا فجوة فى السقف الذى خرجت منه إلى السطح واستلقيت على وجهى حتى لا يرانى أحد . . ومددت يدى أتسلم بقية الهاربين حسن عزت الذى كان يقف على أرض الحجرة يناولهم لى الواحد بعد الآخر فأدلهم على الطريق . . إلى أن انضم إلينا حسن عزت فنزلنا للشارع ونجحنا فى الهرب .

وفى الصباح توجهنا إلى قصر عابدين كى نسجل فى دفتر التشريفات سوء معاملتنا داخل المعتقل . وكتبنا أننا سوف نتوجه من تلقاء أنفسنا إلى المعتقل من جديد ! . وبالفعل أخذنا تاكسى وتوجهنا به إلى المعتقل . . فتحوا الباب ودخلنا بالتاكسى ثم نزلنا وسلمنا أنفسنا ! .

كذلك من الشخصيات المرتبطة بحادث الهروب الأستاذ أنور أحمد وكيل النيابة الذى حقق معنا بخصوص هذه الواقعة . . والذى أمر بنقل القومندان وتحسين معاملة كافة المعتقلين . وعلى فكرة وكيل النيابة هذا قد أصبح فيما بعد وكيلاً لوزارة الشئون الاجتماعية .

هذا عن أهم الشخصيات التى أثرت فى حياتى خلال فترة السجن الأولى . . والتى قضيتها كما ذكرت لك فى سجن الأجانب أولاً . . ثم فى معتقل المنيا . . وأخيراً معتقل الزيتون الذى هربت منه لآخر مرة . . ولم أعد إليه . . حيث انتهت الأحكام العرفية والتى بمقتضاها سقطت أوامر اعتقالنا . .

أما عن الشخصيات التى ارتبطت بى خلال فترة الاعتقال الثانى . . والتى قضيتها فى سجن قرة ميدان بدون تحقيق . . رهن المحاكمة . . فلا بد وأن أذكر لك . . الشيخ حسن البنا الذى التقى بشقيقى طلعت وأخبره أن جمعية الإخوان المسلمين قد خصصت عشرة جنيهات شهرياً لأسرتى . . وأقول لك ذلك لأن هذه الأموال قد جاءت فى وقت كان شقيقى طلعت لا يجد فيه ثمن إفطارى ولا حتى ثمن زجاجة ملح الفواكه . . التى كان ثمنها فى ذلك الوقت ١٢ قرشاً ! .

وبخلاف الشيخ حسن البنا . . تعرفت فى سجن قرة ميدان على شاب وسيم يدعى محمد إبراهيم كامل . . عينته فيما بعد وأنا رئيس جمهورية وزيراً للخارجية . . إلا إنه استقال خلال مباحثات كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل . . وكنا نطلق عليه السجين رقم (١٩) . . قالتها لى سنية فراشة السجن والسجانة والعسكرى .

وعايز أقولك إن رحلتى مع السجن والاعتقال فى المرة الثانية . . قد سجلتها لحظة بلحظة . . فى مذكرات بعنوان « ٣٠ شهراً فى السجن » . هذه المذكرات نشرتها فى مجلة المصور فور خروجى فى المرة الأخيرة . ودى كانت السبيل الوحيد الذى ضمن لى أكل العيش بعدما أنهو خدمتى من الجيش . . فقد رحب أصحاب دار الهلال بنشرها مسلسلة فى مجلة المصور . . ويومها كتبوا تحتها بقلم : « اليوزباشى أنور السادات » .

وبشكل عام كان هناك مجموعة كبيرة من المعتقلين قد زاملونى طوال فترة السجن حتى قرار الإفراج والعفو . . ولكن صلتنا ببعض بدأت تتلاشى مع الأيام . . منهم مثلاً حسين توفيق والسيد خميس وهو نفسه الصحفى عبد العزيز خميس وسعيد توفيق وأحمد وسيم ومدحت فخرى وعمر أبو على وآخرين . . ويمكن صلتى بهؤلاء داخل المعتقل قد استمرت من خلال اهتماماتنا بالفن والصحافة خلف القضبان . . لأننا كنا «بنألف وبنمثل مسرحيات . . وبنكتب فى مجلات وصحف كنا بنكونها» داخل الجداران العالية .

● فليأذن لى سيادة الرئيس . . كى أسأل عن سر الزنزانة رقم (٥٤) فى سجن قرة ميدان . . وبشكل عام عن أحوال سجون مصر فى هذه الآونة ؟! .

●● الأول نتكلم عن أحوال السجون فى مصر فى هذه الفترة . . وعايز أقولك إنه كان

هناك فرق كبير بين سجن الأجانب وسجن المجرمين أو غيرهم من أفراد الشعب . .

كان سجن الأجانب فى الوقت ده . . يختلف عن بقية السجون . . زى ما ذكرت قبل كده . . فى كل زنزانة سرير وبطاطين وكرسى وطاولة صغيرة . . حتى التدخين كان مسموحاً به ولكن بشرط أن يشعل السجان السيجارة ويقدمها لك ! . ولما وجدت الأمور بهذا الشكل تشجعت وطلبت الجرائد فأحضروها لى ومعها بعض الكتب . . و لسوف تلاحظ فيما بعد كما لاحظت أنا الفرق الكبير فى المعاملة خارج هذا السجن . . لأننى عندما دخلت سجن مصر بعد ذلك بفترة مكثت به سنة كاملة معزولاً عن العالم الخارجى . . فلا جرائد ولا كتب ولا فراش ولا مقاعد ولا شىء على الإطلاق .

وفى داخل سجن الأجانب ونظراً لهذه الراحة . . فكرت فى تقوية نفسى فى اللغة الإنجليزية، فطلبت بعض الكتب بهذه اللغة . . فأرسل مأمور السجن مجموعات من القصص القصيرة وغيرها ! . ولقد قضيت بهذا السجن فترات طويلة . . كنت خلالها أخرج إلى فناء السجن مرتين كل يوم لمدة ربع ساعة أمارس فيها رياضتى المفضلة وهى المشى بين أضلاع السجن الأربعة .

وبشكل عام كان سجن الأجانب خاص بكل المتهمين فى قضايا مرتبطة بالسلطات البريطانية لاستكمال التحقيق معهم تمهيداً لترحيلهم إلى المعتقلات .

كما كانوا يسمحون لنا فيه بارتداء الملابس التى كانوا يرسلونها لنا من المنزل . . وكذلك تناول الأطعمة « البيتى » . . وعلى ما أذكر أننى فوجئت ذات صباح بالسجان يفتح الباب ويحمل إلى بعض الطعام من البيت عندنا ومعه روب شتوى ممتاز . .

ولسوف تلاحظ الفرق فى المعاملة وفى الأسلوب وفى المكان بعد لحظات حين أحكى لك عن أحوال السجن خارج سجن الأجانب . . فبعد فترة انتظار داخل هذا السجن استمتعنا خلالها بحالة من الاستقرار والتأقلم . . جاءنى السجان كى يطلب منى أن أحزم أمتعتى ! . وفى لحظات كنا أمام السلم المؤدى إلى باب السجن . . فوجدنا سيارة تقف ملتصقة بالباب . . ومغطاة من الجانبين بالبطاطين . وما هى إلا دقائق معدودة حتى وجدنا أنفسنا على رصيف الصعيد فى محطة مصر . وكانوا قد أخلوا الرصيف من

المسافرين. ولكن كان البوليس محتشداً بصورة توحى بأننا قوة خطيرة لا بد من حصارها وإلا أصبح أمن الدولة فى خطر ! . وقد تحرك القطار بنا فى طريقه إلى معتقل جديد . . فى الصعيد . . على بعد ٢١ كيلو من المنيا .

والحقيقة أن المعتقل الجديد الذى نقلونا إليه لم يكن معتقلاً بمعنى الكلمة . . بل كان قصراً شامخاً يقف منعزلاً على ضفاف ترعة الإبراهيمية . ولقد عرفنا فيما بعد أن هذا القصر كان ملكاً لأحد أعيان حزب الوفد فأجرته منه الحكومة وحولته إلى معتقل ! .

ولعلك تتعجب حين أقول لك إن إقامتى بمعتقل ماقوسة فى الأيام الأولى كانت إقامة صعبة . . رغم أنه كان قصراً كما ذكرت وبه مرايا فرنسية وأخشاب فاخرة وشبابيك من الزجاج الملون وحمامات رائعة . . إنها أشياء لم أر مثلها فى حياتى وقد بهرتنى فى أول الأمر . . وكانت مصدر دهشتى . . ولكن مع الوقت تعودت عليها وأصبح السجن سجناً كبقية السجون ! .

وبعد حوالى ثمانية أشهر انتقلنا من جديد إلى سجن ومعتقل الزيتون بالقاهرة . . وهذا كان ثالث سجن أنتقل إليه فى الفترة الأولى كما حكيت من قبل . . وفى هذا المعتقل كان هناك نوعان من المعتقلين النوع الأول مثلى من المصريين المكافحين ضد الإنجليز أو من أهل سوريا ولبنان المتمصرين . . والنوع الثانى فكان من أعضاء أحزاب مناهضة لحزب الوفد الحاكم آنذاك .

والحقيقة أن معتقل الزيتون كان له عدة مزايا عن المعتقل السابق . . فنحن هنا فى القاهرة . . ثم إن هذا المعتقل كان أيضاً فيلا وبها حديقة كبيرة تتيح لنا فرصة الحركة أكثر من صديقه معتقل ماقوسة ! . وكانت الإقامة فيه بالمجان والأكل والمبيت . . وكان هناك أيضاً من المعتقلين من كانوا يتقاضون مصروف جيب شهرى !!. لذلك كنا نجد بعض المعتقلين عندما يخرجون سرعان ما يعودون من جديد ! .

● **وما هى حكاية الزنزانة (٥٤) ؟! . .**

●● نعود للحديث عن فترة السجن الثانية . . والتى شهدت أعنف فترات الاعتقال فى

حياتى . . وهى الفترة التى قضيتها فى سجن قرة ميدان وسجن مصر . . وأيضاً الخاصة بالزنزانة (٥٤) التى تلح فى السؤال عنها ! .

على ما أذكر كانت الساعة الخامسة والنصف مساء عندما وجدت نفسى داخل الزنزانة (٥٤) فى سجن قرة ميدان . . وتلفت حولى . . كل شىء يختلف اختلافاً تاماً عن سجن الأجانب . . وبقية السجون الأخرى التى نزلت بها . . فلا سرير ولا مائدة ولا كرسى ولا نور . . ولا أى شىء على الإطلاق ! . فقط أرضية الحجرة مصنوعة من الأسفلت وفوق جزء منها « برش » من الليف الخشن بالكاد يكفى لكى يتمدد عليه الإنسان لينام ملتحفاً ببطانية قذرة إلى أبعد حدود القذارة التى لا يمكن أن تتصورها مهما حاولت .

أما حيطان الزنزانة . . ففى الشتاء ينشع منها الماء ليل نهار وفى الصيف تغطيها مع الماء جيوش من البق لا حصر لها ! . وهكذا عشت سنة ونصف كاملة . . لا قراءة ولا كتابة ولا راديو ولا نور ولا أى شىء مطلقاً ! .

وفى أول الأمر كان يسمح لنا بفسحة لمدة ربع ساعة منفردة يومياً ثم بعد ذلك جعلوا الفسحة ثلاثة أرباع ساعة صباحاً ومثلها بعد الظهر . أما عن دورات المياه فحدث ولا حرج . . لقد كان يستحيل على أى آدمى أن يقضى بها حاجته فإلى جانب قذارتها بصورة لا يمكن أن ترى العين مثيلاً لها . . كان علينا عندما نضطر إلى اللجوء إليها أن نقضى حاجتنا جماعياً !! . لقد كانت طاقة دورة المياه ألف شخص فى حين كانت حمولتها دائماً ثلاثة آلاف فى أى وقت .

بخلاف ذلك كان هناك فى كل سجون مصر . . عنبر خاص للجرب . . لأن كثيرا من المساجين كانوا يمرضون بهذا المرض . . لأنهم ينتقلون أصلاً من بيئة قذرة إلى بيئة أقذر داخل السجن . لقد عشنا سنة كاملة فى هذه المعاناة التى عجز أن يتحملها الكثيرون كما تحملتها أنا بفضل نشأتى بالقرية وللخشونة التى اكتسبتها من خدمتى بالقوات المسلحة ! .

ومن خلال وساطات فى هذه المعاناة سمحوا لنا فى مرحلة متأخرة بعد سنة تقريباً بالأكل بالملعقة ، كما ركبوا شبابيك زجاج فوق شباك الزنزانة الذى لم يكن سوى كوة فى أعلى الحائط مفتوحة على الدوام ! .

ولعلى أقول لك إن هذه الصورة كانت الشكل العام لكل سجون مصر من أسوان إلى الإسكندرية . .

● نريد من سيادة الرئيس أن نعرف . . ماذا قدم خلال فترة رئاسته لمصر . . لإصلاح السجون ؟ ! .

●● شوف فيه لوائح وقوانين بتحكم المعاملة داخل السجون . . لكن المهم فى رأيى هو المكان الذى يقيم فيه المسجون . . وده اللى دفعنى فى أكتوبر عام ١٩٧٥ كى أهدم سجن طرة كرمز لانتهاء امتهان كرامة الإنسان . . وقتها أمسكت المعول بيدى أضرب به الجدران . . لقد أحسست أن جدران السجن هى نفس جدران سجن قرة ميدان . . فالطوب تحت المعول مبلل هش من المياه التى تتخلله . . وحتى قبل أن أصل للطوب ، وأنا أزيل الطلاء أحسست بالرطوبة ورأيت الصراصير تخرج من بين الطوب والطلاء . . جيوش من الصراصير لا حصر لها . . كان منظرها قبيحاً ولكن لم أترك المعول لحظة . . ظللت أضرب فى الحائط وأعصابى مشدودة ، فلا بد أن أزيله . . وقد حاولوا أن يوقفونى . . ولكننى رفضت وقلت لهم أنا بخير . . المهم لازم تزول هذه السجون وتحل محلها سجون يمكن أن يعيش فيها الإنسان . . ولذلك أمرت ببناء سجون جديدة تتوافر فيها جميع الشروط الصحية . . وفى الوقت نفسه تصلح للإنتاج بحيث لا يقضى السجين طوال مدة سجنه بين أربع جدران عاطلاً وعالة على المجتمع .

وفعلاً بدأنا التجربة فى السجن الذى أقمناه بدلاً من سجن قرة ميدان . . وهو الآن موجود على طريق مصر ـ اسكندرية الصحراوى وإلى جانبه قطعة أرض تم استصلاحها ويقضى بها المساجين نهارهم يزرعون بعد أن هدمنا سجن قرة ميدان وتحول إلى حديقة عامة يستمتع بها الناس ! . بخلاف ذلك فقد أغلقت المعتقلات كلها بعدما صفيت مراكز القوى عام ١٩٧١ . . أما المحكوم عليهم فى القضايا السياسية فقد أطلقت سراحهم بعد انتصارنا عام ١٩٧٣ .

● بعد هذه الفترة الطويلة من العمل السياسى . . نرجو من سيادة الرئيس السادات أن يوضح لنا مفهوم العمل السياسى بالنسبة لرجل دخل المعتقل ؟ ! .

●● فى الغالب الإجابة على هذا السؤال كثيراً ما تحيرنى . . فأنا لا أدعى أنى درست السياسة وتخصصت فيها . . كل ما أعرفه أنى نشأت وآمال وأحلام معينة هى التى كونت شخصيتى منذ الطفولة إلى أن أصبحت رئيساً للجمهورية .

هذه الآمال والميول كانت وما زالت ترمى إلى هدف واحد هو تخليص مصر من المعاناة والسير بها نحو الجمال والكمال .

يصف البعض السياسة بأنها فن الممكن . . ولكنى لا آخذ بهذا التعريف فإذا قسنا ذلك على حرب أكتوبر لقلنا إن السياسة هى فن المستحيل . . فأيهما أصح ؟! . أنا لم آخذ دكتوراه فى السياسة ولم أتبحر فى علومها . . أنا مجرد إنسان اكتشف ذاته . ولذلك فأنا صادق مع نفسى فى كل ما أقول وما أعمل . والمعاملة بينى وبين الناس تقوم دائماً على الصدق .

ولعل هذا ما يدهش البعض إذ يجدوننى رجلاً سياسياً يقول فى حجرة مغلقة نفس الكلمة التى يقولها أمام الميكروفون . . ولا يستغل موقفاً معيناً لشعبية رخيصة . . أو لهتاف الجماهير . لذلك فالسياسة فى تصورى هى فن بناء المجتمع بحيث يحقق إرادة الله من خلق هذا الكون وهى العمران .

وفى هذا المجتمع يجب أن تكون حرية الفرد مطلقة لا يحدها سوى ما تعارف عليه المجتمع من قيم إنسانية أصيلة نبتت من المجتمع نفسه فهى ثمار حضارته .

● سيادة الرئيس . . هذا الحديث يجرنا بالقطع كى نتساءل . . وهل ينقطع السياسى عن عمله ونشاطه بمجرد أن يدخل السجن ؟! . وبالنسبة لسيادتكم . . هل أثر السجن على استمرارية نشاطكم داخل الحياة السياسية ؟! .

●● أنا تخرجت من الكلية الحربية فى فبراير عام ١٩٣٨ . ومع خروجى إلى الحياة بدأت الطاقة المختزنة فى عقلى الباطن منذ سنين فى الانطلاق . . وكنت على إيمان أن السبيل لتخليص مصرنا الحبيبة من الإنجليز هو القوة . . والقوة العسكرية بالذات . وما دمت قد أصبحت ضابطاً بالجيش . . فلم الانتظار ؟!. وقد بدأت نشاطى داخل نطاق الجيش .

لذلك ركزت فى أحاديثى مع زملائى الضباط على وضعين لم يكن أحد يختلف على أنهما يسيئان إلى الجيش المصرى وإلى حياتنا فى القوات المسلحة .. وهما البعثة العسكرية البريطانية وما لها من سلطات مطلقة . ثم جيل كبار الضباط المصريين وإنسياقهم الأعمى إلى ما يأمر به الإنجليز . ودى كانت البداية .. ودائماً أحب أن أذكرها ..

أما فيما يتعلق بالشق الأول من سؤالك .. عن انقطاع السياسى عن نشاطه وهو داخل المعتقل .. فأقول لك بالنسبة لتجربتى الشخصية فى هذا المجال .. فقد كان السجن فرصة لتقوية لغتى الإنجليزية .. وتعلم لغة أخرى هى اللغة الألمانية .. أيضاً كان السجن فرصة كبيرة للتأمل والتفكير والتخطيط لما سوف نقدم عليه بعد الإفراج عنا .. ففى المرة الأولى راقتنى فكرة كثيراً ما عزمت على تنفيذها فور خروجى من السجن .. وهذه الفكرة لم تبتعد كثيراً عن اهتماماتى السياسية .. فقد عزمت فور عودتى إلى قريتى أن أجتمع مع الأهل والأصحاب ونعقد ندوات ودية نتحدث من خلالها بكل حرية عن أحوال بلدنا ..

أما فيما يتعلق بالعمل العام .. فقد كنت أتابع من كل مصادرى أخبار الحرب العالمية الثانية .. لقد كنت أتمنى هزيمة الإنجليز .. لأننى رأيت أن هذه الهزيمة هى السبيل الوحيد نحو تحرير مصر ! .

إن السياسى لا يمكن بأى حال من الأحوال أن ينقطع عن نشاطه .. حتى وهو داخل المعتقل .. ولكن تقدر تقول .. يمكن هذا النشاط يقل ويفقد فاعليته بحكم الحبس .. وفى الوقت نفسه .. تجد الإنسان منا .. إذا ابتعد عن الحياة السياسية بحكم السجن والاعتقال .. فهو لا يبتعد عنها داخل عقله .. وهذا ما حدث معى تماماً .. والدليل أننى حين تخلصت من عقوبة السجن الأول .. سرعان ما عدت من جديد لتكوين جمعية سرية .. كما حكيت لك من قبل .. ونشاطى داخل هذه الجمعية هو الذى أدى بى إلى السجن مرة أخرى . ودى على ما أذكر كما حكيت من قبل هى الجمعية السرية التى بدأت فى تنفيذ عمليات الاغتيال وانتهت باغتيال الوزير أمين عثمان ! .

وفى فترة السجن الثانية .. لم أنقطع كذلك عن الحياة السياسية فى مصر .. فكنت

أتابع تفاصيل حرب فلسطين . . ويعلم الله كم عانيت وتألمت من الغارات الإسرائيلية على القاهرة ، وكان مصدر ألمى أننى داخل السجن لا أملك أن أفعل شيئاً . . لقد كنت أعرف أنها مجرد حرب نفسية . . لا أكثر . . وزاد فى اطمئنانى أن جيوشنا كانت تشق طريقها إلى نصر أكيد . ولكن المفاجأة كانت أن عقد الملك عبد الله الهدنة التى أنقذتها من الهلاك .

● سؤال أخير يا فندم . . لقد ذكرتم سيادتكم بعض الشخصيات السياسية والإعلامية التى تعرفتم عليها داخل المعتقل . . والسؤال هو . . هل ما يزال هؤلاء الأشخاص على صلة بسيادتكم . . ؟!. أو بمعنى آخر . . هل ما زلتم تحبون الاتصال بهؤلاء الأشخاص؟! .

●● فيه شخصيات ارتبطت بها داخل جدران المعتقل وما زلت على علاقة بها حتى يومنا هذا . . من هذه الشخصيات الطيار حسن عزت والكاتب الصحفى جلال الدين الحمامصى وموسى صبرى . . وهؤلاء كانوا زملاء الزنزانة فى معتقل الزيتون . . ومنهم الكاتب الصحفى عبد العزيز خميس . . وكنا نعرفه باسم السيد خميس . . وبخلاف هؤلاء . . منهم كما حكيت لك الشاب الوسيم محمد إبراهيم كامل وده اخترته وزيراً للخارجية بدلاً من إسماعيل فهمى ! .

❊ ❊ ❊

الفهـــرس